دراسات فى تاريخ مصر

البطلمى والرومانى

الدكتور

أحمد غانم حافظ

مدرس التاريخ القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية




دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع


دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع

دراسات في تاريخ مصر :

البطلمي والروماني



دراسات فى تاريخ مصر:

البطلمى والرومانى

دكتور

أحمد غانم حافظ

مدرس التاريخ القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ

دار المعرفة الجامعية

إسم الكتاب : دراسات فى تاريخ مصر : البطلمى والرومانى
المؤلف : د. أحمد غانم حافظ
الموضوع : تاريخ
رقم الطبعة : الأولى
سنة الطبعة : 2008م. 1429هـ
القياس : 17 × 24
عدد الصفحات :
منشورات : دار المعرفة الجامعية
سوتير - الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ...... قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الزمر ٩)

الإهداء

إلى روح والدى الغالى فى ذكرى رحيله الرابعة

دعاءاً له بالمغفرة والرحمة



على سبيل التقديم

– قدر لهذا العمل المتواضع أن يخرج إلى النور فى ظل ظروف بيروتية صرفة ولكن كان من حسن طالع الكاتب والكتاب أن يتم كتابة تقديم هذا الكتاب بين أحضان مدينتى الآثار والتاريخ ، الأقصر وأسوان ، حيث معابد مصر الشامخة تحفظ التاريخ وتشهد عليه أبد الأبدين .

– يشمل هذا العمل الحديث عن تاريخ مصر البطلمى والرومانى وهو عمل أدلى فيه الكثير من الباحثين العرب بدلوهم خاصة المتخصصون منهم فى حقل التاريخ والحضارة اليونانية والرومانية ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أعلاماً ورواداً مثل ، إبراهيم نصحى – لطفى عبد الوهاب يحيى – مصطفى العبادى – حسين الشيخ – محمد السيد عبد الغنى – فادية أبو بكر – سيد أحمد الناصرى – وأبو اليسر فرح ، وكان لكل منهجه الذى تحكم فى أسلوب عرضه. فكل منهم فى الواقع يشكل مدرسة تتنوعت مشاربها نحو هدف واحد ألا وهو البحث وراء الحقيقة التاريخية أينما كانت .

– ويأمل الكاتب بهذا العمل المتواضع أن يسهم بجزء ولو بسيط فى صرح المعرفة الشامخ الذى بناه الرواد السابقون ذلك العمل الذى اشتمل على سبعة فصول جال فيهم الكاتب بين ظروف مصر التاريخية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية فى العصرين البطلمى والرومانى مروراً بظروف مصر قبل مجئ الإسكندر الأكبر لها فى محاولة منه لتقديم وجبة تاريخية مناسبة مشبعة لراغبى المعرفة من طلاب العلم والثقافة.

- ويتحدث الكاتب فى الفصل الأول عن أهمية دراسة الفترة حضارياً ثم يتطرق إلى الحديث عن الإسكندر الأكبر ٣٣٦ - ٣٢٣ ق.م حيث يتحدث عن نشأته وأثرها على فكره ثم يعرف الكاتب بتسمية العصر الهللينستى ومنها ينطلق إلى ملابسات وجود الإسكندر الأكبر فى مصر موضحاً كيف تغلب الإسكندر على فكرة العنصرية التى طالما غرسها فى عقله أستاذه أرسطو وموضحاً أيضاً فكرة الحق الإلهى فى الحكم وهى الفكرة التى تبناها الإسكندر الأكبر متأثراً فيها بفكر أرسطو فى هذا المجال .
- أما فى الفصل الثانى فيبدأ الكاتب فى عرض تاريخ البطالمة من خلفاء الإسكندر الأكبر والذين آلت إليهم مصر بعد وفاته حيث يسرد الكاتب فى هذا الفصل تاريخ الملوك البطالمة وأعمالهم فى مصر بداية من بطلميوس الأول (سوتير) ٣٢٣ ق.م - ٢٨٤ق.م Sòter وإنتهاءاً بالملكة كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة على عرش مصر والتى لقبت بـ(ثيافيلوباتور) أى الإلهة المحبة لأبيها .
- أما فى الفصل الثالث فينتقل الكاتب سريعًا إلى الحديث عن ظروف المجتمع المصرى بكل ما فيها من جوانب سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية .
- أما فى الفصل الرابع فيقدم الكاتب فكرة جديدة قام بنشرها ضمن أعمال مؤتمر الاتحاد العام للأثاريين العرب بالقاهرة فى عام ٢٠٠٦م وهى فكرة توظيف الملوك البطالمة لموارد مصر السياحية ممثلة فى أماكنها وبقاعها التاريخية على إختلاف أدوار هذه البقاع إذ كان منها من لعب دوراً دينياً ومنها من لعب دوراً ترفيهياً ومنها من لعب دوراً ثقافياً .

- أما فى الفصل الخامس فيستمر الكاتب فى عرض أفكاره الجديدة ممثلة فى فكرة الحصانة الملكية وكيف كانت شكلاً من أشكال العلاقة بين الفرد والدولة فى مصر البطلمية وهى فكرة قد طرحها الباحث من خلال ندوة علمية أقامتها كلية الآداب -جامعة عين شمس بالتعاون مع مركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس عام ٢٠٠٧م وهى فكرة تناقلتها بعض وكالات الأنباء العالمية كوكالة أنباء الشرق الأوسط Mena ووكالة الأنباء الصينية كما تناقلها عدد من الصحف القومية بجمهورية مصر العربية واهتمت بها بعض المواقع على شبكة الإنترنت الدولية ويمكن الوصول إليها عبر البحث من خلال موقع Google باستعمال كلمة البحث «مجازاً الحصانة السياسية» .

- وقد خصص الكاتب الفصلين الأخيرين للحديث عن تاريخ مصر بعد زوال حكم البطالمة وقدوم الرومان إليها حيث خصص الفصل السادس لتتبع علاقة روما بمصر وصولاً لتحويلها إلى ولاية رومانية على يد الامبراطور أغسطس ، كما تحدث فى هذا الفصل عن خلفاء أغسطس وسياستهم تجاه مصر وصولاً إلى عهد الامبراطور كاراكلا .

- أما فى الفصل السابع والأخير فقد ناقش الكاتب تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى تحت حكم الرومان .

وعلى أية حال فهذا العمل يعد محاولة مبدئية لطرح أسلوب جديد فى عرض وادراك التاريخ إن أصابت فهذا بفضل الله عز وجل وإن كانت الأخرى فحسبها محاولة .

الأقصر فى ٢٠٠٨/٢/٢٥م

أحمد غانم حافظ

مقدمات العصر الهللينستى

الفصل الأول

مقدمات العصر الهللينستى

أولاً : القيمة الحضارية لدراسة الفترة :

مرت مصر عبر عصورها المختلفة بدءً من عصر الفراعنة وحتى عصرى البطالمة والرومان بالعديد من التجارب التى أثرت فى هويتها الحضارية وشكلت ملامح تاريخها، ومرجع اهتمام تلك القوى التى سيطرت على مصر لفترات طويلة كالهكسوس فى عصر الفراعنة أو كالفرس فى فترة لاحقة هو موقع مصر الجغرافى المتميز بين قارات العالم القديم المعروفة وأيضاً ما تميزت به مصر من ثروات أغرت تلك القوى على القدوم إليها والإفادة منها كل حسب برنامجه وأهدافه المستقبلية ، وأخيراً ما تميزت به مصر من تقدم وازدهار حضارى ربما أرادت بعض تلك القوى توظيفه فى دعم حضاراتها الخاصة فأسهمت الحضارة المصرية ربما عن دون قصد فى تشكيل بعض ملامح حضارات تلك القوى .

بناء على ما سبق إذن يصبح الوقوف على العلاقة بين مصر وتلك القوى أو الحضارات – إذا جازت التسمية – أمراً ضرورياً لفهم كثير من المظاهر الحضارية لدى الطرفين ولدى مصر على وجه التحديد التى ربما شكلت تلك القوى بالنسبة لها تحدياً challange تفاعلت معه بمهارة محتفظة بكثير من ملامح هويتها الحضارية رغم فقدانها السيطرة على مقدرات أمورها السياسية لفترات طويلة بفضل احتلال تلك القوى

العسكرية لها ، بحيث يمكن أن نقول إن مصر في معظم الأحيان قد نجحت في غزو نفس تلك القوى الغازية حضاريًا ..

يذكرنا الحديث عن الغزو الحضاري المصري بالغزو الحضاري الاغريقي ، فالاغريق تشابهوا مع المصريين في أنهم استطاعوا أن يسيطروا بحضارتهم المتقدمة على الرومان The Romans بتلك الامبراطورية الرومانية الذين آلت إليهم أملاك الإسكندر الأكبر Alexander the Great الذي آلت إليه أملاك الامبراطورية الفارسية .. وعمومًا فكل أحداث التاريخ تدل على محاولات الغرب الدائمة نحو الاقتراب من الشرق وحضارته ومحاولات مماثلة من جانب الشرق وهو ما تجسده العلاقة بين الفرس والاغريق ..

- وفيما يخص العلاقة بين الفرس والإغريق فقد شهد الشرق الأدنى في حوالي ٥٥٠ق.م قيام قورش بتأسيس الإمبراطورية الإخمينية التي بدأت تشكل تهديداً لجيرانها لما يقرب من سبعين عامًا، وقد امتدت حدود امبراطورية قورش لتشمل المدن الإغريقية الواقعة على ساحل أيونيا في آسيا الصغرى وتولى عرش الامبراطورية قمبيز ٥٣٠ – ٥٢٢ ق.م بعد وفاة قورش وزاد في فتوحاته التي لم تقتصر على القارة الآسيوية بل امتدت إلى قارة أفريقيا لرغبته في ضم كل من مصر وقورينه لرغبته في حرمان الاغريق من الغلال التي كانوا يحصلون عليها منهم تمهيداً منه لمحاربة الاغريق الذين كانوا يمثلون أمام الفرس عقبة في طريق انفرادهم بالسيادة البحرية على شرق المتوسط (١) .

---

(1) Bengtson H., The Persian Empire and The Greeks Ca. 520 B. C. (The Greeks and The Persians), pp. 1 - 10 .

- لقد كان الخلاف بين الفرس والاغريق يكمن فى أسلوب الفرس وسياستهم فى فرض سيادتهم ومناصرتهم للحكام الطغاة Tupxννοι الذين استعملوهم دومًا كأدوات تضمن لهم استمرار تسلطهم على رعاياهم . وفى أثينا وفى نفس التوقيت تقريبًا قامت أثينا بثورتها الشهيرة ضد الطاغية هيبياس ابن بيزاستراتوس وتمكنوا بعدها من الحصول على الديمقراطية وبعدها راحت أثينا تحرض اغريق آسيا الصغرى على أن يحذوا حذوها ويثوروا ضد الفرس فانفجرت الثورة الايونية ضد الفرس وأحرق الثوار عاصمة الفرس سارديس فى اقليم ليديا ، فأرسل دارا ملك الفرس حملة عسكرية لمعاقبة أثينا ولكن تمكنت أثينا من إنزال الهزيمة بالفرس عند سهل ماراثون فى ٤٩٠ ق.م وهى الموقعة التى خلدها الشاعر التراجيدى الاغريقى ايسخيلوس فى تراجيديته « الفرس » (١) .

- وكما شكل الفرس خطراً على الاغريق شكلوا أيضًا خطراً على المقدونيين فنجد فيليب المقدونى ذلك الملك الذى تعلم فى أفضل مدارس اليونان يعمل على نشر الحضارة الاغريقية فى سائر أرجاء مملكته واستطاع أن يبسط سيطرته على كثير من الأقاليم المجاورة .

- حاول فيليب المقدونى أن يدعو الاغريق إلى الإتحاد تحت لوائه لصد خطر الفرس إلا أنهم لم يعيروه اهتماماً إذ تخوفوا من الانضمام للواء فيليب المقدونى حرصاً منهم على حريتهم .

---

(١) أحمد غانم حافظ ، الفكر السياسى والاجتماعى الأثينى ، دراسة من خلال أعمال ايسخيلوس ٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م ، رسالة ماجستير ، الاسكندرية ، غير منشورة ، ٢٠٠٠م.

- لقد بلغ خوف الإغريق على حريتهم درجة كبيرة حتى أنه قام أحد أشهر خطبائهم والمسمى ديموستنيس Demosthenes بالقاء مجموعة خطب يدعو فيها الإغريق للتحالف ضد فيليب بل ودعا الاغريق لطلب معونة الفرس لدفع الخطر المقدونى ٣٥٠ق.م / ٣٤٩ق.م وذلك فى الخطبة المسماة « بالفيليبية الأولى » (١) .

- لم يتفق الاغريق جميعًا على موقف ديموستنيس ضد المقدونيين إذ ظهرت بينهم دعوة مناهضة للإتجاه السابق بزعامة الكاتب السياسى الأثينى ايسوقراطيس ٤٣٦ ق.م – ٣٣٨ ق.م . والذى وجه رسالة إلى فيليب المقدونى يدعوه فيها لزعامة بلاد الاغريق للانتقام من الفرس الذين لايزالون يضيقون الخناق على اغريق ساحل آسيا الصغرى Asia Minor ، الأمر الذى جعل بعض الباحثين ينظرون إليه على أنه أحد دعاة الوحدة بين الفرقاء فى المدن الاغريقية حتى لو كانت تلك الوحدة تحت لواء شخص غير اغريقى (٢) .

- بعد أن حدثت المواجهة العسكرية بين فيليب المقدونى والاغريق ممثلين فى جيش كل من أثينا وطيبة وأدت إلى هزيمة الاغريق فى موقعة خايرونيا ٣٣٨ ق.م تمكن فيليب المقدونى من اخضاع بلاد اليونان. وأعلن فى مؤتمر عام عقده فى كورنثه – استجابت له كافة الدول اليونانية ماعدا اسبرطه – قيام الاتحاد الهللينى . ليتحقق بذلك

---

(١) فادية أبو بكر ، مصر فى زمن البطالمة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦، ص٣٩ .

(٢) فادية أبو بكر ، نفس المرجع السابق ، ص٤١ ، وعن فشل محاولات الوحدة اليونانية ممثلة فى « حلف ديلوس » ، راجع أحمد غانم حافظ ، الفكر السياسى الآثينى ، دراسة من خلال كتاب التحقيقات لثوكيديديس »، رسالة دكتوراة ، الاسكندرية ، غير منشورة، ٢٠٠٤م .

السلام العام Koınê Erênê ورأى أحد الباحثين أن الاتحاد الهللينى كان هو الخطوة الأولى فى محاولة فيليب المقدونى لتكوين امبراطورية عالمية [1] .

- ويبدو للكاتب أن فيليب المقدونى قد غلف رغبته فى إنشاء امبراطورية عالمية برغبته فى الإنتقام فى الفرس لما أحدثوه من تخريب فى معابد الآلهة اليونانية فى الحروب الفارسية فى القرن الخامس ق.م ومن هذا المنطلق فوض مجلس الإتحاد الهللينى لفيليب سلطات كاملة ومنحه لقب «قائد» لبلاد الاغريق Stratêgos autokrato . وبعد أن أعد فيليب العدة وأخذ أهبته للحرب اغتيل فى عام ٣٣٦ ق.م أثناء الاحتفال فى العاصمة «آيجاى» بزواج ابنته من الاسكندر ملك ابيروس وعلى الرغم من شدة الغموض الذى يحيط بحادثة اغتياله إلا أن هناك من يرجح أنه اغتيل لأسباب شخصية[2] .

- هكذا لقى فيليب مصرعه وهو فى سن السادسة والأربعين ومعظم معلوماتنا عنه نستمدها من كتابات ألد أعدائه عنه وهو ديموسثنيس لأن تاريخ حياة فيليب المقدونى الذى دونه المؤرخ ثيوبومبوس لم يصلنا منه إلا شذرات .

- وقع عبء إتمام مهمة فيليب المقدونى على كاهل ولده وخليفته على عرش مقدونيا الاسكندر الأكبر Alexander the Great - megas . Alexandros

---

(١) حسين أحمد الشيخ ، العصر الهللينستى ، (مصر) ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٩م ، ص٢٩ .

(٢) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٥٤ .

ثانيا : الإسكندر الأكبر ٣٣٦ - ٣٢٣ ق.م :

بعد وفاة فيليب المقدونى الثانى ترك الإسكندر الثالث ورائه Antipater ليحكم بلاد اليونان بدلاً عنه وذلك بهدف استكمال مهمة مواجهة الفرس حيث قام بـ :

١- عبور مضيق الهلليسبونتس بجيش مؤلف من حوالى ثلاثين ألف فارس وأسطول بحرى ضم حوالى مائة وستين سفينة مقاتلة .

٢- هزيمة الامبراطور الفارسى « داريوس » فى موقعة Issos فى عام ٣٣٣ق.م وهناك عرض داريوس على الاسكندر أن يتنازل عن كل ممتلكاته فى غرب الفرات ، بالاضافة لدفع غرامة حربية تقدر بحوالى عشرة آلاف تالنت مقابل الصلح . لكن الإسكندر رفض وطلب التسليم بلا شرط .

٣- من أهم نتائج موقعة أيسوس أن دانت المدن الفينقية جميعًا بالولاء للإسكندر الأكبر ماعدا مدينة « صور » . التى ظلت صامدة فى وجه الإسكندر فترة استمرت حوالى سبعة أشهر . بعدها اتجه الإسكندر بحملته نحو مصر .

٤- وعموماً لقد منحت وفاة فيليب المقدونى المدن الاغريقبة الفرصة للانقلاب على الحكم الجديد المتمثل فى شخص الإسكندر الأكبر إذ تصورت كل من طيبة وأثينا وايتوليا وجزر البلوبونيز ان الفرصة أصبحت مواتية للتخلص من سيطرة مقدونيا . ورأت بعض المراجع أن انقلاب الدويلات الاغريقية جاء بدافع وتحريض من الفرس أنفسهم[1] فى حين يرى الكاتب أن الاغريق أنفسهم كانوا فى غير

---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٥٥ .

حاجة لمثير يحثهم على استرداد حريتهم فهم محبون للحرية بالسليقه وهذا ما يفسر ثورتهم ضد الفرس أنفسهم فى القرن الخامس قم وهو نفسه ما يفسر وقوف فريق منهم ضد دعوة فيليب المقدونى نفسه للإتحاد فى وجه الفرس .

وهناك مراجع أخرى أرجعت ثورة المدن اليونانية تلك لرغبتها فى اختبار مدى قوة الحكم الجديد [١]، على أى حال فقد استطاع الإسكندر إثبات صلابة الحكم الجديد باستيلائه على مدينة طيبة التى تزعمت الثورة واستصداره قراراً من مجلس الإتحاد الهللينى بتدميرها ولم يبق فى بيوتها سوى بيت الشاعر الغنائى بنداروس Pindaros وقتل حوالى ستة آلاف من مواطنى طيبة وبيع منهم حوالى ثلاثون ألفاً فى سوق العبيد .

وهكذا كانت هذه الحادثة فى بداية حكم الإسكندر الأكبر بمثابة إنذار شديد اللهجة للدول الإغريقية . ولكن ظل معظم الاغريق على عنادهم إذ لم يقبلوا ملكاً مقدونياً يسود مدناً اغريقية عظيمة الشأن كأثينا . واستمر ديموشنيس يحمل لواء المعارضة وينادى بمقاومة الإسكندر مثلما كان يفعل فى السابق مع أبيه . وهكذا وبفضل الاحتلال المقدونى المتصل إنتهى العصر الذهبى ، الكلاسيكى ، وهو المعروف بعصر دولة المدينة الذى كانت تتمتع فيه المدن الاغريقية بالاستقلال التام .

---

(١) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص١٢ .

ثالثا : نشأته وأثرها على فكره :

- ولد الإسكندر الثالث ابن فيليب المقدونى الثانى عام ٣٥٦ ق.م . وتتلمذ على يد أناكسيمنيس معلم البلاغة من لامبساكوس[١] وأرسطو من ستاجيرا. الذى علمه منذ أن كان فى الثالثة عشر من عمره فتتلمذ على يديه فى الأخلاق Ethics والسياسة Politics والفلسفة Philosophy[٢] .

- اشترك مع أبيه وهو فى سن الثامنة عشر فى معركة خايرونيا ٣٣٨ق.م واعتلى عرش مقدونيا فى سن العشرين بعد اغتيال أبيه عام ٣٣٦ق.م، وكما خلف الإسكندر أباه فيليب على عرش مقدونيا خلفه أيضاً فى زعامة الإتحاد الهللينى (الحلف الهللينى) الذى كان أداة لسيطرة مقدونيا على المدن الاغريقية والتدخل فى شئونها [٣] .

- هو ثالث من حمل اسم الاسكندر فى أسرة آيجيوس ويلقب عادة بالإسكندر الأكبر أو « الإسكندر ذى القرنين » ، وكان شديد التعلق بأمه « أوليمبياس » التى كانت يونانية الأصل وكان لها تأثيراً روحياً كبيراً فيه وورث عنها صفات كانت مناقضة لتلك التى ورثها عن أبيه .

- بدأ مغامرته العسكرية فى ٣٣٤ق.م بموقعة نهر جرانيكوس التى فتحت له أبواب آسيا الصغرى ثم انهارت أمامه المدن الليدية مثل سارديس والمدن اليونانية مثل أفسوس وميليتوس وهاليكارناسوس

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٥٥ .

(٢) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص١٢ .

(٣) لطفى عبد الوهاب يحيى ، دراسات فى العصر الهللينستى ، أبعاد العصر الهللينستى ، دولة البطالمة فى مصر ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٨م ، ص٦٧ .

واستمر بعدها فى غزو ليقية وبامفيلية وفريجيه. واستمر الإسكندر فى طريقه جنوباً حيث استولى على فينقية التى استسلمت جميعها فيماعدا « صور » التى سبق الإشارة إليها وغزه [١] .

انحدر بعدها إلى مصر التى دخلها فى ٣٣٢ ق. م دون معركة كمحرر لها من النير الفارسى وفى نهاية العام نفسه يقضى على الجيش الثانى للامبراطور الفارسى فى جاوجميلا بأعالى نهر دجلة ومن ثم يستولى على صوصه وبرسوبوليس ثم الاستيلاء على عاصمة ليديا فى ٣٢٠ ق.م والجلوس على عرش فارس .

بعدها يوسع الإسكندر دائرة فتوحاته فيصل إلى شواطئ بحر قزوين وإلى بارثيه ثم إلى بأكثره فى ٣٢٩ ق.م وإلى حدود الهند فى ٣٢٧ ق.م ثم يعود بعدها إلى بابل حيث يموت فى ٣٢٣ ق.م بعد أن أصبح سيد النصف الشرقى فى العالم المعروف .

- كان الإسكندر على درجة عالية من الذكاء بحيث يدرك نقاط ضعف الشرق ومفاتيحه وأبوابه ليدخل منها دخولاً سهلاً آمناً ومن بين تلك الأبواب الباب الدينى إذ خبر الإسكندر كيف احتل الدين مكانة كبيرة فى المجتمعات الشرقية القديمة وراح يستغل هذه المكانة فى التقرب لشعوب الشرق . فمثلاً عندما انتصر فى موقعة نهر جرانيكوس على جيوش دارا قام الإسكندر باهداء معبد البارثنون الموجود هناك ثلاثمائة درعاً فارسيًا وأمر بنقش عبارة « الإسكندر وكل الهيلينيين ماعدا اسبرطة » على كل منها [٢] . ومثال آخر زيارته لمعبد آمون

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى ، نفس المرجع السابق ، ص٦٨ .

(2) Polybius, XII., 17 - 22 .

بواحة سيوة تقليداً منه لكل من برسيوس وهيراكليس أجداد الإسكندر اللذان زارا سيوة من قبله [١] . فى حين قدمت بعض المراجع رواية أخرى تفسر هذه الزيارة ملخصها هو أن الإسكندر فى هذه الزيارة كان لا يبغى سوى زيارة والده آمون بعد الإتحاد الجزئى الذى حدث بين والدته أوليمبياس Olympias وبين آمون [٢] .

- ومن قبل زيارة الاسكندر الأكبر لمعبد آمون فى سيوة كان أول ما دار بخلده عندما استقر بمنف عاصمة مصر فى ذلك الوقت هو أن يظهر احترامه للديانة المصرية ولذلك نراه وقد قدم القرابين فى معبد الاله بتاح والعجل المقدس أبيس ، ويقال أنه توج فرعونًا فى معبد الإله بتاح طبقًا للطقوس الدينية المصرية ، وقد رأت فادية أبو بكر أن الإسكندر أراد بتشبهه بالتقاليد المصرية وبتقديمه القرابين إلى بتاح وأبيس ضمان ولاء المصريين له [٣] وهنا يرى الباحث رؤية مختلفة حيث يرفض الباحث فى الواقع فكرة حرص الإسكندر على ولاء المصريين من عدمه فهم استقبلوه استقبال الفاتحين ورحبوا به وتقبلوه وحاز هو على ولائهم قبل أن يروه بفضل ظروفهم الصعبة التى واجهوها مع الفرس ويرى الباحث أنها مجرد محاولة دبلوماسية يقدم بها الإسكندر الأكبر نفسه لأهم دولة فى الشرق وهى مصر بهدف إيجاد نوع من التوحد بينه وبين أحد أهم شعوب الشرق من الناحية النفسية والاجتماعية على الأقل بهدف إحكام سيطرته

---

(1) Arrianus, III, 3. Cf. Kallisthenes. Fr. XIV.

(2) P. Jouguet, Alexander The Great and The Hellenstic Civilization, Chicago, 1978, pp. 21 - 6 .

(٣) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ٦٢ .

على هذه الشعوب سيطرة نفسية تدعم دون شك سيطرته العسكرية عليها .

- والجدير بالذكر أن الإسكندر فى غمرة إهتمامه بالآلهة الشرقية لم ينس حضارته الهللينية فنجده يؤكد على احترامه للنوعين من الديانات الشرقية والغربية على حد سواء ، وذلك حين أقام فى منف عاصمة مصر حفلاً اغريقياً رياضياً وموسيقياً دعى إليه أشهر الموسيقيين والممثلين فى العالم الاغريقى [1] وهنا يستطيع القارئ أن يدرك موضوعية الإسكندر ومنطقيته فهو لم يعلى من شأن دينه أو ألهته على شأن دين وألهة الشرق ولعله من هنا اكتسب الصبغة الحضارية الممزوجة بالطابع العسكرى وهى صبغة يندر وجودها مع العمل العسكرى الذى دائماً ما يكون مصحوباً بأهداف يتعلق إنجازها بمصالح الدول العليا . ويجد الكاتب فى تصرف الإسكندر شبهاً كبيراً - مع الفارق فى القباس - مع تصرف هيرودوت فى استهلاليته لعمله Kistoriac إذ اعترف الرجل بأن لكل من الحضارتين الشرقية والغربية له منجزاته .

ولم تكن منف التى أتى إليها الإسكندر غريبة بالنسبة للإغريق . وفى الواقع فإنه منذ حوالى القرن السابع ق.م كانتُ مجموع الجنود المرتزقة من الاغريق موجودة بمصر على فرع النيل البيلوزى حتى نقلهم الملك المصرى أمازيس إلى منف. وهكذا جاء الإسكندر إلى منف ليجد بها عناصر أجنبية من الاغريق .

---

(1) Arrianus, III, I. IV.

أما السؤال الذى ربما يطرح نفسه على ذهن القارئ بعد ما عرف عن الإسكندر الآن هو لماذا اختار الاسكندر التوجه نحو الشرق ؟ وهنا نجد الإجابة فيما عرضه حسين الشيخ حيث يذكر أن إتجاه الإسكندر ناحية الشرق أمراً طبيعياً ومتوقعاً حيث كانت الصفة الغالبة على توجه بلاد اليونان الجغرافى هى الإتجاه نحو الشرق ، فانتشار الجزر فى حوض بحر إيجه سهل الإتصال بين كل فى شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة آسيا الصغرى بفضل البحر الذى ساعد على هذا الاتصال الجغرافى (١) .

وعموماً فقد كان ظهور الإسكندر المقدونى حدثاً هاماً ليس فقط لأنه غيّر خريطة العالم السياسية بفضل فتوحاته العسكرية ولكن أيضاً لأنه بفضل فتوحاته تلك استطاع أن يوجد علاقة جديدة بين الشرق والغرب ذات طابع حضارى مع التأكيد على أن الاتصال بين اليونان والشرق كان حادثاً بالفعل قبل مجئ الإسكندر ولدينا أكثر من دليل يسجله لنا التاريخ يؤكد على هذه الحقيقة التاريخية :

الأول: يعود إلى عصر الأسرة الثامنة عشر فى عصر الدولة الحديثة حيث نجد الفرعون تحتمس الثالث يعين أحد قواده حاكماً على مجموعة جزر بحر إيجة التى فرض سيطرته عليها .

الثانى: يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد ويمثله أشعار هوميروس صاحب ملحمتى الالياذة والأوديسية ، حيث صور لنا هوميروس فى ملحمته « الالياذة » الاحتكاك العسكرى الذى حدث بين الاغريق وسكان

(١) حسين أحمد الشيخ ، مرجع سابق ، ص١١ .

آسيا الصغرى وتحديداً طروادة Troy وذلك قبل ظهور الإسكندر على الأقل بحوالى أربعة قرون .

الثالث : يمثله التأثير الدينى الشرقى على بلاد اليونان ممثلاً فى عبادة الآله آمون المصرى التى انتشرت فى اليونان حيث أقيم له معبداً فى أثينا وكان عرافوه هناك ذوى مكانه ممتازة تساووا فيها مع مكانة عرافو دلفى ودودونا (١) .

الرابع : يمثله التأثير الفنى الشرقى على بلاد اليونان ممثلاً فى مجال عمارة الأعمدة والأبهاء التى ابتدأت عند المصريين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وما اشتهرت به من قنوات طولية Flutes وانتقلت إلى بلاد اليونان وكان أول ظهور لها على أعمدة الطراز الدورى Doric order كما يلاحظ هذا التأثير الفنى الشرقى فى مجال فن النحت حيث نجد التماثيل الاغريقية المبكرة تظهر فيها نفس السمات الفنية الموجودة فى التماثيل المصرية بل وأخذت فى معظم الحالات نفس الأوضاع التصويرية (٢) .

ورغم كل تلك الأدلة على حدوث الاتصال بين حضارات الشرق والغرب قبل مجئ الإسكندر الأكبر ، إلا أنه يميل البعض لاعتبار كل تلك التأثيرات مجرد تسريبات لبعض التفاصيل الحضارية من جانب إلى جانب آخر دون أن يتبنى طرفاً أو جانباً نظام حياة الجانب الآخر مثلاً (٣) فى مقابل أن ما فعله الإسكندر الأكبر من إنجاز عسكرى –

---

(1) Plato, Nomoi, 738 C., Alkib. II., 148. E., 149 B.

(2) Breasted J. H., History of The Ancient Times., pp. 369 - 71 .

(٣) حسين أحمد الشيخ ، مرجع سابق ، ص١٢ .

تمثل فى امبراطورية شاسعة الأرجاء - كان له أثره الواضح فى حدوث المزج بين حضارتى الشرق والغرب وهى المرحلة الطبيعية التى كان لابد وأن تلى تعارفهما عن بعد فكلا الحضارتين الآن أصبحتا من وجهة النظر السياسية - على الأقل - ينتميان إلى سيد واحد وكان عليهما أيضاً أن يعملا سوياً من منطلق هذه الإطار . فكانت النتيجة أن اندمجا معاً فى تلك الفترة ليخرج علينا ذلك التزاوج الحضارى بمولود جديد عرف باسم حضارة العصر الهللينستى » .

رابعًا : تعريف العصر الهللينستى :

كلمة هللنيستى هى كلمة حديثة استعملها العلماء لتمييز هذا العصر عن العصر السابق عليه وهو العصر الهلليني والمقصود بالعصر الهلليني هو العصر الذى شهد سيادة الحضارة الإغريقية الكلاسيكية . وهى تسمية مشتقة من الأصل اليونانى Hellas ، أى بلاد اليونان . ويعود استخدام لفظة هللينستى إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، حيث كان للمؤرخ الألمانى جون جوستاف درويسون Johann Droysen فضل إطلاق هذه التسمية (١) . وقد أطلق لطفى عبد الوهاب على نفس العصر تسمية « العصر المتأغرق » أو « العصر السكندرى » على أساس أن الإسكندرية أصبحت فى هذا العصر علماً على عصر كامل له حضارته التى تمثلت فى العلوم ، والآداب والفنون (٢) .

- وتسمية هللينستى تسمية المقصود بها التعبير عن ذلك التزاوج الذى كان حادثاً بين الحضارتين الشرقية والغربية .

---

(1) Grant M., From Alexander to Cleopatra - The Hellenstic World, London, 1982, p. XII

(٢) لطفى عبد الوهاب يحيى، مرجع سابق ، ص١٦ .

- يمتد هذا العصر فى الفترة ما بين وفاة الإسكندر الأكبر فى عام ٣٢٣ق.م وحتى قيام الامبراطورية الرومانية على يد الامبراطور أغسطس فى عام ٣١ ق.م .

- لقد كانت الرغبة فى التوحد هى القاسم المشترك والسمة المميزة لهذا العصر، فتخلص الفكر السياسى اليونانى بعد وفاة أرسطو من نظرته للإنسان كحيوان سياسى ينتمى فقط لمدينته إلى حيوان عالمى Cosmopolitan أى أنه ينتمى إلى العالم الموجود .

- وانتشرت ديانات بعينها بين شعوب العالم الهللينستى مثل عبادة الربة المصرية ايزيس والآله سيرابيس وعبادة الربة اليونانية الأم وعبادة الاله السورى أدونيس والاله الفارسى الذكر ميثراً (١) .

- لقد أصبح التعاون بين المدن أمراً شائعًا وترتب على ذلك تبادل العلماء والشعراء للزيارات ومنهم من كان يقيم فى مدن غير تلك التى ينتمى إليها، كما عرف العالم الجامعات وأشهرها جامعتى الإسكندرية وبرجامة (٢) .

- وشهد العصر الهللينستى إنتشار المكتبات ورغم أن العالم قد عرف المكتبات من قبل العصر الهللينستى مثل تلك التى أقامها أرسطو فى أثينا إلا أن العصر الهللينستى شهد قيام مكتبات عظيمة أخرى منها :

---

(١) سيد الناصرى ، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى فى العصر الهللينستى ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص١٠٣ .

(٢) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٤ ، ص٣٧٠ .

١- مكتبة برجامة .

٢- مكتبة أنطاكية .

٣- مكتبة رودس .

٤- مكتبة أزمير .

وكانت أشهر المكتبات في ذلك العصر هى تلك التى أقيمت فى مصر وتحديداً في الإسكندرية فى عصر سوتير (بطليموس الأول) وما لبث البطالمة أن أقاموا مكتبة أخرى فى سيرابيوم الإسكندرية ارتبطت بالمكتبة الأم. وقد مثلت مكتبة الإسكندرية لقاءاً تاريخياً بين حضارة مصر القديمة وحضارة اليونان فى أكثر من جانب [١] .

وقد ساهمت هذه المكتبة بالإضافة إلى نشاط علماء مدرسة الإسكندرية فى جعل مدينة الإسكندرية عاصمة للعلم والثقافة فى العالم وتفوقت على مدينة أثينا فيماعدا فى مجال الفلسفة حيث احتفظت أثينا بمكانتها البارزة فى هذا المجال .

كذلك يحدثنا تارن فى كتابة « الحضارة الهلينستية » عن ازدياد فى دور ومكانة المرأة فى هذا العصر . ويستدل على ذلك من خلال مكانة الأميرات المقدونيات اللائى لعبن دوراً فى مجال العمل السياسى وفى مجال قيادة الجيوش مثال :

١- أرسينوى الثانية زوجة بطليموس الثانى .

---

(١) أحمد عتمان ، زفاف عروس المكتبات ، دراسة لطفى عبد الوهاب يحيى، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، نصوص مسرحية / شهرية / ٢٠٠١، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ص١٠ .

٢- كليوباترة الثالثة .

٣- كليوباترة السابعة آخر ملكات الأسرة البطلمية فى مصر [١] .

خامساً : الإسكندر الأكبر فى مصر :

- أبحر الاسكندر فى الفرع البلوزى لنهر النيل ووصل إلى مدينة « منف » مقر عبادة الاله « بتاح » وهناك حرص على اظهار احترامه للديانة المصرية وقدم القرابين للاله بتاح كما أنه أظهر احترامه للكهنة وترجح بعض الآراء أنه توج هناك فرعوناً طبقاً للطقوس المصرية [٢] ، وذكرنا فى السابق أنه كان حريصًا على أن يؤكد على انتمائه للحضارة الاغريقية وأنه ممثلاً لها فى الشرق عن طريق اقامته مهرجاناً رياضياً وموسيقياً فى منف على الطريقة الاغريقية .

- أبحر الإسكندر بعد ذلك فى الفرع الكانوبى للنيل حتى مصب هذا الفرع عند مدينة كانوب (أبوقير الحالية) وسار بعدها براً قاصداً مدينة قورنية Cyrene وهى مستعمرة بناها الاغريق على ساحل ليبيا وكانت تابعه للفرس.

- أثناء سير الإسكندر بمحاذاة البحر المتوسط لفت انتباهه موقع قرية صغيرة يسكنها الصيادون المصريون تسمى Rhacotis وتقع أمامها فى البحر جزيرة صغيرة تسمى Pharos [٣] فقرر اقامة مدينة فى هذا الموقع لسببين :

---

(١) د. تارن ، الحضارة الهللينستية ، ترجمة زكى على ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص١٠٩ .

(٢) إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، جـ١ ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص٢٠ .

(3) Arrianus, III. 105 .

الأول : رغبته فى تخليد اسمه من خلال إقامة المدن .

الثانى : رغبته فى خلق ميناء يسلب مدينة صور أهميتها التجارية .

- عهد إلى مهندس يدعى دينوكراتيس Deinocrates بتخطيط المدينة بعد أن أقيم جسد ليصل بين اليابسة والجزيرة عرف باسم «جسر الفراسخ السبع» Hebta Stadion ، وحملت المدينة الجديدة اسمه فعرفت بالإسكندرية [١] .

- بعد أن وضع حجر الأساس لمدينة الإسكندرية واصل السير تجاه الغرب حتى وصل إلى « برايتونيوم » مطروح حاليًا . حيث التقى بوفد من مدينة قوريني جاء خصيصًا لمبايعته وتقديم الهدايا له وبالتالى عدل عن التوجه إلى قورينه .

- قرر بعدها أن يخترق الصحراء جنوبًا إلى واحة سيوة حيث يوجد معبد الإله آمون وهو معبد نال شهرة عالمية فى ذلك الوقت بوصفه أشهر معابد الوحى فى العالم وتحدثت الكثير من الدراسات بشأن تلك الزيارة فى ثلاثة أصناف :

* صنف من هذه الدراسات رأى أن هذه الزيارة كانت ضرورية كى يظهر الإسكندر احترامه واهتمامه بالآلهة المصرية .

* صنف يرى أن هذه الزيارة كانت هامة بالنسبة للإسكندر كى يؤكد إنتسابه للآله آمون وبالتالى يحصل على شرعية الحكم فى مصر .

---

(١) تروى المصادر أنه لم يتوافر الجير الكافى لتحديد موقع أسوار المدينة فاستعانوا بالدقيق الذى كان مخصصًا لطعام الجنود وذلك لإتمام التخطيط وهبطت الطيور على الموقع لإلتقاط الدقيق ، فاعتبر فألاً حسنًا للمدينة ، راجع: Strabo, X. VII 6 .

* صنف يرى أن هذه الزيارة كانت هامة بالنسبة للإسكندر الأكبر كي يطمئن من خلال سؤاله للوحى عن مدى نجاح خططه المستقبلية .

- بدون شك كانت رحلة الإسكندر إلى واحة سيوة محفوفة بمخاطر جمة إذ لم يعتاد الجنود الاغريق والمقدونيين السير براً فى دروب صحراوية .

- وعلى أية حال فلدى وصول الإسكندر إلى معبد الآله آمون قام كبير كهنة المعبد هناك باستقباله ملقباً إياه ، ابن الآله آمون ، ودعاه إلى دخول قدس الأقداس بمفرده ونظراً لأن كبير الكهنة أفهم الإسكندر بأن ما يدور فى مجرة قدس الأقداس ينبغى أن يبقى سراً لا ينبغى البوح به فظل فحوى الحوار وطبيعة المقابلة أمراً غامضًا ويبدو أن الإسكندر كان ينوى البوح لوالدته أوليمبياس بتفاصيل الحوار كما جاء فى رسالته التى أرسلها لها بعد هذه الزيارة مرة ثانية إذ قضى نحبه وهو فى طريق العودة ودفنت معه أسرار زيارته لوصى الاله آمون .

- ويتحدث أبو اليسر فرح عن بعض أسئلة سألها الإسكندر لوحى الآله آمون ويبدو فى وجهة نظره أن الإسكندر اطلع عليها بعضًا من رفاقه لأهداف سياسية بحتة . ومنها أنه أبلغ رفاقه عن سؤاله للوحى عن ، من قتل أبيه ؟ ، وأن الوحى قد أجابه بأن قاتل أبيه قد نال عقابه وربما أراد الإسكندر أن يبطل الإتهام الذى كان يحوم حول الإسكندر نفسه ووالدته بشأن أن لهم دور فى التآمر على مقتل فيليب [١] .

---

(١) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٢٩٠ .

- بعد أن أنهى الإسكندر زيارته لسيوة عاد مرة أخرى إلى منف حيث تفرغ لإعادة نظم الحكم والإدارة هناك على أسس جديدة غير تلك التى كان الفرس قد أرسوها ابان حكمهم البائد . ويذكر ب. م. فريزر أن الإسكندر قد منح مصر استقلالاً داخلياً عن طريق تقسيمه لمصر إلى قسمين تحت قيادة حاكمين [1] هما :

١- بتسيس .

٢- دولوابسبس .

وهما مصريان .

أما الأقاليم المجاورة للدلتا فقد وضعت تحت إشراف اثنين من الاغريق هما :

١- أبوللونيوس (حاكماً على ليبيا) .

٢- كليومينيس من نقراطيس (حاكماً على شرق الدلتا) .

الذى عهد إليه بالإدارة المالية والإشراف على إنشاء مدينة الإسكندرية[2] . وجمع الضرائب فى الحاكمين المصريين .

ويحدثنا أريانوس عن نقص واضح فى هذا النظام الإدارى وهو ما يمثله عدم وجود منصب حاكم عام للبلاد وفسر أريانوس ذلك بأنها عملية ربما كانت مقصودة من قبل الإسكندر الأكبر حتى يمنع وجود أى حاكم بمفرده فى مصر قد يفكر يوماً فى الاستقلال بمصر [3] .

---

(1) P. M. Fraser, Ptol. Alex., p. 250 .

(2) Bowman A. K., Egypt after the Pharaohs, London, 1983, p. 22 .

(3) Arrianus, III, 5 - 7 .

ورأى أحد الباحثين أن هناك سمات ثلاث يمكن رصدها من خلال تلك النظم التى أقرها الإسكندر فى مصر [١] .

السمة الأولى : وهى الحب الذى أبداه الإسكندر تجاه المصريين فاختار من بينهم حاكمى الوجهين البحرى والقبلى ليضمن ولاء المصريين له .

السمة الثانية : خشيته على صالح الامبراطورية والمتمثلة فى رفضه تعيين حاكم عام لمصر وبذلك تفادى خطر استقلال واحد بالسلطة .

أما السمة الثالثة : فهى أن هذه التنظيمات خاصة ما يتعلق منها بالإدارة المالية وكيف أن الإسكندر جعل المصريين يؤدون ضرائبهم لحكامهم ثم يجمعها منهم كليومينيس الاغريقى إنما تدل على ذكاء الإسكندر فى تعامله مع المصريين وأنه لم يشعرهم بأنهم أجانب أو دخلاء آتون لجمع المال .

ولم يتبقى إلا أن نذكر أن الإسكندر دخل مصر فى ٣٣٢ ق.م وتميز دخوله بأنه كان دخولاً سلمياً بل واستقبله المصريين بترحاب شديد إذا اعتبروه مخلصاً لهم من نير الاحتلال الفارسى [٢] .

وفى عام ٣٣١ ق.م عاد الإسكندر مرة أخرى إلى آسيا حيث انتصر على داريوس فى موقعة Gaugamela ثم سار إلى ايران حيث دخل برسيبوليس عاصمة الإمبراطورية الفارسية ثم استولى على سمرقند

---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٦٥ .

(٢) أسد رستم ، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدونى إلى الفتح الرومانى ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ص٢٠ – ٣١ .

وأفغانستان حتى وصل إلى الهند ثم قفل الإسكندر راجعاً إلى بابل حيث مرض بالحمى ومات فى يوم ١١ يونيو عام ٣٢٣ ق.م .

قضية تأليه الإسكندر :

إن فكرة تأليه البشر خاصة وإن كانوا من القادة العسكريين لم تكن فكرة واردة أصلاً فى الثقافة الدينية اليونانية(*) ، وإذا كان هناك من البشر من قام الإغريق بتأليهه فقاموا بوضعه فى مرتبة أنصاف الآلهة. ومن هنا يأتى السؤال كيف طرأت على الإسكندر الأكبر فكرة أن يكون مؤلهاً ؟ وإلى أى مدى لاقت هذه الفكرة أو المحاولة قبولاً لدى رعاياه أو من فرض عليهم سيطرته وللإجابة على مثل هذه الأسئلة علينا أن نقف عند بعض محطات فى حملة الإسكندر الأكبر لنرى ما هى المؤثرات التى ربما كانت سبباً فى ذلك التغيير الذى طرأ على سلوك الإسكندر الأكبر .

أولاً : الأثر الفارسى :

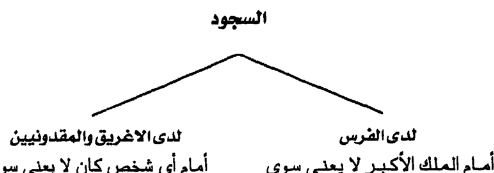
– لقد كان لاحتكاك الإسكندر الأكبر بالفرس أثراً كبيراً عليه إذ بدأ يتشبه بالفرس ويرتدى ملابسهم ويقلد بعض عاداتهم وقيل أنه وضع على رأسه ما يشبه التاج الفارسى .

ومرجع ذلك هو اعجابه ببعض الشخصيات الفارسية ممن التقى بهم والدليل على ذلك نجده فى مطالبته زملاءه المقدونيين بأن يؤدوا له

(*) على سبيل المثال لا الحصر شخصيه أجاممنون وأوديسوس وكلاهما من أبطال اليونان فى الحرب على طرواده إذ وقفت الشخصيتان عند مجرد طبيعتهما البشرية دون أن يرفعوا إلى مصاف الآلهة

التحية على الطريقة الفارسية والتى كانت تعنى السجود له . Proskynêsis

- وهنا يود الكاتب أن يلفت انتباه القارئ إلى أن السجود كان له مدلول فى الشرق (الحضارة الفارسية) يختلف تماماً عن مدلوله فى الغرب (الحضارة اليونانية) .



أمام الملك الأكبر لا يعنى سوى الاحترام ، دون أى تأليه .

أمام أى شخص كان لا يعنى سوى العبادة وهى عادة رأى هؤلاء أنها لا يجب أن تحدث إلا للآلهة فقط ، لأنه لو حدث أمام البشر فهو يعنى المهانة والعبودية .

- أثارت دعوة الإسكندر تلك ردود فعل مختلفة بين ساخر مستنكر وبين رافض بشكل قاطع لهذه الدعوة وبين مستجيب ورغم أن الإسكندر لم يكرر الدعوة ولم يصر على سجود زائريه إلا أنها دعوة تنم عن محاولة ما من قبل الإسكندر لتأليه نفسه وربما كانت فى وجهة نظر الكاتب محاولة لاختبار مدى نجاح وقبول الفكرة من عدمه .

ثانيا : الأثر الأرسطى :

- أرسطو ، المعلم الأول ، كان أستاذاً للإسكندر الأكبر وعلمه فى كثير من العلوم ، وكتب أرسطو فى كتابه ، السياسة ، Polilics قائلاً أن منزلة الملك كمنزلة الاله بين البشر وأن الملك لا ينبغى أن يخضع لإرادة الآخرين .

ولم يكن أرسطو وحده هو صاحب فكرة حق الملوك الإلهى ولكن شاركه وجهة النظر تلك كل من ايسوكراتيس ذلك الخطيب الأثينى الذى ظل يدافع عن فيليب وفكرة الإتحاد الهللينى وأحد أتباع المدرسة الفيثاغورية وهو ديوتوجنيس .

وربما كان هذا الفكر وراء تصرف الإسكندر القاسى إزاء ثورة المدن اليونانية ضده بزعامة طيبة .

- وعموماً يجب أن نوضح حقيقة هامة ونحن بصدد مناقشة قضية تأليه الإسكندر وهى إنه وإن كان من غير المستبعد أن يكون الإسكندر قد تأثر بهذه الأفكار السياسية عن طبيعة الحكم الإلهى إلا أنه ورغم ذلك طالب رفاقه بالسجود له ولم يطالبهم بتأليهه طيلة حياته على أى حال .

- وهناك من يروى أن الإسكندر قبل وفاته بعام واحد أى عام ٣٢٤ ق.م طلب من المدن اليونانية فى مرسومين رسميين أن تعترف به بوصفه إلهاً وهنا انقسمت المدن اليونانية إلى قسمين :

قسم يدعو إلى إجابة طلب الإسكندر ويمثله الخطيب ديموستنيس الذى طلب من الاثينيين الموافقة على تأليه الإسكندر لمساومته على رفضهم طلبه بارجاع المنفيين السياسيين [(١)] .

قسم تقبل الفكرة على أساس معرفة الاغريق لآلهة كثيرة من خلال مجمع الآلهة الإغريقى وبدافع الخوف منه ويمثله اسبرطة .

ولم تخلو فكرة طلب الإسكندر تأليه نفسه من محاولة لتوظيف الدين لخدمة السياسة وهو المبدأ الذى سنرى خلفائه من البطالمة فى مصر يسيرون عليه .

وقد يجد القارئ تناقضاً فى شخصية الإسكندر الأكبر وبين معتقداته الحضارية وتصرفاته السياسية كملك،فهو من جهة كان معجبًا بالحضارة اليونانية ممثلة فى مدينة أثينا تلك المدينة التى وصلت سريعاً إلى النظام الديمقراطى ومن جهة أخرى لم يشأ أن يتبنى هذا النظام فى حكمه للدول التى سيطر عليها مفضلاً عليه النظام الملكى .

لكن بوجهة نظر الكاتب أنه ذلك لا يشكل تناقضًا فى شخصية الإسكندر بقدر ما يعبر عن مهارة وحنكة سياسية محضة إذ اختار ما يصلح من النظم السياسية الأفضل لظروفه . وبدون شك فى ظل وضع الإسكندر كقائد يحكم عدد متباين من الشعوب إختلفت فى لغاتها وعاداتها ونظمها السياسية يصبح إطلاق الديمقراطية حينئذ بمثابة تهور

---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٦٩ .

قد يكلفه فقدان جميع مكتسباته مع مرور الوقت . وبالتالى فكان اختياره للنظام الملكى بما يوفره من مركزية للسلطة هو الأفضل لظروف عصره إذا رغب فى الاحتفاظ بمنجزاته .

وهنا وعلى الرغم من أن الإسكندر قد عاد بالمدن اليونانية فى ظل حكمه لها إلى النظام الملكى الذى كانوا قد تخطوه بفترة طويلة إلا أنه يعود إليه الفضل فى الخروج بالفكر السياسى اليونانى من حيز البحر المتوسط إلى حيز القارات فهو أول من نبه اذهان الاغريق إلى فكرة الإمبراطورية بغض النظر بالطبع عن الإمبراطورية الأثينية التى سقطت مع سقوط حلف ديلوس أو الحلف الأثينى الأول .

نتائج وفاة الإسكندر :

١- النتيجة الأولى « مشكلة ولاية العرش » :

– كانت المشكلة الكبرى التى واجهت القادة المقدونيين فى بابل بعد وفاة الإسكندر هى ولاية العرش (١) إذ مات الإسكندر دون وريث شرعى، ورغم أن الاسكندر كان متزوجاً بالفارسية الجميلة روكسانا ورغم أنها كانت تحمل بين أحشائها ابن الإسكندر إلا أنها لم تضعه إلا بعد وفاته . وكان طبيعياً أن يتم رفض الاعتراف بهذا المولود وريثاً شرعياً بمفرده للإسكندر على أساس أن أمه فارسية الأصل وبالتالى ستؤول ممتلكات الإسكندر إلى الفرس من جديد (*) .

---

(١) إبراهيم نصحى ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ص٤٥ – ٤٩ .

(*) عن اقتراحات القادة المختلفة راجع فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٧٩ .

- كان للإسكندر أخ غير شقيق يدعى أرهيدايوس وكان مريضاً بالصرع ولا يقوى على إدارة شئون الإمبراطورية خاصة فى ذلك الظرف العصيب .

- وحينما سئل الإسكندر وهو على فراش الموت – وكما يروى لنا ديودوروس الصقلى – لمن يؤول العرش ؟ أجاب ... « للأقوى » وهى الإجابة التى لابد وأن أوقعت قادته وزملائه فى كثير من الحيرة ولم يكن أمامهم سوى اتباع التقاليد المقدونية التى تقضى بأن يعلن الجيش الملك الجديد [1] .

- وفى رواية أخرى لديودووس الصقلى أن الإسكندر قد سلم خاتم الملك وهو على فراش الموت إلى برديكاس Perdiccas أقوى شخصية فى بابل وصاحب المركز الأسمى فى الحملة بعد الإسكندر ورئيس أركان حرب الإسكندر [2] .

٢- النتيجة الثانية « امبراطورية بلا تنظيم إدارى » :

كانت وفاة الإسكندر مفاجأة للجميع ، وكانت الإمبراطورية لازالت فى طور التكوين الإدارى فهى لم تكن قد عرفت بعد نظاماً إدارياً محدداً ثابتًا تسير عليه إذ كان الإسكندر مشغولاً بحملاته العسكرية وكانت تنظيماته الإدارية كلها ذات طابع مؤقت وسريع [3] .

إنتقلت السلطة الفعلية إلى « برديكاس » الذى دعا كبار القادة إلى

---

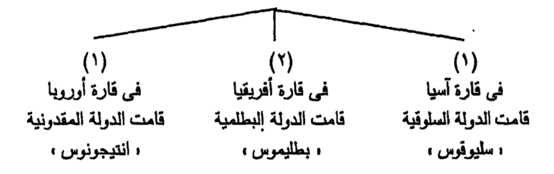
(1) Diod. Sic., XVII., 117 .
(2) Idem, XVIII., 2,4 .

(٣) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٣٤ .

إجتماع للإتفاق على تقرير مصير الإمبراطورية . وكانت قضية هذا الاجتماع المحورية هى هل يمكن الاحتفاظ بوحدة الإمبراطورية ؟! وسرعان ما تغيرت هذه القضية بعد أن ظهرت اتجاهات مختلفة كلها يميل إلى رفض فكرة الإبقاء على الامبراطورية موحدة ليتحول الاجتماع إلى منافسة وصراع بين خلفاء الإسكندر حول النيل من ممتلكاته وتحقيق أقصى فائدة سياسية واقتصادية .

إنتهى الإجتماع إلى أن يظل الحكم فى بيت فيليب المقدونى وأن ينتقل عرش الإسكندر إلى فيليب ارهيدايوس مع الاعتراف بحق جنين روكسانا –حين يولد – إذا كان ذكراً فى مشاركة ارهيدايوس على العرش بوصفه شريك لكن تحت الوصاية [١] .

قرر المؤتمر إعادة تنظيم شئون الامبراطورية حماية لها من الضياع بتقسيم ولايات الامبراطورية بينهم لإدارتها بوصفهم ولاة معينين من قبل الأسرة الحاكمة المقدونية . وسميت هذه الولايات ساترابيات. ونتج عن ذلك قيام دول ثلاث جديدة شملت ثلاث قارات :



---

(١) قبل أن يرحل القادة عن بابل وضعت روكسانا ذكراً أطلق عليه اسم الإسكندر الرابع وشارك بالفعل عمه ارهيدايوس فى العرش راجع : سيد الناصرى ، مرجع سابق ، ص٩٧٠ .

ولم يكن مقدراً لهذه الممالك الهللينستية أن تعمر طويلاً إلا اثنتان منهما وهم الدولة البطلمية والسليوقية فى سوريا ولم يهتم أى منهم باقامة دولة قومية لكن اهتموا فقط باقامة أسر حاكمة تستهدف مصالحها الذاتية قبل كل شئ (١) .

وقدر للدولة البطلمية على وجه التحديد أن تبقى نحو ثلاثة قرون وهى بذلك تعد من أطول الدول التى تخلفت عن امبراطورية الإسكندر بقاءاً امتدت من ٣٠٥ق.م بتولى بطليموس الأول عرش مصر بوصفه ملكًا وحتى ٣٠ ق.م حين تحولت مصر لتصبح ولاية رومانية بعد سقوط الدولة البطلمية على أثر انتصار أوكتافيانوس (أغسطس فيما بعد) على قوات كل من ماركوس أنطونيوس وخليفته كليوباترة السابعة آخر ملوك البطالمة فى مصر فى موقعة أكتيوم البحرية عام ٣١ق.م (٢) .

---

(١) عاصم أحمد حسين ، دراسات فى تاريخ وحضارة البطالمة ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٧ ، ص٢٠ .

(٢) عن العلاقة بين ماركوس أنطونيوس وكليوباترة راجع مصطفى العبادى ، الامبراطورية الرومانية النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٦ ، ص ص٧٣ – ٧٥ .

تاريخ البطالمة السياسى فى مصر

الفصل الثانى
تاريخ البطالمة السياسى فى مصر

إتفقت معظم المراجع العربية والأجنبية على أن تاريخ البطالمة السياسى يقع فى فترتين تسمى الفترة الأولى بعصر القوة والثانية بعصر الضعف ، أما عصر القوة فيبدأ منذ تولى بطليموس الأول عرش مصر بوصفه ملكاً حتى نهاية عصر بطليموس الخامس .

وعصر الضعف يبدأ من بعد بطليموس الخامس حتى كليوباترة السابعة آخر ملوك البطالمة على مصر .

وفى هذا الفصل سوف نستعرض تاريخ الملوك البطالمة وسياستهم المختلفة فى مصر سواء سياستهم الداخلية أو الخارجية بهدف توضيح كيف أثرت سياسات هؤلاء الملوك على تاريخ مصر فى تلك الفترة . وبهدف التعرف على أهداف هؤلاء الملوك المختلفة ومتابعة كيف ظلت هذه الأهداف ثابتة أم تغيرت بتغيير ظروف عصر كل منهم .

١- بطلميوس الأول (سوتير) ٣٢٣ ق.م - ٢٨٤ ق.م Sòter :

- بطلميوس الأول ينحدر نسبة إلى إحدى العائلات المقدونية النبيلة ، وكان أكبر من الإسكندر ببضعة أعوام وكان من بين أصدقائه القريبين.
- شهد مع الإسكندر فترة المنفى التى عاشها مع أمه أوليمبياس أثناء غضب فيليب منهما وعاد إلى مقدونيا مع عودة الإسكندر .

- كان عضواً فى مجلس الحرب الأعلى وحرص على تسجيل مذكراته فى أثناء مشاركته فى حملات الإسكندر تلك المذكرات التى ضاعت ونعلم ما ورد بها من خلال ما وصل لنا من خلال كتابات أريانوس صاحب كتاب «الحملة» Anabasis .

- كان هو أول والى مقدونى يتولى حكم مصر بشكل رسمى منذ عام ٣٢٣ عقب مؤتمر بابل وفى عام ٣٠٥ ق.م اتخذ لقب ملك Basileus ليصبح مؤسس الدولة البطلمية فى مصر .

بطلميوس الأول واليًا على مصر Satrab :

- بعد وصوله إلى مصر وقبل أن يعلن نفسه ملكاً عليها وجد كليومينيس النقراطيسى هناك وقد كان الإسكندر عينه قبل وفاته مشرفاً مالياً .

- أثار وضع كليومنييس فى مصر ذلك الوضع الهام انتباه بطلميوس لاسيما وأنه يعلم بصداقته الوطيدة مع برديكاس الوصى على العرش .

- انتهز بطلميوس الفرصة عندما ثارت ثائرة المصريين ضد كليومنييس جراء الإجراءات المالية التى كان يفرضها فأمر بإعدامه ومصادرة ممتلكاته . وهكذا تخلص من شخصية طالما أرقته .

- استطاع أن يؤمن حدود الولاية (مصر) الغربية عن طريق ضم قورينه وهى مستوطنة اغريقية تقع على حدود مصر الغربية وكان فى كل ذلك تحت مراقبة برديكاس الوصى على عرش الإمبراطورية .

- والسؤال الذى ربما يطرح نفسه هو لماذا كان برديكاس يراقب تصرفات بطلميوس الأول أثناء ولايته على مصر ؟ وهل كان هو الوالى الوحيد المراقب من قبل برديكاس ؟ والإجابة هى أن برديكاس

كان فى الواقع يراقب سلوكيات جميع الولاة بمن فيهم بطلميوس الأول بن لاجوس Ptolemy son of lagos خاصة بعد أن ظهرت بين معظمهم محاولات للاستقلال .

- لقد أكدت حادثة إعدام كليومينيس لدى برديكاس صدق عزم بطلميوس على الاستقلال بمصر كما زاد ضمه لمدينة قورينه فوق التأكيد يقيناً. ومن جهة أخرى بدأ جميع الولاة ومن بينهم بطلميوس يضيقون ذرعًا ببرديكاس خاصة أنهم فسروا تصرفاته على أنها محاولات منه للإستيلاء على العرش ويقال أن جميع الولاة شكلو حلف ضده ومن بينهم بطلميوس الأول [١] .

- وبعد أن تقرر فى مؤتمر بابل تحنيط جثمان الإسكندر على يد أطباء مصريين على أن يدفن فى بابل نجد بطلميوس يخطط لتغيير مسار الجثمان بدلاً من أن يتجه إلى بابل إتجه إلى منف حيث دفن هناك فى البداية ثم نقل للإسكندرية بعد أن جعلها عاصمة مصر وربما كان يهدف بطلميوس من دفن جثمان الإسكندر فى مدينة الإسكندرية عاصمة مصر إلى التبرك به إذ ارتفع الإسكندر فى نظر الإغريق إلى مرتبة التقديس [٢].

بطلميوس الأول ملكًا على مصر Basileus :

- تتلخص سياسته الداخلية فى مصر فى أربعة عناصر أساسية هى :

١- إتخاذه لنظام الحكم الملكى .

---

(١) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٤١ .

(٢) راجع : ايدرس بل ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ترجمة عبد اللطيف أحمد على ؛ بيروت ، ١٩٨٨ ، ص٤٢ – ٤٣ .

٢– اعتماده على العنصر الإغريقى .

٣– الإبقاء على المدن اليونانية فى مصر .

٤– محاولة إيجاد نوع من الوحدة الدينية [١] .

ولنأخذ الآن كل عنصر على حدى :

١- إتخاذ بطلميوس الأول لنظام الحكم الملكى :

هنا يبرز تساؤل هام حول أسباب إتخاذ بطلميوس الأول لنظام الحكم الملكى رغم أنه يمثل الحضارة اليونانية تلك الحضارة التى وصلت لمعرفة النظام الديمقراطى ولماذا لم يقتبس النظام الديمقراطى وقبل الإجابة يجد الكاتب تشابهًا إن لم يكن تطابقًا بين كل من بطلميوس الأول والإسكندر الأكبر فى هذا الصدد . فكلاهما اختار النظام الملكى لحكم مصر .

وعلى الرغم من أن الرأى القائل بأن اختيار بطلميوس الأول للنظام الملكى فى مصر رغبة منه فى تثبيت أوضاع المصريين السياسية التى درجوا عليها منذ أوائل عصورهم رأيًا له وجاهته ومنطقيته ومصداقيته التاريخية إلا أن الكاتب يرى أن حرص بطلميوس الأول على أن يفرض كامل سلطانه على مصر جعله يقتبس النظام الملكى فهو الوحيد الذى يحقق مركزية الحكم والإدارة .

٢– أما بشأن اعتماده الأساسى على العنصر الاغريقى فمرجعه الأساسى هو أنه مقدونى الأصل اغريقى الحضارة ، فكان يثق فى الحضارة

---

(١) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٤٥ .

اليونانية التى ينتمى إليها وترجم هذه الثقة بالاعتماد على أبناء هذه الحضارة ، كما أن هناك سراً أخراً يمكن من وجهة نظر الكاتب أن يكون قد لعب دوراً مؤثراً فى إعتماده على العنصر الاغريقى خاصة فى جوانب الدولة الحساسة كالجيش والاقتصاد والإدارة ألا وهو تأثره بآراء أرسطو بشأن صلاحية الاغريق دون غيرهم من البرابرة لشغل المناصب الإدارية والقيام بأعمال السياسة .

وأخيراً ربما كان اعتماد بطلميوس الأول على الاغريق بشكل أساسى بسبب عدم ثقته بالمصريين لاسيما وأنه كان لايزال يبحث عن شرعية تدعم وصوله إلى عرش مصر بعد وفاة الإسكندر .

٣- الإبقاء على المدن اليونانية الموجودة بمصر وهى حسب ترتيبها التاريخى :

أ- نقراطيس .

ب- برايتونيوم .

جـ- الإسكندرية .

ولكنه وكما يبدو من أحداث التاريخ لم يتوسع فى إنشاء مدناً اغريقية اللهم إلا مدينة بطلمية . وربما خشى فى التوسع فى مثل هذه المدن لما تحتويه من نظماً ديمقراطية تخالف وتناقض النظام السياسى العام لمصر وهو النظام الملكى كما اختاره هو لها .

٤- محاولة إيجاد نوع من الوحدة الدينية والتى تمثلت فى ذلك الآله الجديد الذى أصبح رسمياً إلهاً للدولة وهو الإله «سيرابيس» Sarapis ، وقد جعل بطلميوس الأول هذا الإله يجمع بين الصفات الإغريقية والمصرية كى يكون أحد عوامل الوحدة بين الجنسين .

أما سياسته الخارجية . فيمكن استخلاصها فى العناصر التالية :

١- المحافظة على استقلال مصر السياسى والاقتصادى بدعم حدودها إذ استولى على :

أ- برقة لحماية حدود مصر الغربية .

ب- جوف سوريا (فلسطين فينقيا + جزء من سوريا) .

جـ- بعض الأقاليم الواقعة على شواطئ أسيا الصغرى الجنوبية .

وذلك بهدف ضمان الحصول على المعادن والأخشاب التى يفتقر إليها وادى النيل وبهدف ضمان سيادة مصر على بحر إيجة .

٢- عمل على بناء امبراطورية بحرية تضمن لمصر السيطرة على الطرق البحرية المؤدية إليها وكذلك على منافذ طريق التجارة الشرقية وقد اعتمد فى بناء هذه الامبراطورية وتشغيلها على الأجانب خاصة من المرتزقة الإغريق الذين تم استيعابهم ضمن قواته البرية والبحرية .

٣- تمكن من طرد قوات الدولة المقدونية من جزر بحر ايجة والتابعة للملك Antigonos وأحل محلها قوات بطلمية بدعوى تخليص الاغريق من سيطرة الدولة المقدونية . وقد أفاد كثيراً من تلك الخطوة إذ كسب عطف الاغريق وأصبح من السهل عليه أن يحصل على ما يحتاج من رجال ورؤوس أموال .

٤- فى إطار إعتماده على العناصر الأجنبية نجد أنه كان يمنحهم عديد من الامتيازات ويخصهم بالإختيار فى العمل فى مشروعات الإصلاح الداخلية وهو ما كفل لهؤلاء الأجانب حياة مستقرة متميزة فى مصر دون المصريين أنفسهم .

٥- عمل على تحويل الإسكندرية لتصبح عاصمة جديدة للحضارة الاغريقية بدلاً من أثينا ومن هذا المنطلق بدأ فى إنشاء جامعة الإسكندرية ومكتبتها وحرص على دعوة علماء الاغريق ومبدعيهم فى شتى المجالات للمجئ إلى مصر والإقامة بها وتفعيل أبحاثهم من خلال مكتبة الإسكندرية وجامعتها القديمة .

وعلى الرغم من أن بطلميوس الأول قد نجح فى تشييد دولة جديدة إلا أنه وبعد وفاته ترك لخلفائه مشكلة كبيرة عرفت باسم « المشكلة السورية » التى جسدتها الحروب السورية .

والحروب السورية هى الإطار الذى شهد النزاع بين كل من الدولة البطلمية والسليوقية فى سوريا ، وهو نزاع على السيطرة وعلى النفوذ من جانب كل طرف على حساب الطرف الآخر .

الحروب السورية

م	رقم الحرب	الملك البطلمى	الملك السليوقى
١-	الأولى	بطلميوس الثانى	انتيوخوس الأول
٢-	الثانية	بطلميوس الثانى	انتيوخوس الثانى
٣-	الثالثة	بطلميوس الثالث	انتيوخوس الثالث
٤-	الرابعة	بطلميوس الرابع	انتيوخوس الثالث
٥-	الخامسة	بطلميوس الخامس	انتيوخوس الثالث
٦-	السادسة	بطلميوس السادس	انتيوخوس الرابع

٢- بطلميوس الثانى فيلادلفوس ٢٨٤ ق.م - ٢٤٦ ق.م :

- قام بطلميوس الأول باستبعاد ابنه الأكبر بطلميوس الصاعقة Keraunos من وراثة العرش ووقع اختياره على فيلادلفوس الابن الثانى لكى يكون ولى عهده .

- انفرد بطلميوس الثانى بالعرش تمامًا فى عام ٢٨٤/٢٨٣ ق.م عقب وفاة أبيه مما أغضب بطلميوس الصاعقة الذى فر فى البداية إلى بلاد اليونان ولجأ إلى الملك السليوقى كى يساعده فى استعادة عرشه وهنا أبدى سيلوقس تمام الاستعداد لمساعدته وسرعان ما تنكر بطلميوس الصاعقة لسيلوقس وقتله وأصبح ملكاً على عرش مقدونيا فى حين خلف سيلوقس على العرش ابنه أنطيوخس الأول (١) .

- أسفرت المؤامرات والحروب عن ظهور ثلاث ملوك أقوياء هم :

- أنطيوخس الأول ⇐ فى الدولة السليوقية (بابل وسوريا) .

- انتيجونوس الثانى (جوناتاس Gtonatas) ⇐ فى الدولة المقدونية .

- بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) = فى الدولة البطلمية .

- تولى بطلميوس الثانى مصر وهو فى سن الخامسة والعشرين ، ولم يكن مثل والده عسكرياً صارماً بل على النقيض تماماً فقد كان محباً للترف والعلم والثقافة .

- تزوج من أرسينوى الأولى Arsinoe ابنه القائد انتيباتروس التى أنجبت له بطلميوس الثالث . كذلك تزوج بطلميوس الثانى من شقيقته أرسينوى الثانية وعرفا معاً بالألهين الأخوين adelphoi . وبعد وفاتها تقرر رفعها لمصاف الألهة وإقامة عبادة خاصة بها عرفت باسم الربة المحبة أخيها فيلادلفوس وهو نفس اللقب الذى لُقب به بطلميوس الثانى فيما بعد .

---

(١) إبراهيم نصحى ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص٩٧ .

أ- جزر الكيكلاديس .

ب- جزيرة ساموس .

جـ- بعض المدن الواقعة على ساحل أسيا الصغرى التى دانت له بالولاء [1] .

فى الغرب: ويمثله اقليم برقة

- ظهرت فى هذا الإقليم دعوة للاستقلال عن مصر ، وقد أجهضت هذه الدعوة نتيجة ظهور قرطاجة التى تحالفت فى تلك الآونة مع روما ضد المدن اليونانية ومن بينها برقة .

- وفى عهد هذا الملك كانت مصر هى أول دولة هللينستية أقامت علاقات سياسية مع روما إذ أرسل إليها سفارة فى عام ٢٧٣ ق.م [٢] . نجحت هذه السفارة فى عقد اتفاق بين الدولتين . وقد حافظ بطلميوس الثانى على صلاته الطيبة بالجمهورية الرومانية عندما وقف موقفًا محايداً فى الصراع بينها وبين قرطاجة والمعروف إصطلاحاً بالحروب البونية .

- هناك أدلة على وجود علاقات قوية بين مصر فى عصر بطلميوس الثانى وسراكيوز أقوى دولة فى صقلية ، وبين مصر وقرطجنة .

وقد رأى البعض أن الإتجاه نحو الغرب ربما كان مصحوبًا بدوافع اقتصادية قبل كل شئ [٣] .

---

(٢) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٤٧ وراجع كذلك :

Preaux C., L'Economie Royal des lagides, Bruxelles, 1439, p. 141.

(3) Bowman A. K., op. cit., p. 32 .

(٢) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٩١ .

ويقال أن بطلميوس الثانى كان دائم الصلة بالجنوب عن طريق حملاته على أثيوبيا وهناك من رأى أن هذا الاهتمام ربما جاء منه تحقيقاً لهوايته فى اقتناء الحيوانات النادرة (١) .

٣- بطلميوس الثالث يوارجيتيس ٢٤٦ ق.م - ٢٢١ ق.م :

- خلف والده بطليموس الثانى على عرش مصر ونظراً لتمتعه ببعض الصفات الطيبة أطلق عليه لقب يوارجيتيس أى فاعل الخير ، كما كان ميالاً للعلم والثقافة وكان صديقاً للعالم الجغرافى الشهير ايراتوسثنيس Eratosthenes .

- بتولى بطلميوس يوارجتيس عرش مصر وجد نفسه أمام حرب كان عليه أن يخوضها وهى المعروفة بالحرب السورية الثالثة وفى هذه الحرب استطاع بطليموس الثالث أن يجتاح سوريا وتمكن من دخول أنطاكية عاصمة الدولة السليوقية وبعد هذه الانتصارات كان بمقدوره أن يقضى تماماً على الدولة السليوقية (٢) .

- وفى غمار المعركة وردت الأنباء فى مصر بإنخفاض فيضان النيل وتسبب عن ذلك حالة من القحط والجوع مما أدى إلى حدوث إضطراب عام فى البلاد . فما كان من بطلميوس الثالث إلا أن عاد مرة ثانية إلى مصر .

- هنا انتهز سليوقس الثانى الفرصة وفى عام ٢٤١ ق.م ويقوم باسترداد كل ما استولى عليه بطلميوس الثالث فيماعدا سوريا الجنوبية

---

(١) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٥٤ .

(2) Jouguet P., Alexander The Great and The Hellenistic World, Chicago, 1978, p. 193 - 195 .

- يعد عهده من أزهى فترات تاريخ مصر فى عصر البطالمة إذ تنسب إليه معظم النظم الإدارية التى سارت عليها مصر بعد ذلك كما بلغت الإسكندرية أقصى درجات الشهرة والعظمة إذ :

* بُنى فى عهده فنار الإسكندرية العظيم على جزيرة بالقرب من جزيرة فاروس .

* حرص بطلميوس فيلادلفوس أن يجلب العلماء والفلاسفة إلى الإسكندرية من كافة أرجاء العالم كى يعملوا بدار العلم Mousion . والمكتبة ، ولم يكتف بطلميوس الثانى بتزويد المكتبة بالكتب عن طريق الشراء ولكن أيضاً عن طريق السفن.

* نشطت كذلك فى عهده حركة الترجمة ولعل من أشهر ما تم ترجمته فى عهده هى « التوراة » حيث طلب من الحبر الأعظم لليهود توفير عدد من علماء اليهود الذين يجيدون اللغة اليونانية بهدف ترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية وقد وفر له حوالى سبعين حبراً للقيام بهذه المهمة وعرفت هذه الترجمة باسم « الترجمة السبعينية » [1] .

* حرص على إقامة حديقة للحيوان شملت كل ما هو غريب ونادر فى الحيوانات والطيور [2] .

سياسة بطلميوس الثانى الخارجية :

- عندما ارتقى بطلميوس الثانى عرش مصر كانت دولته أقوى دولة فى

---

(١) مصطفى العبادى ، العصر الهللينستى ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص١٦٢ .

(٢) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٤٩ .

العالم الهللينستى تليها دولة السليوقيين والتى شملت ولايات امبراطورية الإسكندر فى بلاد ما بين النهرين وأغلب الولايات الشرقية وجانب كبيراً فى أسيا الصغرى وسوريا ، أما الدولة الثالثة فكانت هى الدولة المقدونية والتى كانت تسيطر على بعض المدن الاغريقية فى شبه جزيرة البلقان [1] .

وقد حدث تعارضًا واضحًا فى أهداف الدول الثلاث الكبرى على الصعيد السياسى .

- ركز بطلميوس الثانى على النشاط الخارجى إذ كان الوضع الداخلى قد استقر فى عهد أبيه . وعمومًا يمكن أن نرصد نشاطه فى ثلاث مناطق رئيسية هى .

الشرق : وتمثله سوريا

١- حيث تفجرت الحرب السورية الأولى والثانية بهدف استيلاءه على جنوب سوريا وهو صراعًا كان قد بدأ بالفعل فى عهد بطلميوس الأول .

٢- كما هاجم أيضًا سواحل أسيا الصغرى وتمكن من الإستيلاء على بعض أجزاء منها رغم تبعيتها لأنتيوخس الملك السليوقى [2] .

الشمال : وتمثله جزر حوض بحر إيجة

١- استعمل بطلميوس الثانى أسطوله القوى والذى كان قد ورثه عن أبيه فى إخضاع بعض جزر حوض بحر إيجة ومنها :

---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٩٠ .

(٢) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٤٩ .

(فلسطين+ ساحل فينقيا) [1] إذا لم يستطيع سليوقس الثانى استكمال حربه بسبب الصراع الذى نشب بينه وبين شقيقه الأصغر أنطيوخس هيراكس Hierax وهو الصراع الذى عرف « بحرب الأخوين » .

- ويستدل الكاتب من تصرف بطلميوس الثالث السابق مدى حرصه الشديد على الاحتفاظ بمصر، وهناك تصرف آخر يؤكد استدلالنا هذا ألا وهو عدم خروجه للحرب ثانية من مصر إذ عمل على استعمال سلاح آخر وهو «الدبلوماسية » فى توطيد مكانة مصر الخارجية وذلك عن طريق إشعال الحروب والخلافات داخل الدولة السليوقية وبذلك شغلها عن مهاجمة مصر، وراح يساند المدن الاغريقية فى محاولتها للتخلص من سيطرة الدولة المقدونية وهكذا استطاع أن يأمن شرها .

- وهكذا يمكن القول بأن السياسة الخارجية التى أتبعها البطالمة الثلاثة الأوائل كان لها هدفان رئيسيان وهما :

١- استقلال مصر استقلالاً تاماً سياسياً واقتصادياً .

٢- التمتع بأكبر قسط من السيطرة على عالم بحر إيجة [2] .

سياسته الداخلية :

- قامت سياسته الداخلية على إستمالة المصريين خاصة بعد أن تدهورت أحوالهم الاقتصادية عن طريق التخفيف من الضرائب والتنازل عنها أحياناً وتشجيع العلم والعلماء وإنشاء معابد للألهة كان

---

(١) راجع حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٤٨ ، وأبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٥٥.

(٢) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٩٢ .

أهمها معبد «السيرابيوم» بالإسكندرية ، حيث يرى بعض الدارسين أنه ربما أعاد ترميمه فقط [1] .

– نجح بطلميوس الثالث فى إقامة علاقات طيبة مع الكهنة وحظى بحب المصريين عندما سارع باستيراد كميات من الغلال لإنقاذ البلاد من المجاعة واعترافاً بهذا الفضل قام الكهنة فى عام ٢٣٧ ق.م. باصدار قرار عرف باسم «قرار كانوب» حيث قدموا فيه الشكر للملك لما أسبغه على شعبه من عطف وفيه منح لقب فاعل الخير وهو فى الأصل لقباً من ألقاب الإله أوزيريس .

– من مظاهر اهتمام بطلميوس الثالث بالديانة المصرية بنائه صرحاً فى معبد الكرنك ، وبدأ فى بناء معبداً آخر فى مدينة أدفو الذى خصص لعبادة الآله حورس والذى شبهه الاغريق بالههم أبوللو Apollo .

– اعتماده سياسة الديبلوماسية أتت على حساب اهماله للجيش والأسطول . على أساس اطمئنانه لعدم إمكانية لا الدولة السليوقية ولا المقدونية مهاجمته فى مصر [2] .

٤- بطلميوس الرابع فيلوباتور ٢٢١ - ٢٠٥ ق.م :

– يعتبر عهد هذا الملك بداية لمرحلة من التدهور سارت فيها الدولة البطلمية حتى شهدت النهاية . إذ تولى عرش مصر وهو فى سن العشرين .

– أراد أن يتقرب من المصريين فاتخذ لقب « المحب لأبيه » Philopator

(١) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٤٨ .
(٢) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٥٦ .

إذ كان يعرف جيداً مدى حب الشعب لأبيه ولكنه كان مختلفاً عن أبيه إذ أغرق نفسه فى حياة اللهو وتحمس لعبادة الأله ديونسيوس Dionysos إله الخمر عند اليونان .

- حاول بطلميوس الرابع أن يفرض هذه العبادة على جميع رعاياه بمن فيهم اليهود الذين رفضوا بدورهم طاعته فى هذا الأمر .

- فى عهد هذا الملك تحالفت كل من الدولة السليوقية بقيادة ملكها أنطيوخس الثالث والدولة المقدونية بقيادة ملكها فيليب الخامس Philipe V ضد الدولة البطلمية .

- كما شهد عهد هذا الملك الصراع العسكرى بين كل من روما وقرطاجة والذى عرف باسم « الحروب البونية » أو « الحروب القرطاجية » (١) وعاصر هذا الملك الحرب السورية الرابعة التى شنها الملك السليوقى انتيوخوس الثالث بهدف استرداد جنوب سوريا فى محاولة لانتهاز فرصة ضعف مصر ابان حكم هذا الملك .

- لدى شعور بطلميوس الرابع بالخطر السليوقى سرعان ما نجده يبادر للدفاع عن دولته وفى هذا الصدد بدء يعيد تنظيم الجيش ويدمج للمرة الأولى فى قواته المحاربة عدد كبير من المصريين وكان لهم فضلاً كبيراً فى الإنتصار فى موقعة رفح ٢١٧ ق.م ، وقد اختلف بطلميوس الرابع فى سياسته تلك عن كل من سبقوه من الملوك البطالمة إذا اعتمد البطالمة الثلاثة الأوائل إلى أقصى حد فى تكوينهم لجيوشهم

---

(١) عن تفاصيل وأسباب قيام الحروب البونية بشكل عام ، راجع : محمد السيد عبد الغنى ، تاريخ الرومان حتى نهاية العصر الجمهورى، الجزء الأول ، منذ نشأة روما حتى نهاية العصر الجمهورى ٢٦٥ ق.م ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥ .

على الجنود المقدونين والاغريق . وعندما هدد الملك السليوقى انتيوخوس الثالث دولة البطالمة وعجز بطلميوس الرابع عن تجنيد العدد الكافى من الإغريق والمقدونيين فاضطر لتجنيد حوالى ٢٠,٠٠٠ مصرى . هذه الخطوة التى اتخذها بطلميوس الرابع كانت ذات أثر مزدوج إذ أثرت ليس فقط على علاقة البطالمة بالمصريين ولكن أيضاً أثرت على علاقة البطالمة ببنى جنسهم من المقدونيين والاغريق .

أولاً : اثر موقعة رفح على علاقة البطالمة بالإغريق :

من المعروف أن البطالمة منذ بداية تاريخهم فى مصر اعتمدوا على الأجانب فى مصر وخاصة الاغريق أصحاب الحضارة والفكر السياسى المتقدم والمقدونيين وهم من بنى جنس البطالمة . وفى المقابل كان لابد لهذه السياسة من مردود على وضع كل من الاغريق والمقدونيين فى مصر إذا أصبحوا هم مواطنى الدرجة الأولى فى مصر لما أسبغ عليهم من امتيازات ومناصب كلها كانت بسبب ثقة البطالمة فى هذين العنصرين فى مصر .

ونظراً لانشغال أعداد كبيرة من الاغريق والمقدونيين فى أعمال الإدارة والاقتصاد وهى أعمال كانت لا شك تدر عليهم كثيراً من المكاسب بخلاف الوجاهة الاجتماعية حدث أن عانى بطلميوس الرابع من قلة أعداد الجنود الاغريق والمقدونيين الذين يمكنهم الوقوف فى وجه قوات أنطيوخوس الثالث الجرارة والتى قيل عنها أنها كانت مزودة بأعداد هائلة من الأفيال الهندية [١] .

---

(١) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٥٨

وعلى الرغم من أن مشاركة المصريين فى هذه الموقعة فى الجيش البطلمى اعتمدت فقط على الأعمال المساعدة إلا أن هذه المشاركة جعلت الملوك البطالمة ومنهم بطلميوس الرابع يشعر بضعف رجاله من الجنود الاغريق والمقدونيين .

ثانيًا : أثر موقعة رفح على علاقة البطالمة بالمصريين :

- لقد كان اندفاع المصريين إلى ساحة المعركة فى رفح مثار دهشة بطلميوس الرابع وجنوده من الاغريق والمقدونيين على حد سواء ، لما أظهروه من شجاعة بالغة وقد وصف لنا بوليبيوس [1] وصفاً دقيقًا لهذه المعركة قائلاً أنهم أى المصريين استطاعوا أن يقلبوا ميزان المعركة لصالحهم وتحولت الهزيمة على أيديهم لإنتصار بعد أن جعلوا جنود الجيش السليوقى يفرون من ساحة القتال .
- أدى هذا الإنتصار إلى استعادة المصريين ثقتهم بأنفسهم تلك الثقة التى عمد الملوك البطالمة القضاء عليها عن طريق تهميش المصريين وعدم الاعتماد عليهم خصوصًا فى مجالات الجيش والإدارة والاقتصاد .
- أصبح لدى المصريون بعد رفح ما يساومون عليه بعد أن شعروا بأهمية دورهم إذ حفزهم هذا الشعور فيما يبدو على القيام بالثورات فى وجه حكامهم من البطالمة الذين منعوهم كثير من الحقوق خوفاً منهم على بقاء العرش البطلمى فى مصر .
- أكدت رفح للمصريين ما آل إليه حكامهم البطالمة من ضعف وتدهور رغم

---

(1) Polyb., V̄. 107.

كل محاولات الملوك السابقين على بطلميوس الرابع لدعم العرش البطلمى [1] . ونجد بطلميوس الرابع نفسه يؤكد على هذا الضعف بمحاولته الدائبة إرضاء المصريين تجنباً لثوراتهم .

- وعموماً فقد اتفق المؤرخون على اعتبار موقعة رفح ٢١٧ ق.م حداً فاصلاً بين العهد الذى بلغت فيه دولة البطالمة أقصى اتساعها والعهد الذى أخذت فيه عوامل الضعف تسرى فى أوصالها .

- ولا يسجل التاريخ عن سياسة بطلميوس الرابع الخارجية سوى موقفه المحايد من كل الأحداث الدولية المحيطة به وأنه لم يغامر بالحرب ثانية بعد انتصاره فى رفعح .

٥- بطلميوس الخامس ابيفانيس٢٠٣ - ١٨٠ق.م :

توفى بطلميوس الرابع عام ٢٠٣ ق.م تاركًا طفلاً لم يتجاوز سنه السابعة وكان مقرراً أن تتولى أمه الملكة أرسينوى الثالثة الوصاية عليه إلا أنه حدث أن دُبرت مؤامرة لاغتيالها وعين أطراف المؤامرة سوسيبيوس واجاثوكليس أنفسهم أوصياء على الملك [2] .

انفرد الثانى بالوصاية على بطلميوس الخامس بعد وفاة سوسيبوس وقام بعدة خطوات منها :

---

(١) عن محاولات البطالمة لدعم العرش الملكى فى مصر راجع : لطفى عبد الوهاب يحيى، مرجع سابق ، ص ص١٢٤ – ١٨٦ .

وعن آثار موقعة رفح بشكل عام راجع : إبراهيم نصحى ، مرجع سابق ، ص١٥٨ .

(2) Polyb., XV, 25. 3 - 11.

حيث رأى أن ما أدعوه بأن وصايتهم على بطلميوس الخامس تأتى تنفيذاً لوصية الأب بطلميوس الرابع موضع شك .

١- سعى عند روما كى تتوسط بينه وبين أنطيوخس الثالث الملك السليوقى لفض الخلافات القديمة .

٢- سعى إلى التقرب إلى فيليب الخامس ملك دولة مقدونيا .

ولكن يبدو أن كل من أنطيوخس الثالث وفيليب الخامس كانت لديهما أهدافًا أبعد من التصالح مع مغتصب للعرش مثل أجاثوكليس إذ اتفقا فيما بينهم على تقسيم ممتلكات مصر بينهم .

نتيجة أحداث الصراع على الوصاية على العرش تمكن انتيوخوس الثالث من الإستيلاء على سوريا وفينقيا وانزال هزيمة منكرة بالجيش البطلمى فى Panion بالقرب من نهر الأردن فى عام ٢٠٠ ق.م [١] .

أما فيليب الخامس فقد استطاع هو الأخر الاستيلاء على ما تبقى من ممتلكات مصر فى جزر الكيكلاديس وعند مضيق البسفور ولم يتبقى لمصر من ممتلكاتها الخارجية سوى قبرص وقورينة ويبدو أنه أراد أن يتشبه بالإسكندر الأكبر فى رغبته فى إنشاء امبراطورية مقدونية على غرار امبراطورية الإسكندر .

- حاولت روما بقدر المستطاع وبحسب ما وفرت لها الظروف التاريخية الحفاظ على مصر بعيدة عن دائرة صراعاتها مع كل من فيليب الخامس وأنطيوخس الثالث .

- بدأ بطلميوس الخامس فى استرضاء الرومان بهدف الاستقواء بهم على أنطيوخس الثالث الذى قام بهجوم عنيف على بلاد اليونان فى

---

(1) Polyb., XVI, 18 - 19.

عام ١٩٢ ق.م [1] ورغم محاولاته المتكررة لاستمالة الرومان إلا أن روما ظلت على موقفها الرافض لدعم بطلميوس الخامس .

- آلت بلاد اليونان وأسيا الصغرى فى عام ١٨٩ ق.م بعد موقعة ماجنسيا Magnesia إلى الرومان وفى حين قسم الرومان ممتلكات انطيوخس الثالث السابق ذكرها بين حلفائها من رودس وبرجامة ظلت روما على جفائها تجاه بطلميوس الخامس ، وهكذا أصبحت لروما الكلمة الأولى فى شرق المتوسط وهكذا كان موقف بطلميوس الخامس خارجيًا .: إذ لم يستطيع أن يدافع عن ممتلكات مصر ولا مصر نفسها .

سياسته الداخلية :

- لما كان موقف بطلميوس الخامس ضعيفاً فى سياسته الخارجية أراد أن يدعم موقفه الداخلى على الأقل وسار على نهج خلفائه من البطالمة الضعاف فى سياسة اكتساب ود الكهنة المصريين ويعكس القرار الذى أصدره الكهنة بعد اجتماعهم عام ١٩٦ق.م فى منف تلك السياسة إذ عبروا فى ذلك القرار عن امتنانهم تجاه بطلميوس الخامس وقد كتب هذا القرار باللغة المصرية بخطيها الهيروغليفى والديموطيقى وباللغة اليونانية [2] .

---

(1) Livius, 36 . 4 . 1 - 4 .

(٢) عثر على هذا القرار مدونًا على حجر من البازلت الأسود بالقرب من مدينة رشيد أيام الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٧٩٩ ويعرف باسم ، حجر رشيد ، وتمكن العالم الفرنسى شامبليون من فك رموزه . راجع ترجمة النص الكاملة : سليم حسن ، مصر القديمة ، جـ١٦ ، من عهد بطلميوس الخامس لنهاية بطلميوس السابع ، ص ص٤٥-٧٣ .

- وفى عهد بطلميوس الخامس اندلعت فى مدينة طيبة عدة ثورات قام بها المصريون تلك الثورات أربكت الملك بطلميوس الخامس وأصبح يعانى الأمرين أطماع الرومان فى مصر وثورات المصريين عليه .

٦- بطلميوس السادس فيلوميتور ١٨٠ - ١٤٥ ق.م :

تولى بطلميوس السادس العرش تحت وصاية أمه الملكة كليوباترة الأولى ولذا سمى بالمحب لأمه Philometor . وأثناء وصاية الأم كانت العلاقات بين مصر وسوريا تسير على ما يرام ولكن بعد أن تغيرت وصاية الأم وانتقلت إلى غيرها تحولت سياسة الوصاة الجدد تجاه سوريا .

بدأ أنطيوخس الرابع ملك سوريا فى إعداد جيش قوى بهدف استعادة جوف سوريا وفى عام ١٧٠ ق.م زحف فى إتجاه الحدود المصرية وهزم الجيش البطلمى هناك واستولى على بيلوزيوم ثم تقدم ناحية منف وهنا يذكر بومان أنه ربما توج ملكاً فى منف مثلما حدث مع الإسكندر الأكبر وهو ما شجعه على دعوة الملك البطلمى وارغامه على توقيع معاهدة يقبل بها حماية أنطيوخس الرابع على مصر [١] .

- ثار السكندريون لدى علمهم بمدى ضعف بطلميوس فيلومتيور وأعلنوا شقيقه الأصغر ملكاً على مصر وبدء السكندريون فى التأهب لصد أنطيوخوس الرابع إذا حدث وتقدم نحو الإسكندرية . وهكذا أصبحت مصر فى تلك الأونة لها ملكين : الأول : هو فيلومتيور . الثانى : شقيقه الأصغر الذى أقامه السكندريون .

---

(1) Bowman A. K., op. cit., p. 31 .

- تذرع أنطيوخس الرابع بضرورة إعادة فيلومتيور إلى عرشه وتقدم نحو الإسكندرية وحاصرها وبعد أن فشلت كل محاولات الأخوين الملكين فى التفاهم مع أنطيوخس أسقط فى أيديهم ولم يبق لديهم إلا طلب الاستعانة بروما .

- هنا قامت روما بإرسال بعثة لانطيوخس الرابع برئاسة بوبليوس لايناس Popilius Laenâs وحملته رسالة من السيناتو Senetus يطلب فيها الجلاء عن مصر فوراً إذا كان حريصاً على صداقة الشعب الرومانى (١) وإذا رفض فيصبح ذلك بمثابة إعلان عدائه للرومان وهو ما يستوجب شن الحرب عليه فى هذه الحالة . ويروى لنا بوليبوس أن موفد السيناتوس بعد أن قرأ الرسالة على أنطيوخس الرابع طلب منه الأخير مهلة للتفكير والتشاور لكن بوبليوس لايناس رسم دائرة بعصاه حول انطيوخس الرابع طالباً رده قبل الخروج منها . فما كان منه إلا أن رضخ لمطالب الرومان وغادر مصر (٢) .

وفى تفسير المؤرخ روستوفتزف لهذه الحادثة نجده يصف تصرف موفد السيناتوس بما يسمى « ديبلوماسية الغطرسة » (٣) .

- هذا التدخل الرومانى أثار السكندريين ضد حاكمهم البطلمى بطلميوس فيلوميتور فقاموا بثورة تطالب بطرده وانفراد شقيقه على العرش وزادت حدة الثورة فوصلت إلى الوجه القبلى ووجد فيلوميتور نفسه

---

(1) Preaux C., op. cit., p. 169 .

(2) Polyb., XXIX. 27 . 1 . 2 .

(3) Rostovtzeff M., The Social and Economic History of The Hellenstic World, Oxford, 1941, p. 737 .

مضطراً لقمعها ولدى عودته للإسكندرية وجد شقيقه قد انفرد بالسلطة [١] .

- هنا إتجه فيلوميتور لطلب عون الرومان فقرر السيناتوس التدخل لحل الخلاف على عرش مصر .

- وبالفعل استطاع الرومان حل الخلاف مما كان له أكبر الأثر فى ولاء الملكين معاً للرومان لدرجة أن بطلميوس الشقيق الأصغر (الملك الذى أقامه السكندريين) قد أوصى قبل وفاته بأن تؤول مملكته (قورينة) إلى الرومان بعد وفاته إذا مات دون وريث .

- وعلى الرغم من حدة الخلاف بين الملكين فى تلك الأونة إلا أن الملك السليوقى لم ينتهز الفرصة ويقوم بغزو مصر مرة أخرى إذ كان مشغولاً عنها بصراعه مع اليهود ، كما أن خوفه من الرومان منعه من القيام بهذه الخطوة [٢] .

٧- بطلميوس الثامن يوارجتيس الثانى ١٤٤ - ١١٦ق.م :

- بعد أن توفى فيلومتيور زحف أخيه الأصغر ملك برقة على الإسكندرية بهدف الإستيلاء على العرش وطرد زوجته كليوباترة الثانية Cleopatra II وولدها .

- تدخل الرومان مرة أخرى وقضوا بأحقيته فى العرش على أن يتزوج بأرملة شقيقه وشقيقته فى نفس الوقت Cleopatra II .

---

(١) قاد ثورة السكندريين بتوسرابيس Petoserapis راجع : أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٧١ .

(2) Diod. Sic., 29 - 29 .

- تلقب بلقب يوارجيتيس الثانى وهو فى ذلك كان مقلداً لبطلميوس الثالث ويوضح ديودورس الصقلى أن كان هناك فارقًا كبيراً بين بطلميوس الثالث وبطلميوس الثامن فقد كان الأخير رمزاً للشر والعدوان [١] .

- من أبرز مظاهر العدوان فى شخص بطلميوس الثامن :

١ - اعدامه لابن أخيه « نيوس فيلوباتور » Neos Philopator .

٢ - تزوج بأبنة أخيه كليوباترة الثالثة ١٤٢ق.م رغم أنه كان زوجًا لأمها . فثارت كليوباترة الثانية عليه لدرجة أن طرد من البلاد ولم يتمكن من العودة مرة ثانية إلا بمعونة الرومان .

عمومًا وبفضل عون الرومان عاد بطلميوس الثامن إلى العرش وخاض حرباً ضروس ضد شقيقته وزوجته فى نفس الوقت كليوباترة الثانية وإنتهت الحرب بالصلح واصدار « قرار العفو » الذى صدر باسم «بطلميوس الثامن وكليوباترة الثانية وكليوباترة الثالثة » [٢] وذلك فى عام ١١٨ق.م .

٨- بطلميوس التاسع « سوتير الثانى » وبطلميوس العاشر « الإسكندر الأول » :

- بعد وفاة بطلميوس الثامن تولى ابنه بطلميوس التاسع عرش مصر وحمل لقب سوتير الثانى لاثوروس Lothoros تزوج بأخته كليوباترة الرابعة ثم طلقها ليتزوج باخته الأخرى كليوباترة القمر Selene وهو

(1) Idem., XXXIII. 6.

(٢) راجع نص القرار من خلال مجموعة بردى تبتونس P. Tebt. 5 .

ما أثار الزوجة الأولى فغادرت مصر إلى سوريا حيث توفيت هناك (١) .

- لم ترض الأم كليوباترة الثالثة عن تصرف ولدها بطلميوس التاسع فحرضت عليه شعب الإسكندرية فاضطر للفرار إلى قبرص وقامت حينئذ باستدعاء بطلميوس العاشر الذى ارتقى العرش بالإشتراك مع أمه وبعد وفاتها استقل بالعرش بمفرده .

- عاد بطلميوس التاسع لعرش مصر مرة ثانية بعد أن أثيرت بعض الشائعات ضد أخيه بطلميوس العاشر بشأن تورطه فى مؤامرة للتخلص من أمه كليوباترة الثالثة واتسم عهده فى هذه المرة بازدياد النفوذ الرومانى فى مصر كما :

١- توالت الزيارات الرومانية على مصر بهدف الوقوف على أحوال مصر عن قرب ومعرفة ثرواتها (٢) .

٢- شهدت البلاد عموماً حالة من الفوضى .

٣- تجددت ثورات المصريين فى عام ٨٨ق.م - ٨٦ق.م رغم كل محاولات التقرب للكهنة .

- يتوالى بعد وفاة بطلميوس التاسع والعاشر جلوس بعض الملوك البطالمة الضعاف وهم بطلميوس الحادى عشر ، الإسكندر الثانى ، الذى دام حكمه مدة عشرين يوماً فقط ثم بطلميوس الثانى عشر «نيوس ديونيسوس» ٨٠ - ٥١ق.م. Neos Dionysos والذى لقبه السكندريون بالزمار Auletes لغرامه بالعزف على آلة المزمار .

---

(١) سيد الناصرى ، مرجع سابق ، ص١٩٢ .

(2) P. Tebt. 33 .

- وسعى هذا الملك للاعتراف به ملكاً من قبل الرومان – وقد انقسم الرأى العام السياسى فى روما تجاه بطلميوس الزمار بين قسم يدافع عن مشروع ضم مصر وقسم ضد هذا المشروع ومن بين مشاهير الشخصيات التى تبنت الدفاع عن استقلال مصر وعن الزمار هو ماركوس توللیوس شيشرون.

- وعمومًا فإن الفترة بين عامى ٥٥ – ٥١ق.م تعد هى الأسوأ فى تاريخ مصر البطلمى إذ أخذ بطلميوس الزمار ينكل بخصومه وتراكمت الديون على مصر ولرغبته فى أن يطمئن دائنيه من الرومان قام بتعين أحدهم فى منصب وزير المالية Rabirius وأطلق يده فى البلاد مما أدى إلى ثورة عارمة طرد رابيريوس على أثرها من مصر .

- قبل وفاة بطلميوس الزمار أوصى بأن تتزوج كبرى بناته Cleopatra VII من شقيقها Ptolemy XIII وأن يحكما سويًا وأن يقوم الرومان بتنفيذ الوصية .

كليوباترة السابعة ٥١ - ٣٠ ق.م :

بتولى كليوباترة السابعة عرش مصر نشبت الحرب الأهلية فأضطرت كليوباترة للهرب من الاسكندرية طمعًا فى الحصول على مساعدة من روما لاعادتها للعرش . وفى نفس الوقت حدثت موقعة فارسالوس التى هزم فيها الحزب الجمهورى بقيادة بومبيوس عام ٤٨ق.م على يد الحزب الديمقراطى بقيادة يوليوس قيصر [1] وقد نتج

(1) Cary M., A History of Rome, London, 1988, pp. 271 - 3 .

عن هزيمة بومبيوس أن هرب إلى مصر إلا أنه قتل عند نزوله إلى الشاطئ .

قام يوليوس قيصر بتتبع بومبيوس إلى مصر وهناك انتهز فرصة وجوده كممثل للحزب الديمقراطى الرومانى لينهى الحرب الأهلية التى كانت قائمة هناك بإعلان كليوباترة ملكة على مصر بعد أن دخل معركة ضد السكندريين احترقت فيها أجزاء كبيرة من الإسكندرية . وربما شمل الحريق مكتبة الإسكندرية (١).

وبظهور ماركوس أنطونيوس أحد قادة الرومان خلفاً ليوليوس قيصر فى شرق المتوسط بوصفه مشرف على أملاك روما بدأت كليوباترة فى توطيد علاقاتها به كحليف جديد لها وهو ما أثار الشعور العام ضدها وضد ماركوس أنطونيوس فى روما خوفًا من محاولة أنطونيوس الاستقلال بالجزء الشرقى من أملاك الرومان وإعلان نفسه ملكاً عليه بمساعدة كليوباترة .

نتيجة هذا الخوف بعثت روما جيشاً بقيادة أعظم شخصيات التاريخ الرومانى وهو جايوس يوليوس قيصر أوكتافيوس الذى سيعرف فيما بعد باسم Augustus وكانت أكتيوم فى غرب اليونان ٣١ ق.م هى اللقاء الفاصل حيث هزمت جيوش أنطونيوس وكليوباترة ليدخل أوكتافيوس الإسكندرية ويعلن ضمها رسمياً لأملاك الشعب الرومانى . لتصبح بعد إعلان النظام الإمبراطورى ولاية رومانية وبذلك ينتهى عهد البطالمة فى مصر (٢) .

---

(١) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٥١ .

(٢) أحمد غانم حافظ ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار ، تقديم أ.د حسين الشيخ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ص٣٩ – ٤٠ .

هكذا تنوعت علاقة كليوباترة السابعة بالقادة الرومان منذ أن تعرفت على يوليوس قيصر وأثمرت علاقتهم عن Caesarion «قيصرون= القيصر الصغير» وكانت سبباً فى تفكير الرومان فى اغتياله وهو يهم بدخول قاعة السيناتو [1] وصولاً إلى أنطونيوس وأخيراً إلى أوكتافيوس .

وتعد كليوباترة السابعة أكثر شخصيات التاريخ إثارة للجدل وذلك لأنها ربما حاولت الحفاظ على مصر وعلاقتها بالرومان فى آن واحد وعموماً فقد تأثر المؤرخون فى حكمهم عليها بالدعاية الرومانية التى الصقت بها كل ما هو يشين .

ورغم ذلك إلا أنها كانت ذكية وقوية الشخصية متقنة لكثير من اللغات ولم تكن تحتاج إلى مترجمين وهى الوحيدة من بين الملوك البطالمة ممن تعلموا اللغة المصرية وكانت على دراية بكثير من العلوم وكانت تستمد قوتها ليس من جمالها إذ كانت ذات مظهراً عادياً بل استمدت قوتها فى ذكائها وسعة معارفها [2] .

وقد ألهمت شخصية كليوباترة كثير من الكتاب والشعراء على مر العصور فكتبوا عنها واختلفت نظرتهم لها [3] .

---

(1) Cary M., op. cit., p. 281 .

(2) Bowman A. K., op. cit., p. 25 .

(٣) راجع بشكل عام :

* أحمد عتمان ، كليوباترة وأنطونيوس ، دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقى ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

* أحمد شوقى ، ، مصرع كليوباترة ، مسرحية شعرية .

اسم الملك	اللقب بالعربية	اللقب باليونانية	معنى اللقب
بطلميوس الأول	سوتير	Soter	المخلّص
بطلميوس الثانى	فيلادلفوس	Philadelphos	المحبة لأخيها
بطلميوس الثالث	يوارجيتيس	Euergetés	فاعل الخير
بطلميوس الرابع	فيلوباتوره	Philopator	المختلابية
بطلميوس الخامس	ابيفانيس	Epiphanes	الظاهر
بطلميوس السادس	فيلوميتور	Philometor	المحب لأمه
بطلميوس السابع	نيوس فيلوباتور	Neaos Philopator	المحب لأبيه الجديد
بطلميوس الثامن	يوارجيتيس الثانى	Euergetes II	فاعل الخير الثانى
بطلميوس التاسع	سوتير الثانى	Soter II	المخلّص الثانِى
بطلميوس العاشر	الإسكندر الأول	Alexanderos I	
بطلميوس الحادى عشر	الإسكندر الثانى	Alexanderos II	
بطلميوس الثانى عشر	نيوس ديونيسوس	Neos Dionysos Auletes	ديونسيوس الجديد الزمار
بطلميوس الثالث عشر	--	–	–
كليوباترة السابعة	ثيافيلوباتور	Thea Philopator	المحبة لأبيها

الفصل الثالث

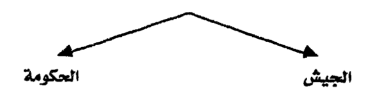
المجتمع المصرى فى عصر البطالمة

الفصل الثالث
المجتمع المصرى فى عصر البطالمة

إن دراسة المجتمع المصرى فى ظل حكم البطالمة تلزمنا بالتعرف على جوانب هذا المجتمع المختلفة ومنها الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية وذلك بهدف رسم صورة كاملة لهذا المجتمع فى هذه الفترة .

أولاً : الجوانب السياسية :

- حكم البطالمة مصر بنظام ملكى مطلق وفى محاولة منهم لاستمالة المصريين أظهروا أنفسهم بمظهر خلفاء الفراعنة [1] إستناداً إلى خلفية المصريين التى اعتادوا فيها على الملك الفرعون الذى لا ترد كلمته . ومنذ دخول بطلميوس الأول مصر قرر الاعتماد على المقدونيين والاغريق فى مجالين هامين هم :



- ولم يهدف البطالمة إلى اغرقة مصر أو نشر الحضارة الهللينية بين المصريين وإنما كان هدفهم هو اغرقة الجيش والإدارة فقط لا غير .
- يُجمع المؤرخون على أن البطالمة الأوائل (الأقوياء) اعتمدوا فى بناء جيوشهم على المقدونيين والاغريق الذين تطوع بعضاً منهم فى خدمة البطالمة سعياً وراء الفوز ببعض المنح والامتيازات .

---

(١) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص١٠٧ .

- وقد اعتمد الملوك البطالمة فى ادارتهم السياسية لمصر على عناصر بعينها هى :

- سلطة الملك .　　　　　- الإدارة المركزية فى الحكم .

- تكريس الوجود اليونانى فى المحليات (على المستوى المحلى) .

وفيما يخص الحديث عن سلطة الملك البطلمي فنجد أن الملك البطلمى قد ورث كل صلاحيات الملك الفرعون فكان :

١- مصدر كل التشريعات فهو الحاكم المهيمن على السلطة التشريعية والقضائية والدينية .

٢- بوصفة رئيس الدولة الأعلى كان يحدد العلاقات السياسية وطبيعتها بالدول الأخرى [١] .

٣- كانت تشريعاته بمثابة أوامر ملكية توجه إلى كل سكان مصر. وكان يستحيل تجاوزها أو عصيانها باعتبارها صادرة عن إرادة ملكية إلهية .

٤- كان هو رئيس الكهنة وكان له مندوب فى كل المعابد الرئيسية وكان يبعث بموظفوه لإدارة أملاك هذه المعابد [٢] .

وعموماً فقد خضعت الملكية البطلمية لنفس قواعد الملكية الفرعونية وفيما يخص وراثة العرش فقد كانت تتم وفقًا للقانون الاغريقى فى الوراثة . إذ كانت عملية انتقال العرش تتم عن طريق الذكر مع تفضيل الابن الأكبر ثم سمح فيما بعد للإناث بتولى العرش .

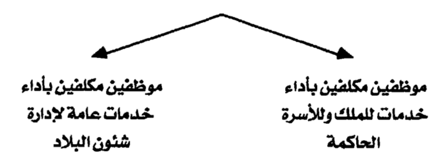
---

(١) مصطفى العبادى ، مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، تأليف نخبة من الأساتذة ، بدون تاريخ ، ص٤٥ وما بعدها .

(٢) إبراهيم نصحى ، جـ٢ ، ص٢١٧ وما بعدها .

هكذا كان المصريون يتعاملون مع حكامهم من البطالمة وهو تعامل ربما لم يجد فيه المصريون الاختلاف بينه وبين تعاملهم مع ملوكهم من الفراعنة اللهم إلا أن البطالمة ملوكاً على مصر وليسوا من أصول مصرية فهم بالنسبة للمصريين بمثابة الأجانب المحتلين .

أما بشأن الحديث عن **الإدارة المركزية فى الحكم** فقد كان الملوك البطالمة يدركون تمامًا حساسية وجودهم فى مصر وطبيعة نظرة المصريين لهم على الرغم من بعض محاولات الاسترضاء التى ظهرت فى فترات ضعف الملوك البطالمة . ولذا وجدنا الملك البطلمى ينظم إدارة مصر بشكل مركزى بهدف خدمة مصالحه السياسية فى المقام الأول . حيث استعان بنوعين من الموظفين :



وكان يرأس النوعين رئيس الوزراء وكان يليه فى المرتبة والأهمية مسئول الإدارة المالية أو ما يشبه وزير المالية Diokites .

وكان لهذا المنصب أهمية كبرى من حيث ارتباط هذا المنصب بمصلحة الملك السياسية .

أمـا عن **تكريس الوجود اليونانى (الإغريقى)** فى مصر فقد كان ضرورة سياسية وقد استطاع البطالمة أن يقوموا بذلك فى المجتمع المصرى عن طريق تنظيمهم للإدارة المحلية وحفاظهم على المدن الإغريقية التى كانت موجودة بمصر .

ويمكن أن ننظر إلى التصور التالى لنوضح كيف أعاد البطالمة صياغة الإدارة المحلية فى مصر بهدف خدمة متطلبات حكمهم .

الإدارة المحلية فى مصر قبل البطالمة	الإدارة المحلية فى مصر بعد البطالمة
(Nomos)	، رئيس الإقليم ، أصبح اغريقى / مقدونى
(رئيس الإقليم)	Strategos = قائد عسكرى +
Nomarchos	كاتب ملكى
⇓ (Topos)	grammateos Basilikos
رئيس المقاطعة	رئيس المقاطعة
Toparchos	+ Toparchos
⇓ (Komé)	grammateos topou
رئيس القرية	رئيس القرية
Komarchos	+ Komarchos
	grammateos Komés

ويتعلق الحديث عن تكريس الوجود الإغريقى فى مصر بالحديث عن المدن الاغريقية فى مصر. حيث أبقى بطلميوس الأول على المدن[1] الاغريقية التى كانت موجودة بمصر قبل مجيئه إليها مثل نقراطيس ، براتيونيوم (مرسى مطروح) [2] والإسكندرية ولم يرغب فى التوسع فى إنشاء المزيد من هذه المدن ، اللهم إلا مدينة

(1) Jones : Cities of the Eastern Roman Provinces, Oxford 1937, pp. 302. ff.

(2) Grenf. and Hunt, Oxyr. Pap., I, 12 (Col.5) also : Pseudo - Callisthenes, I. 31 .

إذ يتحدث كلاهما عن أن الإسكندر هو الذى بنى براتيونيوم .

واحدة شيدها فى عصره وهى مدينة « بطلمية » فى أعلى الصعيد المصرى [١] .

- إن وجود المدن الإغريقية فى مصر كان أمراً ضرورياً لأن نظام دولة المدينة Polis كان هو البيئة الطبيعية لحياة الإغريق فهى فى اعتقادهم النظام الأفضل لمعيشة الرجال الأحرار إذ يكفل لهم هذا النظام حرية الفعل والقول ويوفر لهم مشاركة سياسية تشعرهم بأهمية وخطورة دورهم فى المدينة .

- وإذا كان الإسكندر الأكبر قد قصد من بناء المدن الاغريقية أن تصبح وسيلة لنشر الحضارة الاغريقية بين ربوع امبراطوريته فإن خلفائه من البطالمة ، كانت لهم - وفى البداية فقط وسيلة أخرى - ربما كانت فى وجهة نظر الكاتب - أبسط من بناء المدن ونعنى بها بناء المكتبة والجامعة.

- وعموماً فقد تمتعت المدن الإغريقية الثلاث فى مصر البطلمية وتحديداً نقراطيس بطلمية والإسكندرية بقدر من الاستقلال الذاتى فى إدارتها لشئونها ولكن لم تكن هذه الحرية بقدر واحد بين المدن الثلاث ولكن كانت تمنح هذه الحرية بدرجات وحسب أهمية المدينة سياسياً واقتصادياً للبطالمة.

- فمثلاً **بالنسبة لنقراطيس** فقد كانت محطة تجارية اغريقية فى مصر ذات أهمية تجارية اقتصادية عالية ولذا أبقى البطالمة على وضعها

(١) فادية أبو بكر ، دراسات فى العصر الهللينستى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨ ، ص١٣٦ . وحسين أحمد الشيخ، مرجع سابق ، ص١١١ ، وأبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٩٧ حيث رأى أن اختيار بطلميوس الأول لهذا الموقع لبناء مدينة بطلمية ربما لتصبح منافسة لمدينة طيبة أهم قلاع الحضارة المصرية .

القديم الذى كانت تتمتع فيه بقانون خاص بها ومن خلال ما تبقى لنا من قانون نقراطيس نعرف أنه منع فيها الزواج بين الاغريق والمصريين .

وفى تحليلنا الشخصى لهذه القاعدة القانونية أن ذلك المنع جاء ربما نتيجة رغبة البطالمة منع المصريين من التسرب الطبقى فهم وكما يبدو من أحداث التاريخ حصروا المصريين فى طبقة أقل .

- أما فى مدينة الإسكندرية فقد اختلف الوضع إذ اكتسبت أهمية كبيرة لدورها الإدارى والسياسى على أساس أنها كانت العاصمة ومقر الحكم وقد تمتع سكانها من الاغريق بنوع من التنظيم السياسى الخاص جداً بهم فمثلاً كان لهم مواطنة خاصة عرفت « بالمواطنة السكندرية » وكذلك كان للمدينة مجلساً شعبياً Boule يدير أمورها الداخلية بشكل مستقل (١) .

- وتحدثنا موسوعة كامبردج للتاريخ القديم عن أن الإسكندرية بوجودها المتميز اقتصادياً وسياسيًا وحضاريًا ربما كانت سراً وراء شعور المصريين بالمرارة والحزن لإنتقال العاصمة من مدينتهم المصرية الأصلية « منف » إلى تلك المدينة الجديدة التى أسسها الفاتح المقدونى وهو ما زاد تعصب المصريين ضد الحكم الأجنبى طالما ظلت الإسكندرية عاصمة ورمزاً لحضارة العصر (٢) .

---

(١) محمود سلام زناتى ، تاريخ القانون المصرى فى العصور : الفرعونى واليونانى والرومانى والإسلامى، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ص٢٤١ - ٢٤٤ .

(2) The Cambridge Ancient History, The Hellenistic Monarchies and The Rise of Rome, Vol. VII, ed. by. S.A. Cook, F.E. Adcock, M. P. charles - worth, Cambridge, 1928., p. 115 .

- أما فى مدينة بطلمية فهى المدينة التى أقامها بطلميوس الأول غربى النيل بالقرب من أخميم وترجح الدراسات أنها كانت تشبه الإسكندرية معمارياً وتجزم الوثائق أنها كانت لديها نفس النظم المألوفة فى بقية المدن الإغريقية فكان لها مجلس شورى وجمعية شعبية ومحاكم مستقلة وحكام ينتخبهم المواطنون (١) .

وعموماً بعد أن استخدم الملوك البطالمة على تنوعهم الأدوات السابق تفصيلها بهدف دعم موقفهم السياسى ظهرت فى الأفق وتحديداً بعد موقعة رفح ٢١٧ق.م بعض المظاهر السياسية التى أسهمت فى ضعف وتدهور البيت الحاكم البطلمى على الصعيد السياسى ، ويمكن أن نجمل هذه المظاهر السياسية فى الآتى :

١- الخلافات الأسرية حول وراثة العرش :

- وقد نشأت هذه الخلافات بسبب وصول الأطفال القصر إلى عرش مصر مما كان يتطلب وجود أوصياء عليهم وقد ثارت الخلافات بين هؤلاء الأوصياء كل حسب صالحه .
- لقد شغلت هذه الخلافات الأسرية الملوك البطالمة سياسيًا عن إدارة البلاد ورعاية شئونها مما شجع الطامعين فى البلاد على القيام بغزوها ومحاصرة العاصمة فى بعض الأحيان مثلما حدث فى الحرب السورية السادسة .

٢- ثورات المصريين المستمرة فى وجه الملوك البطالمة :

- فشل الحكام البطالمة فى إقامة حكم قومى ينعم خلاله رعاياهم

---

(١) فادية أبو بكر ، مصر فى زمن البطالمة ، مرجع سابق ، ص١٠١ .

بالحرية والمساواة بعد أن ملئوا وادى النيل ببنى جلدتهم من المقدونيين والاغريق وخصوهم بالمنح والهبات وقصروا عليهم المناصب العليا مدنياً وعسكرياً فى حين حرموا المصريين من خيرات بلادهم .

- كان طبيعيًا أن يثور الشعب المصرى وأن تصبح لثوراته أكثر من سبب وسوف نتتبع الآن ثورات المصريين فى وجه حكامهم من الأجانب .

أ- فى عهد الملك بطلميوس فيلادلفوس :

- بدأ الفلاحون فى إثارة القلاقل وكلها كانت تعبيراً عن ظلم هذا الملك لهم وعندما أثرت حركة الفلاحين الثورية على الصناع والعمال والتجار المصريين خشى الملك بطلميوس فيلادلفوس على موارد الخزانة الملكية فبدأ فى بث عيون تجلب له الأخبار وفرض عقوبات صارمة على كل مثير للشغب .
- كان الكهنة المصريون ذوى دور بارز فى قيادة ثورات المصريين خاصة بعد أن شعر البطالمة بأهميتهم كمرشدين وزعماء روحيين للأهالى فاتخذوا منهم موقفًا مناهضًا إذ سلبوهم الكثير من امتيازاتهم[1] . فما كان من الكهنة إلا أن ينضموا إلى صفوف الثوار لقيادتهم . وذلك بعد عهد بطلميوس الثانى فيلادلفوس .

ب- فى عهد بطلميوس يوارجيتيس :

- كانت أولى ثورات المصريين ضد الملوك البطالمة تلك التى حدثت

---

(١) فادية أبو بكر ، دراسات فى العصر الهللينستى ، مرجع سابق ، ص١٨٧ .

فى عـهد بطلميوس الثالث إذا انتـهزوا فرصـة خروجه للحرب السورية مع الدولـة السليوقية وقاموا بالثورة عليه .

– ويبدو أن حرب بطلميوس الثالث تلك ضد الدولة السليوقية تطلبت ازدياد ضغط الحكومة على المصريين بهدف جمع الأموال اللازمة لدعم هذا العمل العسكرى . مما أثار المصريين .

– وشكل إنخفـاض منسوب النيل بدوره عـامـلاً ضـاغطاً آخـراً على المصريين دفعهم للثورة بعد أن عانوا مجاعة وقحط وأشرفوا على الهلاك .

– وقد استرضى بطلميوس الثالث المصريين بعد عودته مسرعًا من ميدان القتال وأنفق من أمواله الخاصة واستورد الغلال من سوريا وقبرص وفينقيا.

جـ- بعد رفـح ٢١٧ ق.م :

– لقد عاد المصريون من رفح بروح تسعى إلى التحرر من القيود والظلم فأخذت ثوراتهم تزداد لدرجة أنها اضطرت الملوك البطالمة على تغيير سياستهم تجاه المصريين .

– لقد أصبح هم البطالمة منذ عهد بطلميوس الرابع هو القضاء على هذه الثورات ذات الطابع القومى . خاصة بعد أن عـادت الثقة إلى المصريين واستمروا فى ثوراتهم ضد البطالمة لتظهر لنا ثورة جديدة.

د- فى عهد بطلميوس الرابع :

– اشتعلت الثورة هذه المرة فى الدلتا ومصر الوسطى وامتد لهيبها إلى مصر العليا عـام ٢٠٧ ق.م – ٢٠٦ق.م . وقد نتج عن هذه الثورة الكثير من أعمال العنف التى نتج عنها إهمال الأراضى الزراعية وتعطيل التجارة والصناعة .

وقد قام بطلميوس الرابع بإخماد الثورة لكنه لم يخمد بركان الغضب داخل المصريين .

هـ- فى عهد بطلميوس الخامس :

- تجددت الثورة فى عهده بسبب انغماسه فى الفساد مع أفراد حاشيته كما أشرنا فى الفصل الأول وقد أدى ذلك الإنغماس فى الفساد إلى ضعف السلطة المركزية والاستهانة بها. ومن هنا بدأت الثورة فى العاصمة الإسكندرية ومنها إلى الدلتا .
- حاول بطلميوس الخامس أن يعالج الموقف بأن أصدر مرسومًا للعفو العام :
  - عن الثوار عموماً والجنود المصريين بوجه خاص .
  - وأغدق على المعابد والأهالى المنح والهبات .
  - ألغى بعض من الضرائب وتنازل عن ديون السكان المتأخرة .
  - أطلق سراح المسجونين وأعطى الهاربين الأمان .

ورغم ذلك لم تهدأ الثورة خاصة فى « أبيدوس » التى رغم أن حاصرتها القوات المقدونية والاغريقية إلا أن قوات الثوار المصريين أبلوا أمامها بلاءاً حسناً ومنعوه وقواته من دخول المدينة .

وأمام هذا النجاح فى أبيدوس قامت ثورة أخرى فى ليكوبوليس فى الدلتا استطاع بطلميوس الخامس القضاء عليها بصعوبة شديدة .

و- بطلميوس السابع :

- بعد أن اقترف هذا الملك أبشع الجرائم وأشدها نكراً وهى زواجه بشقيقته كليوباترة الثانية ثم زواجه بعدها بابنتها كيلوباترة الثالثة .

- قامت الثورة العارمة فى الإسكندرية وصنعها أمر الملك بمحاصرة عدد كبير من شباب العامة المجتمعين فى الجمنازيوم وأمر باحراقهم وهنا تجمع السكندريون حول القصر الملكى وحاولوا إقتحامه بهدف الإنتقام من الملك وزوجته الصغرى كليوباترة الثالثة . وحدث أن هرب بطلميوس السابع إلى قبرص .
- استمرت الثورة وأخذت أشكالاً مختلفة من الإضراب عن العمل والاعتصام بالمعابد والفرار فى الأراضى الزراعية . وحاولت الحكومة الملكة إخماد هذه الثورة بكل أساليب القوة لكنها لم تجدى نفعًا وهنا يؤثر الملك السلم ويصدر قراره الشهير بالعفو عام ١١٨ ق.م .

ي- بطلميوس « الإسكندر الأول » بطلميوس العاشر :

قامت ضده ثورة فى الإسكندرية إنتهت بطرده من البلاد بعد أن انفرد بالعرش لمدة ١٢ عام بعد أن تخلص من والدته كليوباترة الثالثة فى عام ١٠١ ق.م .

٣- حدث فى عهده إزدياد قوة روما ومحاولتها تكوين إمبراطورية عالمية على حساب دول حوض البحر المتوسط بقسمين الشرقى والغربى كاليونان وقرطاجة ومصر التى استولت عليها عام ٣٠ ق.م[١] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع : إبراهيم نصحى ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ص٣٦٦ - ٣٩٦ .

وعن مواقف المؤرخون الرومان المعادية من كليوباترة راجع :

Plut., Lvi. 1 - 5, LXIV. 1-2, LXIII. 5 .

وعن تحول مدينة روما إلى امبراطورية وإعجاب المؤرخ Polybius بهذه التجربة ، راجع عبد اللطيف أحمد على ، مصادر التاريخ الرومانى ، القاهرة ، ص ص٥٥، ٥٩ وكذلك :

- Cary, A History of Rome, London, 1982. p. 70.

ثانيا : الجوانب الإقتصادية :

يتعلق الحديث عن الجوانب الإقتصادية فى الغالب بعناصر محددة وهى :

١- الزراعة . ٢- الصناعة .

٣- التجارة . ٤- الضرائب .

٥- النقود .

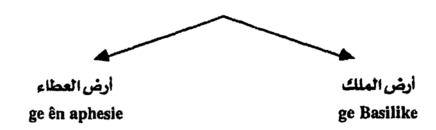
وسوف نتعرض إلى كل عنصر منهم على حدى :

١- الزراعة :

- كان نفوذ البطالمة فى مصر يرتكز أساساً على استغلال موارد مصر الاقتصادية استغلالاً منظماً وكانت هذه الموارد فى الواقع عند قدومهم فى حاجة إلى إعادة تنميتها نتيجة الإهمال الذى أصابها ابان حكم الفرس لمصر وثورات المصريين للتخلص من ذلك الحكم [١] .
- لقد وجه الملوك البطالمة عناية بالغة إلى مجال الزراعة فى مصر وتشير وثائق زينون وكل أعمال وزير المالية أبوللونيوس إلى شدة اهتمام بطلميوس فيلادلفوس بالتعمير والزراعة .
- كانت ملكية الأرض فى مصر مقسمة إلى أنواع مختلفة وفئات مختلفة من الأرض حسب وضع المسئولين عن زراعتها ويمكن الوقوف على نوعين من الأرض الزراعية فى عهد البطالمة [٢] .

(1) P. Jouguet, L'Egypte Ptolemaique, Histoire de la Nation Egyptienne, Tome III, Paris, 1933. pp. 98 - 99 .

(2) P. TebT. 5 .



أرض الملك ge Basilike :

- كان الملك يستثمرها مباشرة بنفسه عملاً بمبدأ ملكية الدولة ممثلة فى شخص الملك Basileus وكانت تحتل الرقعة الأكبر من مساحة الأرض الزراعية فى مصر .
- كان موظفو الملك يعرضونها فى مزاد سنوى بهدف الإنتفاع بها عن طريق زراعتها ومن يرسو عليه المزاد يقوم بتوقيع عقد مع رجال الملك يحدد فيه كل واجباته . وكان هؤلاء المؤجرين ليسوا أحرار فى الإنتقال من مكان إلى مكان آخر خاصة فى موسم العمل كما لم يكونوا أحرار فى اختيار نوعية المحاصيل بل كانوا مجبرين على السير وفقاً لسياسة زراعية يحددها الملك سلفاً (١) .

أرض العطاء :

ويطلق عليها أحد الباحثين اسم « أرض السماح » (٢) ويشمل هذا النوع خمس أصناف من الأراضى هى كالتالى :

١ – الأراض المقدسة ge Hiera .

٢ – أراضى الاقطاعات العسكرية ge Klerouchia .

---

(1) Rostovtzeff M., op. cit., p. 280 .

وراجع أيضًا : أبو اليسر فرح ، الدولة والفرد فى مصر فى عصر الرومان ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ص٤١ – ٥٢ .

(٢) أبو اليسر فرح ، تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، مرجع سابق ، ص٩٣ .

٣- أراضى الهبات ge en doreai .

٤- أراضى المدن ge Polilike .

٥- أراضى الملكية الشخصية ge Ktemata .

- وعموماً فقد ظلت الزراعة فى مصر البطلمية كما فى مصر الفرعونية تحتل المكانة الأولى فى تركيبة المجتمع المصرى الإقتصادية على أساس أنها الحرفة الأولى بل والأساسية لأغلب المصريين .

- وظل حفر القنوات وبناء السدود وصيانتها من أهم واجبات الحاكم البطلمى التى استعمل فى إنجازها أسلوب السخرة للمصريين ولم يعف من هذه السخرة إلا من كان يدفع ضريبة خاصة (١) .

- لم يهتم البطالمة فقط بالأراضى الزراعية ولكن أيضاً وجهوا إهتمامهم ناحية تربية الحيوانات، وقد شجعهم تنمية ذلك المورد الاقتصادى وفرة المراعى بمصر .

- أدى اهتمام البطالمة فى عصور قوتهم بهذا المجال إلى النهوض بالزراعة وزيادة الإنتاج الزراعى . لكن رغم ذلك أدى ارهاق الفلاجين بالضرائب الباهظة إلى اضمحلال هذا الإنتاج إذ هجر الفلاحون مزارعهم بل وعملوا فى بعض الأحيان على تخريب هذه المزارع تهرباً منهم من دفع الضرائب.

٢- الصناعة :

اعتمدت الصناعة فى مصر البطلمية على مواد أولية وجدت فى البيئة المحلية مثل :

---

(١) حسين أحمد الشيخ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

(١) الأراضي المقدسة	(٢) أراضي الاقطاعات العسكرية	(٣) أراضي الهبات	(٤) أراضي المدن	(٥) أراضي الملكية الشخصية
هي الأراضي التي كان الملوك البطالمة يمنحونها للمعابد وهو تقليد درج عليه ملوك مصر منذ عهد الفراعنة وهي نوعان : أرض الكهنة يقوم الكهنة بزراعتها ويكون دخلها بمثابة راتب لهم. أرض المعابد يقوم الكهنة بزراعتها تحت إشراف الدولة ويكون دخلها مخصص للإنفاق على شئون العبادة وكانت المعابد ذات ثروة زراعية ضخمة (١) .	سبق الحديث عن أن البطالمة زاد اعتمادهم في الجيش على المقدونيين والاغريق وكذلك على المرتزقة منهم وكان على الملوك البطالمة استقطاب (٢) هؤلاء الجنود بمنحهم أراضي يكون دخلها بمثابة راتب لهم بهدف التخفيف عن كاهل الخزانة الملكية . وعن أسباب اتباع هذه السياسة : ١- زيادة ربط الجنود بالأراضي وبمصر فلا يفكرون مستقبلاً في الرحيل عنها . ٢- تحقيق الملوك البطالمة تمام سيطرتهم على السياسة الزراعية في مصر دون الخوف من سيطرة الفلاحين المصريين . ٣- تخفيف العبء المالي عن كاهل الخزانة الملكية بعدم دفع رواتب هؤلاء الجنود على أساس أنهم الآن يعملون وقادرون على تكوين ثروات . ٤- دعوة غير مباشرة من البطالمة للاغريق والمقدونيين للقدوم إلى مصر والإقامة بها للعمل في صفوف الجيش البطلمي بما يخدم صالح الملك العسكري والسياسي .	هي أراضي كان الملوك البطالمة يمنحونها لكبار موظفيهم ويجوز للملوك استردادها بعد أن يترك هذا الموظف منصبه. وكان الملوك البطالمة يلجأون لهذه الوسيلة بدلاً من منحهم مرتبات نقدية ويهدف زيادة الرقعة المزروعة في مصر وخير مثال على ذلك ضيعة أبوللونيوس في قرية فيلادلفيا والتي كان يديرها له موظفه زينون (٣) .	وهي أراضي كانت تخصصها الدولة للمدن التي تتمتع فقط بوضع ومميزات المدينة الإغريقية Polis مثل مدينة الإسكندرية . ومدينة بطلمية Ptolemais وكان مواطني هذه المدن هم فقط أصحاب الحق في تملك هذه الأراضي (٤) .	يبدو أن الدولة أرادت تشجيع مثل هذا النوع من الأراضي بهدف تشجيع الأفراد على استثمار أموالهم في استصلاح الأراضي البور . ومن هذا المنطلق نجد أن الدولة كانت تمنحهم حق تملك هذه الأراضي فقط في حالة قيامهم بزراعتها . كانت تتألف عامة من : ١- البساتين . ٣- النخيل. ٢- الخضروات. ٤- الكروم. وهناك من لا يرجح أن يكون الأفراد قد تملكوا هذه الأراضي امتلاكاً فعلياً (٥) .

(1) P. Tebt. 703. (2) Rostovtzeff. M., op. cit., p. 284 . (3) Rostovtzeff M. A Large Estate in Egypt in in the Third Century. B. C., Madison, 1922 .

(٤) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص٩٥ .

(٥) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٢٥٠ .

صناعة الزيوت .

صناعة الجلود .

صناعة الخمور.

نسج الصوف والكتان .

وكما اعتبر الملك البطلمى نفسه أنه هو الزارع الأول فكان هو أيضاً الصانع الأوحد فمارست الدولة سياسة الاحتكار الكلى لبعض الصناعات.

احتكرت الدولة البطلمية صناعة الزيوت وكانت من أهم الصناعات إذ كانت الدولة تلجأ إلى وسطاء (ملتزمون) كانوا يشترون حق إنتاج الزيت فى كل مديرية وكان على الملتزم متابعة هذه الصناعة فى جميع مراحلها (١) .

وإذا كانت الحكومة قد احتكرت صناعة الزيت بشكل تام كامل فإنها اكتفت فقط بالإشراف الجزئى على صناعة المنسوجات حيث سمحت الدولة البطلمية بوجود مصانع خاصة إلى جوار مصانعها ولكن تعمل تحت اشرافها.

إلى جانب هذه الصناعات فقد ازدهرت فى مصر العديد من الصناعات الأخرى مثل صناعة الورق باستعمال نبات البردى وصناعة الزجاج والفخار والعطور والتوابل .

- وقد اشتهرت ، منف ، عاصمة مصر الوطنية (القديمة) بالصناعات الخشبية منذ العصور الفرعونية إذا ازدهر بها بناء السفن .

---

(١) عن سياسة البطالة الاحتكارية تجاه صناعة الزيوت فى مصر وضوابطها، راجع بشكل عام:

- Preaux C., Les Greces en Egypte d'apres les Archive de Zenon, Bruxelles, 1947.

- P. Tebt. 703 .

- كما ازدهرت بمنف أيضًا صناعة المعادن خاصة الأوانى الذهبية والفضية والبرونزية [1] .

- ويذكر أحد الباحثين أن الصناعة فى مصر اختلفت عن مثيلتها فى بلاد اليونان إذا اعتمدت الصناعة فى بلاد اليونان على العبيد فى حين أنها فى مصر لم تعتمد إلا على السكان المحليون [2] ويرأى الكاتب أن اعتماد الصناعة فى بلاد اليونان إنما هو أمرًا طبيعيًا فى مجتمع كان يتجه فكره نحو العنصرية واعتبار أن الاغريق وحدهم هم القادرون على العمل السياسى والأعمال الفكرية الأرقى وأن عليهم ترك مادون ذلك من أعمال اعتبروها أدنى لمن هم أدنى منهم مرتبة .

٣- التجـــارة :

- برغم ثراء مصر الزراعى فى فترات قوة البطالمة إلا أنها كانت من جهة أخرى فقيرة فى كثير من المنتجات التى حاول الملوك البطالمة الأقوياء توفيرها من خلال تنشيط حركة التجارة الخارجية .

- كان من بين المواد التى استوردتها مصر فى عصر البطالمة الأخشاب والسمك المملح ومختلف أنواع الفاكهة والعبيد والخيول . وكانت أهم المواد التى تصدرها هى القمح ولا يبدو أن الوثائق قد أثبتت احتكار الدولة لتصدير القمح .

- وقد ازدهرت التجارة فى عهد الملوك البطالمة الأقوياء الأوائل بسبب ازدهار الزراعة والصناعة واتساع الإمبراطورية المصرية فى ذلك

---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٢٧٤ .

(٢) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

الوقت وبالتالى أصبحت تلك البلاد الخاضعة لسيطرة البطالمة بمثابة أسواق جيدة لتبادل السلع التجارية سواء فى الجزء الشرقى فى المتوسط أو الجزء الغربى.

- كانت مصر مركزاً لتجارة نشيطة فكان يأتيها الذهب والأحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والقطن والحرير فى الصومال وشرق أفريقيا وبلاد العرب والهند. وكلها كان يتم نقلها براً من موانئ البحر الأحمر عبر الطرق الصحراوية إلى قفط وربما يكون البطالمة هم أول من عمموا استعمال الجمل فى مصر لتيسير النقل الداخلى (١) .
- غير أن ما أصاب الزراعة والصناعة من تدهور فى عهد البطالمة الضعاف وما أصاب ممتلكاتهم من تقلص أدى بالضرورة إلى انكماش حجم تجارة مصر الخارجية .

٤- النقــود :

- بعد فتوحات الإسكندر ظهرت دوراً لسك العملة فى أهم مراكز امبراطوريته وأصبح لمصر نصيب من هذه الدور بعد أن أمر الإسكندر ببناء الإسكندرية وبعدها بحوالى أربع سنوات ظهرت فى الإسكندرية دور سك للعملة وبدأت عملة الإسكندر تنتشر فى أرجاء امبراطوريته حاملة الشعارات اليونانية المقدسة .
- لم يجروء أحد على تغير عملة الإسكندر سوى بطلميوس سوتير وفى عهده انتشرت العملة البطلمية لتصبح أساساً للتعامل الاقتصادى (٢) .

---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٢٧٦ .

(٢) عن تاريخ العملة ودور السك فى مصر البطلمية عموماً ، راجع : عزت زكى حامد قادوس ، فنون الإسكندرية القديمة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٦ ، ص ص ٢٨٤ – ٣٢٨ .

- وعموماً فقد تألفت النقود فى مصر البطلمية من نقود برونزية وفضية وذهبية وكانت النقود الفضية هى الأكثر استعمالاً خاصة فى عصر البطالمة الثلاثة الأوائل . وكانت العملة الذهبية أقل استعمالاً فى الأسواق الداخلية.
- أدت كثرة النقود وشيوع تداولها لإنشاء مصارف خاصة بها حيث ظهر فى مصر البطلمية نوعين من المصارف :

الأول : مصارف ملكية :

وهى التى يتم الاحتفاظ فيها بأموال واستثمارات الملوك البطالمة وأسرهم الحاكمة .

الثانى : مصارف خاصة :

وهى التى يتم الاحتفاظ فيها بأموال الأفراد العاديين سواء موظفين ملكيين أو حتى رجال أعمال [1] .

٥- الضرائب :

- أتبع الملوك البطالمة فى سبيل فرض سيادتهم على المصريين وسائل عديدة من بينها فرض الضرائب ، وقد كانت هذه الضرائب عبئاً على كاهل المصريين بسبب كثرتها وارتفاع نسبتها سواء فى عصر القوة البطلمى أو حتى فى عصر الضعف .
- ولم يكن لدى البطالمة استعداداً للتخلى عن فرض هذه الضرائب إلا تحت ضغوط خاصة وذلك برغم الايرادات الضخمة التى كانوا يجمعوها فى مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة .

---

(١) إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٩٨ .

- كان لابد للمصريين أن يشعروا بالمعاناة من جراء هذه الضرائب لاسيما وأنهم كانوا فئة مهمشة واقتصر توظيفهم على مجالات معينة مما زاد شعورهم بالظلم تعاظماً .

- وفى نفس الوقت الذى كان البطالمة فيه حريصين على فرض الضرائب على المصريين نجدهم قد أعفوا الكثير من العناصر السكانية التى استوطنت البلاد وعلى وجه التحديد ، الاغريق ، .

ومن الضرائب التى فرضت فى مصر :

- ضريبة حيازة المبانى .
- ضريبة نقل ملكية الأموال الثابتة (منازل - أراضى) .
- ضريبة التركات .
- ضريبة الرأس Laographia [1] . التى ربما كانت قاصرة على المصريون .
- حملات التسخير فى أعمال :

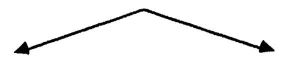
أ- الحصاد . ب- بناء الجسور. جـ- شق الترع .

كما كان هناك نوعين من الضرائب التى كانت تفرضها الدولة البطلمية:

---

(١) عن الجدل بشأن ضريبة الرأس : راجع كل من :
- لطفى عبد الوهاب يحيى، مجتمع الإسكندرية فى العصر الرومانى ، مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤ ، ص٥٩ .
- إبراهيم نصحى ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص٢٤٦ .
- محمود سلام زناتى، مرجع سابق ، ص٢٣٥ .

وعن سياسة فرض الضرائب كشكل من أشكال السيادة ، راجع تاريخ الإمبراطورية الرومانية عند : أحمد غانم حافظ ، الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار ، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٧ ، تقديم أ.د. حسين الشيخ، ص٩٨ - ٩٩ .



ضرائب عينية	ضرائب نقدية
⇓	⇓
وكانت الدولة تقوم بمهمة جبايتها مباشرة عن طريق موظفى الضرائب	وكانت الدولة تلجأ فيها إلى نظام « الإلتزام » [1] وهو نظام على قدر ما حقق فائدة الدولة الإقتصادية القصوى على قدر ما أرهق دافعى الضرائب أنفسهم .

- وعموماً فقد استعمل الملوك البطالمة فى فترات قوتهم الضرائب كسلاح ذو حدين من جهة يحققون به مكاسب إقتصادية تدعم العرش البطلمى على حساب أهل البلد الأصليين فى حالات الهدوء والاستقرار السياسى. ومن جهة أخرى يحققون به مكاسب سياسية إذا ما رغبوا فى استرضاء الشعب المصرى فى حالات استيائه وثورته .

ثالثا : الجوانب الدينية :

- لعبت الديانة دوراً هاماً فى حياة المصريين قديماً إذ كانت بمثابة جزءاً مقدساً من حياتهم لا يسمح بالإقتراب إليه . وقد انعكست عقيدة المصريين الدينية على كافة مظاهر حياتهم .
- وعندما تولى البطالمة حكم مصر اهتموا اهتماماً بالغاً بسلوك المصريين الدينى وقد اتسمت سياستهم الدينية فى مصر بروح التسامح ليس فقط مع العقيدة المصرية ولكن أيضاً مع بقية مختلف

---

(١) حسين أحمد الشيخ، مرجع سابق ، ص٨٥ .

ديانات الجاليات الأخرى التى كانت تقطن مصر فى تلك الفترة ومنها العبادات الاغريقية على سبيل المثال .

- وإذا كان الملوك البطالمة قد خالفوا الإسكندر فى بعض أفكاره والتى سبق وأن عرضنا لها فى الفصل الأول من مؤلفنا هذا ، فإنهم قد ساروا على نهجه خصوصاً فيما يتعلق باحترامه للأديان أو لنقل محاولة توظيفه للدين فى خدمة أهدافه السياسية . وهنا نجد بطلميوس الأول أول ملوك البطالمة على مصر يقوم بتكوين لجنة من الكهنة المصريين واليونانيين تزعم فيها الجانب المصرى الكاهن والمؤرخ مانيتون والجانب اليونانى الكاهن تيموثيوس بهدف إيجاد ألهة تجد قبولاً وموافقة من كلا الطرفين المصرى واليونانى وهو ما أدى إلى ظهور الثالوث المقدس المكون من سيرابيس Sarapis - ايزيس Isis - حربوقراط Harpocrates (1) .

- ولا يخلو تكوين هذه اللجنة من هدف سياسى يخدم صالح الحكم البطلمى. ربما هو محاولة إيجاد نوع من الوحدة بين قطبى المجتمع المصرى فى هذه الفترة بما يحقق الاستقرار السياسى والمجتمعى للملوك البطالمة .

وإذا كان الملوك البطالمة قد عنوا إلى هذه الدرجة بتوحيد أطراف المجتمع على ديانة واحدة فنجدهم من جهة أخرى حريصين على

---

(1) P. M. Fraser, Plolemaic Alexandria, Oxford, 1972, p. 246 .
حيث تحدث عن أصل الاله سيرابيس وتطوره فى مصر ذاكراً أنه ظهر لأول مرة فى مصر فقط فى فترة حكم البطالمة لها . فى حين ربط بلوتارخوس بين سيرابيس والإسكندر نفسه . راجع Plut., Vitae, Alex. 26 - 3 .

- ومن المصادر التى ربطت نشأة عبادة سيرابيس ببطلميوس الأول Tacitus, Historiae, IV, 83 - 84 .

تقديم أنفسهم بمظهر دينى يتلائم وسياستهم فى توظيف الدين فنجدهم يحرصون على حمل ألقاب الملوك الفراعنة [1] مثل بطلميوس الأول وبطلميوس الثانى إذ حرص الأخير على التلقب بخمس ألقاب فرعونية ولم يقف عن ذلك الحد إذ أكد على رغبته فى التشبه الفعلى بالفراعنة حين تزوج بشقيقته « أرسينوى الثانية » جرياً على عادة الفراعنة [2] .

وقد حرص بطلميوس الرابع على أن يتوج ملكاً فى منف وسار على نهجه بقية الملوك البطالمة .

- لقد اهتم الملوك البطالمة جميعاً بإنشاء المعابد المصرية التى لايزال بعضها شامخاً حتى اليوم مثل :

١- معبد الاله حورس فى ادفو .

٢- معبد الاله حورس وسوبك فى كوم امبو .

٣- معبد الالهة ايزيس فى فيلة .

هذا بالإضافة إلى ظاهرة وجود مثل هذه المعابد فى بعض القرى الصغيرة [3] . وقد منحت تلك المعابد الرئيسية من الهدايا والهبات والأراضى الكثيرة .

- يتضح اذن مما سبق أن المصريون قد احتفظوا خلال العصر البطلمى بمعتقداتهم وأنهم ظلوا يعبدون ألهتهم القديمة مثل آمون ورع وبتاح وايزيس وأوزوريس [4] .

---

(١) يأتى حمل البطالمة للألقاب الفرعونية جرياً على عادة الإسكندر الذى تلقب بثلاث منها . راجع : إبراهيم نصحى ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص١٤ .

(٢) أبو اليسر فرج، مرجع سابق، ص٨٧ .

(٣) P. Tebt. 88

(٤) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٨٦ .

- وقد تمتع كهنة هذه الآلهة بأهمية خطيرة فى حياة المصريين وكان الملوك يحسبون لهم حسابهم وذلك لأنهم كانوا بمثابة مرشدين للأهالى وزعمائهم الروحيين . وبعد أن استقرت هذه الحقيقة فى أذهان الملوك البطالمة حاولوا الاستفادة من وضع الكهنة المتميز فى دعم حكمهم وسيطرتهم على المصريين عن طريق استقطاب الكهنة[1] .

- لقد خشى البطالمة من زيادة نفوذ الكهنة فحاولوا تقليم أظافرهم عن طريق تحديد مهام عملهم فى أداء الشعائر الدينية . فنجدهم :

١- يسندون إدارة أراضى المعابد إلى الحكومة (الدولة) .

٢- يستولون على دخل ضريبة المعابد من زراعى الكروم والبقول والفاكهة .

٣- يلغون احتكار المعابد لصناعة الزيت ونسج الكتان .

٤- يقومون بتعيين موظفين مدنيين لمراقبة النشاط الاقتصادى فى المعابد .

- كل تلك الاجراءات كانت تهدف إلى الحد من سلطان الكهنة عن طريق انتزاع ادارة أموال المعابد من أيديهم وتفتيت الهيكل الإدارى للنظام الكهنوتى نفسه .

- هذه الإجراءات قابلها الكهنة فى عهد الملوك البطالمة الأقوياء بمحاولات لإظهار ولائهم لهؤلاء الملوك فكانوا يعقدون اجتماعاً سنوياً يصدر فى أعقابه مرسوم الولاء للملك ومن أشهرها :

---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص١٨٧ .

١- مرسوم كانوب الذى صدر فى عهد بطلميوس الثالث ٢٣٧ ق.م .

٢- قرار ، حجر رشيد ، الذى صدر فى عهد بطلميوس الخامس ١٩٧ ق.م [١] .

- استطاع اذن البطالمة الأقوياء تحجيم دور الكهنة المصريين ولكن مع ظهور بوادر ضعف الملوك البطالمة بدأ الكهنة ينضمون إلى صفوف الثوار ضد الحكم البطلمى وهو ما دفع الملوك البطالمة الضعفاء إلى محاولة كسب ودهم بشتى الوسائل .

- ورغم كل المنح والعطايا والتى منحها الملوك البطالمة الضعاف للكهنة إلا أن الكهنة فيما يبدو لبعض الباحثين لم يستردوا كل حقوقهم التى سلبها اياهم الملوك الأقوياء وذلك لعجز السلطة الملكية المركزية عن إرغام موظفيها على تنفيذ أوامرها وعمومًا فقد انقسم البطالمة إزاء موقفهم تجاه الملوك البطالمة الضعاف إلى قسمين :

١- قسم حافظ على العلاقة الطيبة بالملوك ⇐ كهنة منف (فى الشمال) .

٢- قسم ناصب الملوك العداء وزعموا الثورة ⇐ كهنة الاله آمون (فى طيبة) [٢] .

- وكما احتفظ المصريون بمعتقداتهم المتوارثة احتفظ الاغريق الذين سكنوا مصر بعقائدهم الدينية وظلوا يعبدون ألهتهم الخاصة التى أتوا بها من بلاد اليونان الأم وأقاموا لها معابداً فى المدن التى شهدت كثافة سكانية يونانية عالية.

---

(1) Bowman K. K., op. cit., p. 169 .

(٢) أبو اليسر فرح، مرجع سابق، ص٨٨ وفادية أبو بكر، مرجع سابق ، ص١٨٧ .

- وهناك أمور كثيرة ساعدت الإغريق على أن يحتفظوا بمعتقداتهم فى مصر منها :

١- وضعهم المتميز الذى وضعهم الملوك البطالمة فيه سياسياً بالسماح لهم بالسكنى فى مدن ذات طابع سياسى خاص اختلف عن بقية مدن مصر جميعاً وهو نظام Polis (٢) .

٢- وضعهم المميز اجتماعياً إذا اعتمد عليهم البطالمة فى مناصب الإدارة العليا ومجالات هامة كالجيش والاقتصاد .

وإذا كان البطالمة قدموا أنفسهم للمصريين بوصفهم ملوك فراعنة وربما استخدموا خلفية المصريين التاريخية ووظفوا كهنتهم فى إقناعهم بذلك فإنه كان من الصعوبة على الملوك البطالمة أن يقنعوا رعاياهم من الاغريق بشرعية حكمهم الدينى . وقد تصدى بطلميوس الأول لهذه المشكلة بحكم وضعه كأول مؤسس للأسرة البطلمية فى مصر .

قام بطلميوس بتأليه الإسكندر الأكبر على أساس أن مؤسسى المدن يستحقون أن يرفعوا إلى مصاف الألهة . والغريب أن بطلميوس الأول لم يأله نفسه بنفسه وإنما جاء الاعتراف به إلهاً مخلصاً Soter من خارج مصر وتحديداً من رودس وذلك تقديراً وعرفاناً له على ما قدمه لها من مساعدات وفقاً لما جاء لدى روستوفتزف (٢) ثم تتابعت خطوات تأليه البطالمة كأسرة حاكمة بعده حيث فعلها بطلميوس الثانى حين رفع والديه إلى مصاف الألهة .

لقد حاول البطالمة التقرب للاغريق دينياً بكل وسيلة ممكنة ومنها :

---

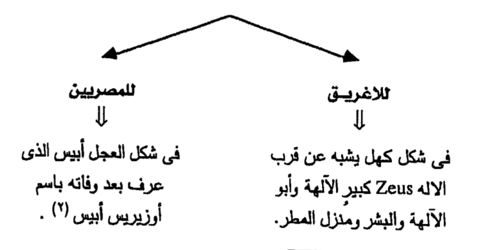
(١) حسين الشيخ، مرجع سابق ، ص٨٦ .

(2) Rostovtzeff. op. cit., p. 268 .

١ - اعترافهم بالديانة الاغريقية كدين رسمى للدولة بكل ما يستلزم معه هذا الاعتراف من تشييد للمعابد ومنح هذه المعابد أراضى واسعة وحرية فى اقامة الشعائر .

٢ - أقاموا الحفلات الدينية على نمط الحفلات الأوليمبية ومن أهمها حفلات البطوليمايا التى أقامها بطلميوس الثانى تخليداً لذكرى أبيه(١).

ولما كان قطبى المجتمع المصرى آنذاك مستقر كل من منهم على عقيدته الدينية منفصلاً إلى حد ما عن الآخر أوجد البطالمة ديانة جديدة تهدف إلى الجمع بين المصريين والاغريق . وقدمت ألهة الثالوث (المكون لهذه العبادة الجديدة) للاغريق فى شكل اغريقى وللمصريين فى شكل مصرى ويتضح التباين فى أقصى صورة بين الشكلين فى حالة الاله سيرابيس إذ قُدم :



---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) كان الاله أوزيرابيس على شكل رجل له رأس ثور يتوسط قرنيه قرص الشمس وعادة يمسك بصولجان وهكذا كان يصور فى الفن المصرى . راجع : وفاء أحمد الغنام ، وسائل التعبير الفنى عن الآلهة المصرية فى مصر البطلمية والرومانية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، آداب إسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص٩٧ ، قارن عزت زكى حامد قادوس، فنون الإسكندرية القديمة ، مرجع سابق ، ص١٠١ وما بعدها ، حيث يقدم عرضاً شيقًا لصور وأصول ألهة الثالوث المقدس فى شكلها المصرى والاغريقى .

وإذا كان بطلميوس الأول هو الذى أنشأ عبادة سيرابيس فإن الأدلة الأثرية تثبت أن بطلميوس الثالث هو الذى شيد المعبد الكبير الذى أقيم لهذا الاله فى حى زاقودة بالإسكندرية . على ذلك التل الذى لايزال قائمًا حتى يومنا بحى كرموز بالإسكندرية . والذى عثر به على أفضل نماذج عجل أبيس وتحديد بمنطقة عامود السوارى (١) .

إنتشرت العبادة (الديانة) الجديدة ليس فقط فى مصر بل أيضاً فى شتى أرجاء البحر المتوسط. ورغم نجاح هذه العبادة وانتشارها إلا أن ذلك لم يجعل لا المصريين ولا الإغريق يتركون عباداتهم الأصلية .

وهكذا فى ختام حديثنا عن الجوانب الدينية نخلص بعدة نتائج وهى:

١- كانت التعددية أهم ما كان يميز الحياة الدينية فى مصر فى ذلك العصر.

٢- أن البطالمة ساروا على نهج الإسكندر فى موضوع احترام العقائد .

٣- حاول البطالمة توظيف الدين لخدمة السياسة .

٤- العلاقة بين الكهنة المصريين والملوك البطالمة كانت علاقة متذبذبة تحكم فيها عنصر المصلحة .

٥- سيرابيس عبادة جديدة يظهر من خلالها محاولة المزج بين الحضارتين الشرقية والغربية ليس بهدف حضارى وإنما بهدف سياسى وهو تحقيق الوحدة المجتمعية بهدف التوصل إلى السلام والاستقرار الاجتماعى ثم السياسى المطلوب .

---

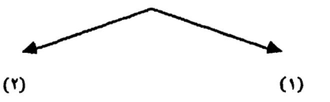
(١) عزت زكى حامد قادوس ، آثار الإسكندرية القديمة ، الإسكندرية ، ٢٠٠١، ص ص١٩١ - ١٩٤ .

٦- المجتمع المصرى كان مؤهلاً لتقبل عبادة الملك البطلمى ولتقبل عبادة سيرابيس وذلك على اختلاف طوائفه .

رابعًا : الجوانب الاجتماعية :

وجدت بمصر فى العصر البطلمى العديد من الجاليات الأجنبية وكان من الطبيعى أن يعتمد الملوك البطالمة على أبناء الجاليات الأجنبية ويتخذوا منهم فى بعض المراحل سنداً ونصيراً ضد أبناء البلد الأصليين .

وقد اختلفت معاملة الملوك البطالمة مع أبناء الجاليات الأجنبية ذاتها حسب أهمية هذه الجالية أو تلك بالنسبة لشئون الحكم ومن هنا نعرف أن الملوك البطالمة ساروا على التفرقة العنصرية بين :



(١) أبناء الجاليات الأجنبية ذاتها

(٢) المصريين وأبناء الجاليات الأجنبية

وفى تحليلنا لأسباب إتخاذ البطالمة هذه السياسة نجد أن هناك أكثر من سبب :

١- ثقافة البطالمة المتأثرة بالحضارة اليونانية ولاسيما فى مجال السياسة واقتباسهم لآراء أرسطو العنصرية .

٢- احساس البطالمة بافتقادهم شرعية حكم مصر جعلهم دائماً غير واثقين من تصرفات المصريين فجعلوهم دائماً فى المكانة الأقل كلما استطاعوا أو سمحت لهم الظروف .

- عموماً أدت سياسة التفرقة إلى تفاوت فى أوضاع سكان مصر بشكل

عام اجتماعيًا وقانونيًا وقد ظهر هذا واضحًا فى حالة ثلاث من العناصر التى قطنت مصر آنذاك وهم :

(١) المصريون Aigyptioi .

(٢) الإغريق Hellenés .

(٣) اليهود Iodaioi .

أولاً : المصريون :

ظل المصريون يشكلون الغالبية باعتبارهم سكان البلاد الأصليين وقد انقسم المصريون اجتماعياً إلى طبقات هى :

١- الطبقة الارستقراطية : وكانت تضم نوعين من السكان :

(أ) كبار ملاك الأراضى : وقد تقلص دورهم الاجتماعى بعد مصادرة أملاكهم .

(ب) كبار رجال الدين : وقد تعاظم دورهم فقط فى الشطر الثانى من حكم البطالمة.

٢- طبقة المحاربين : وقد فقدت مكانتها لاعتماد البطالمة على الجنود الأجانب .

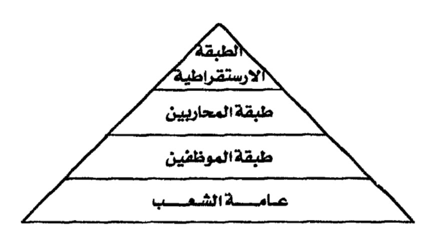
٣- طبقة الموظفين : شغلت الوظائف الدنيا فى الجهاز الإدارى التى كانت تدر دخلاً ضعيفاً .

٤- عامة الشعب من (فلاحين ، صناع ، تجار) . وهم من عانوا كافة أشكال الظلم [1] .

---

(1) Westerman W.L., The Ptolemies and the Welfare of their subjects. American Historical Review (A.H.R.)., XLIII, 1938, pp. 277 ff.

وراجع : هيرودوت Herodotus، الكتاب الثانى II ، ١٦٣ ، حيث يتحدث عن سبع طبقات فقط هم الكهنة ، الجند، رعاة البقر، رعاة الخنازير، التجار، المفسرون أصحاب المراكب .



- لقد اضطر البطالمة إلى تغيير سياستهم مع المصريين بعد موقعة رفح ٢١٧ ق.م فنجدهم يردون إلى رجال الدين بعض امتيازاتهم ، كما استعانوا بالمصريين بشكل أفضل فى الجيش وسمح لهم البطالمة بتولى المناصب الإدارية الهامة .

- ورغم كل تلك المكاسب التى حققها المصريين على الصعيد الاجتماعى إلا أن كل ذلك لم يكن يعنى أن البطالمة قد حققوا المساواة بين المصريين والإغريق مثلاً. إذ ظل هناك حاجزاً يفصل بين المصريين (المحتلين) والبطالمة (الغزاة) .

ثانيا : الاغريق :

يرجع تاريخ استقرار الاغريق فى مصر إلى القرن السابع ق.م حين اتخذ منهم بسماتيك جنوداً مرتزقة .

وقد اعترف هيرودوت فى مجال حديثه عن مصر فى الكتاب الثانى من عمله « التواريخ » أن بمصر صوريين وقوريناثين والليبيين ويونانيين وفارسيين [1] .

(1) Herodotus, Historiae II, 112 - L.C.L.

ولم يجد البطالمة فى الواقع أى مشقة فى الحصول على أعداد كبيرة من الاغريق إضافة للموجود منهم بالفعل إذ شجع اشتهار مصر بالغنى الكثير منهم. على المجئ إلى مصر والاستقرار بها سعياً وراء الثراء أما عن طريق الإفادة من كرم وعطايا بطلميوس الأول وخلفائه أو عن طريق العمل فى الجندية كمرتزقة [1] .

عاش الاغريق فى مدن مصرية عملت بنظام « دولة المدينة » فعرفت بالمدن الاغريقية . وعلى الرغم من تعارض وجود تعارض بين نظام المدن الاغريقية السياسى وبين النظام الملكى الذى أقامه البطالمة فى مصر إلا أن الملك البطلمى بطلميوس الأول هو الوحيد الذى سمح بإقامة مدينة يونانية أخرى ارضاءاً منه لشعور الاغريق فسمح لهم بتكوين اتحادات ذات طابع عسكرى واجتماعى ودينى تعرف باسم « بوليتيوما » Politeuma ويبدو أن كل بوليتيوما كانت تضم مجموعة من الجنود المرتزقة الذين ينتمون إلى موطن واحد وكانت جميع هذه الاتحادات خاضعة للملك مباشرة .

ليس هناك من شك أن الاغريق فى مصر شكلوا أكبر الجاليات الأجنبية وأنهم تمتعوا تحت حكم البطالمة بامتيازات كثيرة كانت قاصرة عليهم فقط دون المصريين فمثلاً :

١- كان منهم كبار الموظفين فى مناصب الإدارة .

٢- كان منهم كبار القادة فى الجيش البطلمى .

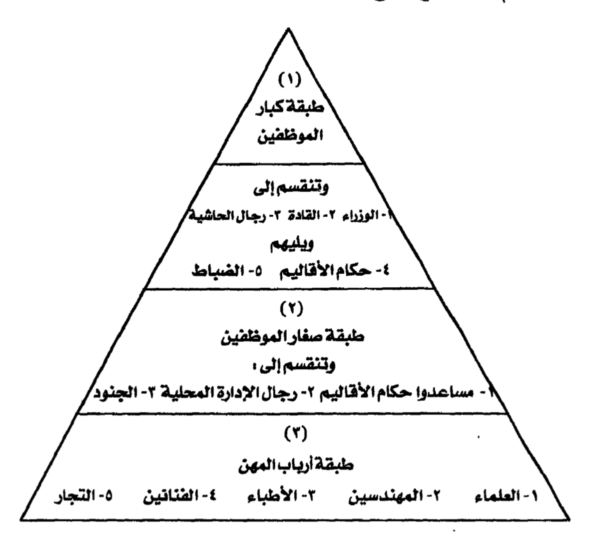
٣- اجتماعياً أعفوا من بعض الضرائب التى خضع لها كل سكان مصر.

كان المقدونيون الفئة الوحيدة القادرة على منافسه الاغريق

(1) Rostovtzeff. SEHHW., p. 409 .

اجتماعياً فى مصر فهم من نسل الإسكندر الأكبر والبطالمة أنفسهم فكانوا يعتبرون أرقى وحدات الجيش وأهم عناصره - خاصة بعد أن تفوق الجنود المقدونيون على الجنود الاغريق فى صراع الإسكندر وأبيه مع الدويلات اليونانية السابق الحديث عنه فى الفصل الأول من مؤلفنا هذا .

كان الاغريق الموجودين فى مصر ينقسمون طبقياً كما يوضح لنا الهرم الاجتماعى التالى :



كان طبيعياً أن تثير سياسة البطالمة فى مصر الأحقاد بين كل فئات المجتمع من المصريين والاغريق والمقدونيين . وعلى الرغم من أنه فى بعض مراحل حكم البطالمة لمصر حاولوا استرضاء المصريين إلا أن هذا الاسترضاء لم يجعلهم يتساوون بالإغريق وبالتالى ظلت الفرقة والغيرة هى السمة الأساسية المميزة للعلاقات الاجتماعية بين المصريين والإغريق .

ثالثا : اليهود :

وجدت فى مصر عموماً أعداداً كبيرة من اليهود ولاسيما فى مدينة الإسكندرية حتى أصبحت الإسكندرية من أهم المراكز اليهودية فى العالم لا تقل فى أهميتها عن أورشليم وبابل (١) .

وقد زعم جوزيفوس اليهودى المؤرخ أن الإسكندر الأكبر هو الذى أحضر اليهود إلى الإسكندرية وأنه خصص لهم حى « الدلتا » وهو الحى الرابع (٢) .

وعموماً فإن علاقة اليهود بمصر إنما تعود إلى أقدم العصور إذ كثيراً ما نزحت القبائل العبرية إلى مصر طلبًا للرزق أو طلبًا للمعونة والمساعدة وهو ما حدث مثلاً عندما تعرضوا لخطر الأشوريين حينما دمر نبوخذنصر مدينة أورشليم (٣) .

ونظراً لكثرة اليهود العددية وتميزهم الدينى الذى دائماً ما تمسكوا

---

(١) مصطفى كمال عبد العليم ، اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، القاهرة ، ١٩٦٨ ؛ ص٣٢ .

(2) Josephus, Contra Apionem, II. 35 .

(٣) حسين الشيخ، مرجع سابق ، ص٨٨ .

به منحهم الملك البطلمى حق تكوين « بوليتيوما » وعن طريقها تمكنوا من تنظيم شئونهم وممارسة عباداتهم الخاصة . ويذكر أحد الآراء أن اليهود فى مصر تأغرقوا تماماً وأصبحت اليونانية هى لغتهم الوحيدة منذ منتصف القرن الثانى ق.م . بحيث أصبحوا جميعاً اغريق [1] .

ولقد مارس يهود الإسكندرية عديد من الأنشطة خاصة فى مجالى المال والتجارة وكان بعضهم يتمتع بقدر من الثراء . إذ اشتغل بعضاً منهم بمهنة الإقراض نظير فوائد عالية .

لم يكتف اليهود فى الإسكندرية بالدور الاقتصادى الكبير الذى مارسوه بل حرصوا على ممارسة العمل السياسى فى بعض الأحيان.

ففي عام ١٤٥ ق.م

قام « أونياس الرابع » أحد زعماء اليهود على رأس قوات عسكرية لمساعدة كليوباترة الثانية فى صراعها مع شقيقها يوارجيتيس الثانى وعندما انتصر الأخير نُكل باليهود .

وفي عام ٥٥ ق.م

ساعد اليهود جابينيوس والى سوريا الرومانى الذى قام بغزو مصر لإعادة بطلميوس الزمار إلى العرش .

وفي عام ٤٨ ق.م

قام اليهود بمؤازرة قيصر فى حربه ضد السكندريين ، كما سارعوا بالترحيب بأوكتافيانوس عند دخوله مصر (الإسكندرية) فى عام ٣٠ ق.م[2].

---

(١) فادية أبو بكر ، مرجع سابق ، ص٢٣٧ .

(٢) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص١١٠ .

لقد عامل البطالمة اليهود على نحو أفضل مما عاملوا به المصريين فسمحوا لهم بالإقامة فى الإسكندرية رغم عدم كونهم مواطنين سكندريين وعهدوا إليهم بالمناصب الكبيرة واستخدموهم فى الجيش البطلمى كمحاربين. وكانت مهنة ملتزموا الضرائب أهم المهن التى أوكلت لليهود مهمة القيام بها [1] .

(١) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٨٩ .

دعائم الحكم البطلمى فى مصر

« نظرة جديدة »

التوظيف السياسى لبعض الأماكن السياحية بمصر البطلمية

الفصل الرابع

التوظيف السياسى لبعض الأماكن السياحية بمصر البطلمية

مقدمة:

ليس هناك من شك فى أن مصر قد تمتعت عبر عصورها المختلفة بعديد من الموارد والمميزات التى أدركها كل حاكم أو زائر لها، وقد اختلفت النظرة لتلك الموارد والمميزات باختلاف أهداف حكامها وزائريها، وهذا ما يتضح جليًا من شهادة هيرودوتوس عن مصر حين قال « فيما يخص المصريين أنفسهم، فالجدير بالملاحظة هو أن أولئك الذين يقطنون أرض القمح يكرسون أنفسهم أكثر من أى شعب آخر فى العالم من أجل أن يحفظوا ذاكرة الأعمال القديمة وهم الأمهر فى التاريخ من بين كل ما شهدت من شعوب »[1] .

وكما يتضح من عنوان الفصل فإنه يركز على إحدى مميزات مصر فى هذا الصدد وكيف برزت فى أثناء حكم البطالمة ، إلا وهو ما عمرت به مصر على اختلاف أقاليمها من أمكنة كانت لها سمة سياحية أو ترفيهية إذا جاز لنا التعبير .

ينوى الكاتب هذا الفصل أن يتناول الأماكن والمزارات الضاربة فى جذور تاريخ مصر فى عصر البطالمة فى محاولة منه أن يثبت أن هذه الأماكن كانت فى تلك الفترة مقصداً للزائرين وهو ما يعتبره الباحث

(1) Herodotus, Historiae, I, II, 66. L.C.L.

مطابقًا لمفهوم السياحة بالمعنى الحديث للكلمة (*) ، فضلاً عن أن الكاتب سوف يعنى بمفهوم التوظيف السياسى لمثل هذه الأماكن والمزارات .

وفى هذا الصدد سوف يحاول الكاتب أن ينتقل بين أنماط سياحية مختلفة تتراوح بين السياحة الدينية التى تنطبق على معبد آمون فى واحة سيوة وكذلك الاحتفالات الدينية التي عمد البطالمة إلى تشجيعها . والسياحة الثقافية التى مثلتها مكتبة الإسكندرية بوصفها صرحًا ثقافياً كان كعبة للعلماء من شتى بقاع العالم القديم. والسياحة الترفيهية التى مثلها إقليم أرسينوى وإقليم كانوبوس، موضحاً كيف تم توظيف كل نوع منها توظيفاً سياسياً .

أولاً : التوظيف السياسى لبعض أماكن السياحة الدينية :

(أ) معبد آمون فى سيوة :

يعد معبد آمون القابع بواحة سيوة من الأماكن التى كان يحرص الناس على زيارتها فى مصر منذ عهد الفراعين القدامى بهدف التبرك، الذى كان معروفاً للمصريين والإغريق وقد اشتهر منذ القرن الخامس ق.م بأنه مركز للنبوءة كمعبد أبوللون فى دلفى وقد رأى الإغريق فى

(*) السياحة عبارة عن انتقال الإنسان من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان (السياحة العالمية) أو الإنتقال فى البلد (السياحة الداخلية) لمدة يجب ألا تقل عن ٢٤ ساعة بحيث لا يكون من أجل الإقامة الدائمة وبعيداً عن كسب الرزق لممارسة أنشطة متعددة وفقاً للغرض من الرحلة وحسب رغبة السائح فإما أن تكون إشباعاً لرغبة ثقافية أو رياضية أو لحضور اجتماعات ومؤتمرات أو للقيام بالمناسك الدينية أو طلباً للعلاج : راجع : دلال عبد الهادى، دراسة فى أساسيات السياحة ، الفتح للطباعة والنشر، الإسكندرية ، ٢٠٠٣ ، ص٨ .

آمون إلهاً مساوياً لزيوس (١) ، وقد زار الإسكندر الأكبر معبد آمون إيماناً منه بانتسابه المباشر إلى زيوس من خلال جده هيراكليس حيث تمت له الموافقة على منح السلطة للملك العظيم وكان وصوله موضع كل ترحيب، وقدمت إليه قورينة الهدايا ومن بعدها قورينائية Cyrenaica تلك الولاية الغنية، مما ساعد الإسكندر على بسط سلطانه على كل ليبيا في العصر الهللينستى دون أن يذهب إليها بشخصه (٢).

ويرأى د. نبيل راغب فإن ما ينطبق على الإسكندر الأكبر ينطبق على كل ملوك البطالمة الذين حكموا الإسكندرية حتى الفتح الرومانى لها، وكذلك على جميع الرعايا اليونانيين فى مصر الذين سحرتهم الاحتفالات المبهرة التى كانت تقام فى المعابد المصرية ، وكان طبيعياً أن يدعى ملوك البطالمة الألوهية اعتماداً على ثقافة المصريين السابقة فى هذا الصدد (٣) .

---

(١) يحدثنا هيرودوت عن زيارات كرويسوس Croesus ملك ليديا المعاصر لفترة حكم اماسيس Amasis لمصر ومنها زيارته لدلفى ودودونا وآمون فى واحة سيوة بشأن الاطمئنان لنجاح حملته المستقبلية ضد الفرس Idem., I, 46 ، وهناك زيارة القائد الأثينى المشهور كيمون Cimon لمعبد آمون فى سيوة حيث لم يتم الإجابة عليه وأمر بالرحيل الفورى ، وكذلك زيارة الشاعر اليونانى بنداروس الذى قدم أحد قصائده الغنائية فى المدح هدية للآله آمون والتى ظلت محفورة على أحد جدران المعبد، وكذلك زيارة القائد العسكرى الإسبرطى ليساندروس والذى يعود إليه الفضل فى ذيوع صيت اسبرطة كمدينة قائدة فى العصر الهللينستى وقد قرر أن يزور المعبد طلباً لمعونة آمون . قارن :

- Ahmed Fakhry, Siwa Oasis, The American University Press, Cairo, 1990, p. 83.

(2) Francois Chamoux, Hellenistic Civilization, Translated by Michael Roussel & Margaret Roussel, Blackwell Publishing, 1st published in English, 2003, p. 18 - 19 .

(٣) نبيل راغب، عصر الإسكندرية الذهبى، رؤية مصرية علمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣، ص٩١ .

وقد أجمعت الروايات على أن هذه الزيارة التى قام بها الإسكندر الأكبر نتج عنها حصوله على شرعية الحكم فى مصر بعد أن اكتسب لقب « ابن الإله آمون » ، تلك الشرعية التى بدء خلفاؤه من البطالمة فى مصر فى السعى وراء اكتسابها ربما سيرا منهم على نهج الإسكندر مع المصريين أو لرغبتهم فى دعم سيطرة الدولة الجديدة على مصر عن طريق الدين .

وهنا يود الكاتب أن يشير إلى أن زيارة الإسكندر الأكبر لمثل هذا المكان الشهير لم تأت تقرباً منه للمصريين كما هو سائد لدى البعض من جمهور المتخصصين لأنه، فى الواقع ، ومن خلال معرفة ظروف المصريين، لم يكن الإسكندر فى حاجة إلى مثل هذه الدعاية لأنه أصلاً كان مرحباً به حتى من قبل دخوله إلى مصر [1] . خصوصاً إذا وضعنا فى الاعتبار أن المصريين كانوا ينظرون إليه بوصفه المخلص لهم من الحكم الفارسى الغاشم.

وربما جاءت هذه الزيارة محاولة منه للتبرك بنبوءة كهانة آمون، بما قد يحقق له النجاح فى مهمته فى الشرق وهو التفسير الذى يتفق وما عرف عن طبيعة الإسكندر العملية. ولعل هذه الزيارة التى قام بها الإسكندر لمعبد آمون فى سيوة - بوصفه سياسياً وعسكرياً واعداً - أضفت إلى المكان شهرة على شهرته كما تسببت فى أن يظل هذا المعبد محتفظاً بما له من شهر دينية انتقلت معه عبر العصور فى مصر. ويبدو أن هذه الزيارة لم يقتصر أثرها على ذيوع صيت المكان فى فترة

(1) Arrianus, *Anabasis Alexandrou*, 119, 1.3., Diodorus Siculus, XVII. 49.

جديدة من تاريخ مصر بدأت بدخول الإسكندر إليها، وإنما امتد أثرها إلى الإسكندر ذاته حيث خلع عليه كهنة المعبد أحد ألقاب الفراعنة وهو « ابن رع » ، فضلاً عن خلفائه من البطالمة الذين حكموا مصر منذ ٣٢٣ق.م حتى ٣١ق.م وهو الأثر الذى تمثل فى إتجاه تفكير بطلميوس الأول Σωτηρ ناحية توظيف العاطفة الدينية لخدمة دعم الوجود السياسى لدولة البطالمة على أرض مصر .

ويمكننا من هذا المنطلق أن نفسر تلك العبادة الجديدة التى قدمها البطالمة للمصريين ممثلة فى شكل إله رسمى للدولة يجمع بين الصفات الإغريقية والمصرية بهدف ربط وتوحد الجنسين دينيًا ، وكان هو الإله «سيرابيس » Sarapis ، ويؤكد بلوتارخوس أن الكاهن المصرى مانيتون الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث ق.م، وهو أحد كهنة معبد هليوبوليس بالإشتراك مع تيموثيوس أحد كهنة معبد ديميتر اليونانى قد وضعا أساس هذه العبادة الجديدة (١) واستقرا على أن يكون الثالوث المقدس هو محور العبادة الجديدة (٢) .

هذا وقد انتشرت المعابد السيرابية فى المدن المصرية الكبرى ومنها سيرابيون الإسكندرية ومكانه فى الحى الخامس والمسمى بالحى الوطنى أو حى راقودة وتحديداً فوق اكروبوليس المدينة وهى المنطقة الواقعة اليوم فوق تل باب سدرة وسيرابيون كانوبوس (معبد أبى قير) على ساحل البحر شرقى الإسكندرية .

---

(1) Plutarchys, *De Iside et Osiride*, 28 .

(٢) عن مكونات الثالوث (سيرابيس ، ايزيس، حربوقراطيس) راجع : إبراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٨١، ص١٧٧ – ١٧٨ .

وقد قام القائد الرومانى لوكيوس ليكينيوس لوكولوس – فى أثناء خدمته العسكرية تحت لواء لوكيوس كورنيليوس سولا – بدخول الإسكندرية وزيارة سيرابيون الإسكندرية والمكتبة الملحقة به التى سميت بالمكتبة الصغرى تمييزاً لها عن مكتبة الإسكندرية الكبرى [١] ، وذلك فى عام ٨٧ق.م وذلك بعد أن استقبله الملك البطلمى ومنحه حق تناول الطعام فى القصر الملكى كما أغدق عليه من التكريم ما لم يسجله التاريخ لأى قائد أجنبى، ويروى بلوتارخوس أنه بعد إنتهاء خدمته وعودته إلى روما نالت مكتبته تقديراً شديداً لما حوته من مخطوطات كثيرة وطريفة وأن أبوابها كانت دائماً مفتوحة كذلك، وكان الإغريق يستخدمون الأروقة وغرف القراءة مجاناً [٢]. ولدينا دليل يعود إلى أواخر القرن الرابع الميلادى على أن الخطيب أفثونيوس الأنطاكى قام بزيارة السيرابيون ورأى ما به من غرف لحفظ الكتب وكيف كانت الكتب متاحة لكل الدارسين واعترف بأن مكتبة السيرابيون استطاعت أن تجذب كل سكان المدينة من طلاب الحكمة [٣] وعموماً فإن كل كتابات المؤرخين تدل على أن معبد السيرابيون كان من أعظم المعابد فى حوض البحر الأبيض المتوسط [٤] .

---

(1) M. El-Abbsdi, The Life and the Fate of The ancient Library of Alexandria, UNESCO, 1990, p. 91 ff.

(2) Plutarchus, *Vitae* , Lucullus, XLII. L.C.L.

(3) Aphthonius, Progymnasmata, 12., cf. Roy Macleid, The Libarary of Alexandria Center of Learning In The Ancient World, A.U.C. Press, 1st published, 2002, p. 68 .

(4) Tacitus. *Historiae,* IV, 83 - 84., Ammianus Marcellinus, *Historiae,* XXII 16, 12 - 13, Herodian, History of The Empire, IV. 6,8 Dio Cassius, ρωμαικα ιστορια LVII 23, 2. L.C.L.

(ب) الاحتفالات الدينية :

كانت توجد فى مصر الاحتفالات التقليدية للديانة الشعبية التى كان من إحدى خصائصها عبادة الحيوانات وهى التى أشار إليها الأجانب من الرومان بشئ من التهكم والاحتقار، على العكس تماماً من الاغريق الذين قدموا لزيارة مصر بأهراماتها الكثيرة وقصر اللابيرنث الذين كانوا يسعدون بالقيام بجولة لرؤية الكهنة وهم يطعمون التمساح الذى يعيش فى البحيرة المقدسة بجوار معبده فى إقليم أرسينوى ، وكان منظر الكاهن والتمساح يمثل بالنسبة لهم مكان جذب سياحى ، وقد كان التمساح بالنسبة لأهالى الإقليم هو إلههم الحارس (سوبك) ويلقب باليونانية Σουχοs (سوخوس) .

فى المقابل نجد أوكتافيانوس والملقب بأوغسطس أثناء قيامه بجولات تفقدية بعد فتحه مصر يرفض أن يزور عجل أبيس قائلاً أنه اعتاد عبادة آلهة وليس أبقاراً فى حين طلب رؤية جثمان الإسكندر ، ولم يشاهده فقط ولكن لمسه أيضاً حيث كان قد فقد الجثمان جزءاً من الأنف [1] .

بل وهناك من الكتاب الرومان من تحدث عن هذه العبادات وعن اليونانيين الذين آمنوا بها بقدر من السخرية مثل جوفيناليس قائلاً : « ... من الذى يعرف الحيوانات التى يعبدها المصريون الذين لا عقول لهم ؟ أنهم يعبدون التمساح فى إحدى الأماكن، ويقف مكان آخر فى رهبة أما طائر أبو منجل الذى يلتهم الثعابين ... وهنا يعبدون القطط، وهناك السمك وبينما تعبد مدينة بأكملها الكلب » [1] .

(1) Idem, LI, 16. L.C.L.

(2) Juvenal, Satires., 15, 1 - 8 .

وفى ترجمة السيد جاد لكتاب نفتالى لويس (الحياة فى مصر تحت الحكم الرومانى) نقرأ أن هناك أيضًا من بين الكتاب اليونانيين الذين غلب عليهم طابع التعقل هؤلاء لم يراعوا - إلا فى النادر - أن هذه العبادات ربما ترجع أصولها إلى الرغبة فى استرضاء الحيوانات المقدسة التى كانت إما تشكل خطراً أو تجلب فائدة للحياة البشرية فى وادى النيل [١] .

ومن الاحتفالات الدينية المصرية التى كان يحرص المصريون على حضورها تلك التى كانت تقام فى الدلتا خاصة فى « سايس » و « هليوبوليس» ويبدو أنها كانت على قدر من الأهمية والتنظيم والجذب للمصريين من جميع أقاليم مصر، مما ساعد بوجهة نظر الباحث على رواج ما يسمى حالياً بالسياحة الدينية، وقد حدثنا هيرودوتوس عن تلك الاحتفالات فى كتابه الثانى [٢] ، ويبدو أن هذه الاحتفالات قد استمرت فى مصر فى عصرها البطلمى وإن اختلفت أماكن الاحتفالات بما يتفق وطبيعة العصر والحاكم البطلمى الجديد، إذ أصبح هناك سيرابيون الإسكندرية الذى كانت تقام فيه الاحتفالات الدينية وتقدم فيها التقدمات للمعبود سيرابيس ، وهذا ما يؤكده النقش الموجود على قاعدة أحد التماثيل والمحفوظ بالمتحف اليونانى والرومانى بالإسكندرية التى كتب عليها: Ασκληπιοδ [..οδ. Ευ]– βουλοδ. Ευ [βουλου] Ασκληπιοδ [..οδ.Ευ] – βουλοζ Σαραπ [ει] .

« مهدى من اسكليبيودوروس، ابن يوبولاس إلى سيرابيس » [٣] .

---

(١) نفتالى لويس ، الحياة فى مصر تحت الحكم الرومانى ، ترجمة وتقديم / السيد جاد، الإسكندرية ، ١٩٩٣، ص٩٠ .

(2) Herodotus, op. cit., II. 59 - 63 .

(3) Bernard Etienne, " Inscriptions Grecques d'Alexandrie Ptolemaique ", IFAO, 2001, p. 27 - 8, No.4.

ويجد الباحث فى تشجيع البطالمة لمثل هذه الاحتفالات الدينية فى المجتمع المصرى عاملاً ساعدهم إلى حد كبير على الاحتفاظ بوحدة نسيج المجتمع المصرى الذى أخذ يجتمع على عبادة واحدة مما أسهم فى تقوية قبضتهم على مصر وهذا ما يعرف بالتوظيف السياسى للدين والأماكن الدينية فى مصر - تلك الظاهرة التى عرفت فى مصر منذ أيام الفراعنة - ذلك التوظيف السياسى الذى تبعته بعض المظاهر مثل محاولات الملوك البطالمة استقطاب كهنة المعابد بمنحهم ما عرف بأراضى المعابد .

ثانيًا : التوظيف السياسى لبعض أماكن السياحة الترفيهية :

(أ) إقليم أرسينوى :

هناك دليل من الوثائق البردية والمنشور ضمن مجموعة بردى تبتونس، عبارة عن وثيقة يرجع تاريخها إلى ١١٢ق.م، يدعم به الباحث فكرته السابقة عن معرفة مصر للسياحة فى عصر الدولة البطلمية وفيما يلى نص الوثيقة .

« تحية من هيرمياس إلى حورس ، إليك نسخة من الخطاب الموجه إلى اسكليبياديس . وبناء عليه عليك القيام بتنفيذ كل ما ورد به بكل دقة. العام الخامس، السابع عشر من كساندیکوس (أمشير) ، الموافق السابع عشر من ميكير (أمشير) .

إلى اسكليبياديس ليكيوس ميمميوس عضو مجلس الشيوخ الرومانى يحتل منزلة وشرف عظيمين المتوجه من المدينة (الإسكندرية) إلى إقليم أرسينوى بهدف زيارة الموقع . فلتدعه يستقبل بجلال عظيم، وكن حريصًا على الإنتهاء من إعداد حجرات الضيوف وأماكن الوصول فى

المقاطعات وعلى أن تقدم له الهدايا المذكورة فى مكان الوصول، وعلى « إعداد » أثاث حجرة الضيف والطعام المخصص لكل من بيتيسوخوس والتماسيح Και το γεινομενον τωι Πετεσουχωι και τοις κροκδειλοις وعلى « إعداد » مراسم φωμιον και τα προs την του زيارة (مشاهدة) اللابيرنث Λαβυρινθου θεαν، وعلى أن تكون التقدمات والأضاحى مجهزة. عموماً أبذل قصارى جهدك كى ترضى الرجل (الزائر) مبدياً كل حماسة » (١) .

من خلال النظر إلى تاريخ البردية المقترح نعرف أنها ربما تعود إلى بدايات عهد بطلميوس التاسع سوتير الثانى ١١٦ – ١٠٧ق.م أى ضمن الفترة التى تعارف جمهور المتخصصين على تسميتها بعصر الضعف البطلمى التى شهدت التدخل الرومانى فى شئون مصر والذى بدأ منذ عهد بطلميوس الخامس ابيفانيس ٢٠٥ – ١٨١ق.م والذى تزوج من كليوباترة ابنة الملك السليوقى انتيوخوس الثالث وتربعت على عرش مصر وعرفت باسم كليوباترة الأولى (٢) .

وبغض النظر عن الظروف السياسية للدولة البطلمية وعن أسباب ضعفها فما يهم الباحث هنا هو ما تشى به الوثيقة السابقة من معلومات مباشرة أحياناً وغير مباشرة أحياناً أخرى تخص موضوع البحث فمن المعلومات غير المباشرة التى نستقيها بجلاء من الوثيقة هو أنه كان لدى مصر فى عصر الدولة البطلمية تصوراً كاملاً منظماً لبرامج سياحية –

---

(1) Hunt A.S. & Edgar C. C., Select Papyri Public Documents, Harvard University Press, 1995, L.C.L., No. 416. p. 566 - 7.

(٢) حسين الشيخ، العصر الهللينستى (مصر) دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة (٣) ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص٣٢٠ .

ربما شكلت الوثيقة إحداها – وأن زوار مصر من الأجانب كانوا يتمتعون بهذا التصور المنظم فور وصولهم خاصة إذا كانوا من الشخصيات السياسية الهامة .

كما نستقى أيضًا أن البطالمة استغلوا موارد مصر السياحية تلك لخدمة أغراض سياسية خاصة بدعم حكمهم فى مصر لاسيما ونحن نتحدث عن فترة شهدت ضعف البطالمة وما اقترن بهذا الضعف من تخبط سياسى، وتدخل من جانب الرومان فى شئون مصر، وكثرة لجوء الملوك البطالمة للاعتماد على دعامات ساهمت كلها فى إضعاف الدولة البطلمية .

والواقع أن الرومان قد ظلت أعينهم تحرس مصر لاسيما بعد أن تأكدت لهم ضياع هيبة الملوك البطالمة وذلك بعد أن تفرغوا لصراعاتهم على العرش مما تسبب فى إهمالهم شئون البلاد، فقامت ضدهم الثورات المصرية التى بلغ من حدة بعضها أن طرد الملك البطلمى من على عرشه واستعانته بالرومان للعودة إلى العرش .

وهناك الكثير الذى يمكن أن نستند إليه فى الوثيقة سالفة الذكر لنؤكد على أن مصر زخرت بالبقع السياحية التى استغلها حكامها خير استغلال ، ومن تلك البقع « اللابيرنث » والمعروف بقصر التيه والموجود بإقليم أرسينوى (الفيوم) ، وكان هيرودوتوس ٤٨٤ – ٤٣٠ق.م من أشهر زواره وقد وصف لنا مدى ضخامته، خاصة الغرف الموجودة فى الطوابق العليا حيث يقر أنه رآها بنفسه، فى حين أنه لم يتمكن من مشاهدة تلك الموجودة فى الأدوار السفلية وإنما كتب عنها من خلال ما سمعه، وذلك لأن السلطات المصرية لم ترغب فى السماح بزيارتها

مبررة ذلك بأنها تضم رفات كل من الملوك الذين كانوا سببًا فى بناء هذا الصرح والتماسيح المقدسة [١] .

وتسجل صفحات التاريخ أيضاً زيارة ديودوروس الصقلى الذى يعود إلى القرن الأول ق.م اللابيرانث، حيث روى عن الملك المصرى « منديس » Mendes ، والمعروف لدى البعض باسم « ماريس » Mares ، وكيف أنه هو الذى بنى لنفسه اللابيرنث ليصبح مقبرة له، كما حدثنا عن عظمة البناء التى لا تعود فقط لحجمه الضخم ولكن إلى الحرفية الفائقة التى بنى بها، وطبقًا لروايته فإن البعض يرى أن دايدالوس قد عبر إلى مصر ومن شدة إعجابه بالمهارة التى بنى بها المبنى بنى لملك كريت « مينوس » Minos لابيرانث على نفس شاكلة اللابيرنث المصرى ويبدو من رواية ديودوروس أنه زار مصر وشاعد اللابيرنث بها حيث أورد له وصفاً دقيقاً أقل ما يدل عليه هو الانبهار الشديد [٢] .

بل ويبدو أن هناك دليلاً عند مانيتون السمنودى الذى يعود تاريخه إلى القرن الثالث ق.م وهو أقدم من عرف من المصريين الذين كتبوا باللغة اليونانية ويبدو أنه ظهر فى أواخر عصر بطلميوس الأول واشتهر

---

(1) Herodotus, op. cit., II, 148. L.C.L.

(٢) Diodorus Siculus, 1, 61, 66.

وفى وصفه للابيرنث المصرى يقول : « لقد كافح المصريون بشدة من أجل أن يتفوقوا على أسلافهم فى ضخامة المبنى ، لأنهم اختاروا موقعاً مجاوراً للقناة المؤدية إلى بحيرة موريس فى ليبيا وهناك شيدوا مقبرتهم من أفضل أنواع الحجارة، أنهم لم يتركوا الفرصة لخلفائهم ليتفوقوا عليهم لا فى فنون النحت ولا فى مهارة الصنعة الحرفية التى تنطلق بكلاهما كل غرفة فيه، والزائر بعد دخوله السياج المقدس يجد المعبد محاطاً بالأعمدة ، أربعون من كل جانب ، كما أن هذا المبنى مسقوف بقطعة واحدة وقد زين هذا السقف بالمنحوتات والرسومات الجدارية الكثيرة .... » .

فى عصر بطلميوس الثانى حيث ورد ذكر اللابيرانث فى شذرة قصيرة تنسب إلى القائمة التى كتبها عن الملوك المصريين وتقول : أن الملك الرابع ، لاماريس ، Lamares قام ببناء اللابيرانث فى إقليم أرسينوى ليكون مقبرة له (١) .

أما عن المؤرخ والجغرافى اليونانى الشهير سترابون ٦٤ق.م – ١٩م صاحب كتاب ، الجغرافيا ، Τα Γεογραφικα فقد زار مصر فى حوالى عام ٢٥/٢٤ق.م ، وذلك بصحبة الوالى الرومانى على مصر Praefectus Aegypti أيليوس جاللوس ووصل إلى جزيرة فيلة وحدود مصر الجنوبية (٢) ، وتحدث عن اللابيرانث والأهرامات الموجودة بجوار مقبرة الملك الذى بنى اللابيرانث وقد فسر كثرة عدد القاعات (الغرف) فيه حيث يقول أنه كانت من عادة كل الأقاليم أن تجتمع فى طقس دينى كلٍ مع كهنته بهدف التضحية وتقديم العطايا المقدسة والفصل فى أشد الأمور أهمية ، وكان كل إقليم يجتمع فى القاعة المخصصة له وقد تحدث سترابون عن أبيدوس ، حيث قارن بين قصر Memnonium الموجودة هناك وبين اللابيرانث موضحاً أن الأول أكثر بساطة فى بنائه من الأخير (٣) .

---

(1) Project of The Petrie Museum of Egyptian Archaeology, 2000, p.1.
http://www.casa.ucl.ac.uk/digital egypt/hawara

وعن جماليات اللابيرانث وعظمة عمارته ودوره فى التاريخ ونظرة الملوك الفراعنة إليه يمكن الرجوع لـ :

- Uphill E. P., Pharaoh's Gateway to Eternity, The Hawara Labyrinth of King Amenemhat III, London 2000.

(2) Purcell N., Strabo, in : The Oxford Companion to Classical Civilization, Oxford, 1998, p. 692 .

(3) Strabo, Τα Γεογραφικα , XVII, 1, 3, 37, 42 .

وقد ذاعت شهرة اللابيرانث فى قرون الميلاد الأولى وهذا ما تشى به كتابات بليـنى ٢٣-٧٩م والذى أورد له وصـفاً فى إطـار حديثة عن المـبانى ذات الشهرة والعظـمة المعـمارية [١] ونجـد فيما ورد لـدى بومبونيوس ميلا ما يؤكد على نفس الفـكرة حيث تحدث عن اللابيرانث بوصفه مبنى بسماتيك وأكد على أنه مبنياً من الرخام وأنه قدسقف بنفس المادة وعلى عدد الحمامات الكبيرة الذى احـتوى عليه[٢].

يتضح من خلال الوثيقة أيضاً أن مصر فى عصر البطالمة كانت تعرف أصول الاستضافة التى يمكن أن نطلق عليها بمفهوم العصر الحديث الاستضافة السياحية وذلك من خلال حرص مرسل الوثيقة على التأكيد على العناية بتجهيز أماكن الوصول مع تقديم الهدايا للزائر فى نفس أماكن الوصول والإهتمام بإعداد حجرات الضيوف والإهتمام بكل تفصيلة من شأنها تحقيق الراحة والمتعة للزائر مثل الاهتمام بتجهيز التقدمات والأضاحى للتماسيح ولبيتيسوخوس .

ولا يدعى الباحث أن مثل هذا النوع من التجهيز والاستقبال كان متاحاً لكل زوار مصر على اختلاف طبقاتهم ولكن وكما هو واضح من الوثيقة فهو على الأقل كان متاحاً للشخصيات الهامة منها، وخصوصاً الشخصيات التى تمثل جهات يحرص الملوك البطالمة على كسب ودهم السياسى، ويمكن أن نؤكد على هذه الفكرة عن طريق الاستناد إلى حالة الضعف السياسى والاقتصادى التى حلت على البطالمة فى مصر بدءاً

---

(1) Plinius, Historia Naturalis, XXXVI, 13 .

(2) Pomponius Mela, Χορογραφια , I., 9, 56 .

من عصر بطلميوس الخامس وهى الحالة التى كان يصعب معها بطبيعة الحال عمل تجهيزات مماثلة لأعداد كبيرة وبشكل منتظم [1] .

على أى الأحوال فإن الوثيقة أكدت على فكرة وجود أماكن فى مصر ذات سمة سياحية ترفيهية وأكدت أيضًا على حسن استغلال حكامها من البطالمة لهذه الأماكن بما يخدم أهدافهم السياسية. وعلى الرغم مما قد يبدو عليه البطالمة لهذه الأماكن بما يخدم أهدافهم السياسية. وعلى الرغم مما قد يبدو عليه البطالمة من حكمة ومهارة سياسية بسبب تفكيرهم فى توظيف فى توظيف مثل تلك الأماكن سياسيًا إلا أن حكمتهم ومهارتهم تلك وكما أثبتت أحداث التاريخ لم تكن كافية لحماية وجودهم أو ضمان بقائهم فى مصر على الدوام .

ب- مدينة كانوبوس:

يمثل سيرابيون كانوبوس أحد معالم الإسكندرية فى العصر البطلمى والذى اشتهر بمعجزاته الشفائية عن طريق النوم فى أحضان المعبد κατα–κλινειν وجمهور الحجاج الذين يقصدونه بغية التخلص من

---

(١) من الأبحاث الشيقة التى عرضت الفكرة مستندة إلى ذات الوثيقة : محمود إبراهيم السعدنى، ، أول سائح رومانى لمصر : من ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟ ، ، مؤتمر الفيوم الأول ، الفيوم بين الماضى والحاضر ، ٢٠٠١، ص ص٤٤٠ – ٤٧٣ . وراجع :

– هبة مجدى خليل محمد، السياحة فى مصر القديمة خلال العصرين اليونانى – الرومانى، رسالة ماجستير ، غير منشورة، كلية السياحة والفنادق، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠٦م، ص١٧ – ٢٢ : حيث صنفت هذه الزيارة بكل تفاصيلها على أنها إحدى أنواع السياحة الثقافية التى كانت قائمة فى إقليم الفيوم دون إلقاء الضوء على ما للتماسيح من قدسية دينية اشتهر بها هذا الإقليم بالذات وربما مرجع ذلك فى اعتقادى ما أوردناه سلفاً عن عدم اعتقاد الرومان فى عبادة الحيوانات التى كانت شائعة فى مصر ومن ثم فيمكن اعتبار زيارة هذا السيناتور للتماسيح فى إقليم الفيوم لا تزيد عن مجرد مشاهدة لطقس ربما لم يشاهده قبل هذه الزيارة .

الأمراض أو من ينوبون عنهم [١] وقد رأت إحدى الدراسات الأثرية الحديثة أن سيرابيون كانوبوس كان أكثر شهرة من سيرابيون الإسكندرية بسبب ارتباط الأول بظاهرة النوم العلاجي والتى لا يوجد دليل على ممارستها بسيرابيون الإسكندرية ، وقد أكدت هذه الدراسة أيضاً على أن هذه الممارسة لم تكن حكراً على سيرابيون كانوبوس ولكن تمت ممارستها فى أماكن أخرى مثل سيرابيون منف وفى أبيدوس ودندرة والدير البحرى، وإنتهت الدراسة إلى أن هذه الممارسة لم يثبت ممارستها فى مصر قبل فترة الدولة الحديثة رغم إجماع معظم آراء المتخصصين على التشكيك فى تلك النتيجة .

كما خلصت هذه الدراسة إلى أن منطقة أبوقير بما تشمله من مدن منها كانوبوس وتونيس وهيراقليوم ورأس زيفيريوم كانت كياناً مستقلاً وليس مجرد ضاحية تابعة للإسكندرية، وأن مدن هذه المنطقة ظلت مزدهرة منذ العصور الفرعونية حتى الفتح الإسلامى لمصر وذلك بفضل الأدوار المختلفة التى لعبتها فى شتى نواحى الحياة وبخاصة النواحى التجارية والاجتماعية والدينية ، وقد أكتسبت كانوبوس أهمية اجتماعية لم تتمتع بها أية مدينة أخرى خلال العصرين البطلمى والرومانى فى مصر إذ غدت متنفساً للسكندريين والجنسيات الأخرى المختفة، وأصبحت تعج بالآلاف من طالبى المتعة من العابثين وكان لذلك أثره المباشر على شكل المدينة ونوعية المبانى التى احتوت عليها كى تتلازم ونشاط المدينة فأصبحت مكتظة

(1) Strabo, op. cit., XVII, I, 17 .

بالفنادق والحمامات العامة والقصور على طول الترعة الكانوبية وساحل البحر (١) .

هذا ويبدو أن كانوبوس بما احتوته من متع وإباحية كانت مصدراً للجذب ومدعاة للزيارة ليس فقط من عامة الشعب ولكن أيضاً من قبل بعض الملوك البطالمة أنفسهم وهذا ما يتضح من خلال ما كتبه ، برنان، عن بطلميوس الرابع الذى كان الذهاب إلى كانوبوس لقضاء بعض الوقت بها محبباً له رغم التحذيرات التى وجهت له بعدم الذهاب لعدم ملائمة طبيعة المكان ومكانته الملكية وهذا ما يؤكده العثور هناك على أكبر رأس لتمثال ملك بطلمى فى منطقة أبوقير وكذلك العثور على قاعدة تمثال خصصت لحمل تمثال ضخم تحمل القاعدة إهداء مقدم إلى الإلهة أرسينوى من قبل كاهن النيل (٢) .

كما شهدت كانوبوس بوصفها موئلاً للمحبين والعشاق لقاءات الملكة كليوباترة والقائد الرومانى ماركوس أنطونيوس الأمر الذى ترك انطباعاً سيئاً عن كانوبوس وكليوباترة على السواء نطالعه فى كتابات الرومان

---

(١) عبد الحميد عبد الحميد المرسى مسعود، منطقة أبو قير فى العصر اليونانى الرومانى : دراسة أثرية، رسالة ماجيستير ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م، ص٧١، ٤٩٧ .
- يرى البعض أن ارتباط سيرابيون كانوبوس بالمعجزات الشفائية يفسر لدى الآثاريين سبب العثور على رأس الإله اسكليبيوس إله الشفاء هناك والارتباط الشديد بين الإله سيرابيس واسكليبيوس بسبب تمتعهما بخاصية الاستشفاء عن طريق العلاج بالنوم، حيث شهدت معابد اسكليبيوس أيضاً فى أبيداوروس فى بلاد اليونان العديد من الاستشفاءات من جراء هذه الممارسة . راجع : فايز يوسف، حضانة المعبد فى بلاد الإغريق ومصر، مجلة مركز الدراسات البردية، المجلد التاسع، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٢٨ .

(2) Bernand A., Le Delta Egyptien d'apers les textes Grecs 1-Les Confins Libyques 4eme partie: La Behera Meridionale, E Les Inscriptions de Kom El-Hisn (Decret de Canope), Le Caire, 1970, p. 237, No. 8 .

التى تصورها وقد اصطادت القائد الرومانى بأساليبها القذرة فى هذه المدينة [1] .

ويعكس مرسوم كانوبوس الصادر فى ٢٣٨ ق.م تقريباً كيف حاولت المدينة أن تلعب دوراً سياسيًا وذلك بفضل كهنتها الذين أصدروا هذا المرسوم بعد اجتماع لهم بمناسبة عيد ميلاد الملك بطلميوس الثالث وذلك للنظر فيما قدمه الملك وزوجته من أعمال جليلة للمعابد والآلهة .

وعموماً فقد تعددت أهداف هذا المرسوم الذى يعتبر بنظر البعض مرسوماً قوميًا متعدد الأهداف يعكس العلاقة بين الملك البطلمى والكهنة المصريين وبموجب هذا المرسوم أطلق على الملك وزوجته « الإلهين الخيرين » وتمت إضافة طبقة خامسة من الكهنة فى كل المعابد المصرية سميت « طائفة الآلهة الخيرة » .

كتب هذا المرسوم بأكثر من لغة حيث كتب بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى واللغة اليونانية ، وعثر منه حتى الآن على ست نسخ وهم لوحة تانيس ، ولوحة كوم الحصن ، ولوحة مدينة الكاب، ولوحة تل بسطة، ولوحة الكرنك، ولوحة عثر عليها بأحد مساجد القاهرة ومحفوظة بتحف اللوفر بباريس [2] .

---

(1) Ovidius, Metamorphoses, XV, Ves., 825-8 .

(٢) سليم حسن، مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء ١٥، ١٩٩٤م، ص ص١٩٣ – ٢٠٨ وراجع :

- Holbl G., A History of The Ptolemaic Empire, Trans By Tina Saavedra, London & New York, 2001, pp. 105 - 111 .

ثالثا : التوظيف السياسى والحضارى لبعض أماكن السياحة الثقافية الإسكندرية :

فى إطار حرص البطالمة فى عصر قوتهم على استغلال شهرة بعض المناطق فى مصر فى دعم نظامهم السياسى الحاكم، نجد أنهم لم يهتموا فقط باستغلال المناطق ذات الشهرة السياحية أو الترفيهية، وإنما قاموا أيضًا باستغلال دور مصر الثقافى والحضارى الذى طالما عرف عنها منذ عهد الفراعنة (١) ، وذلك عن طريق بناء بطلميوس الأول لمكتبة الإسكندرية وتفعيل بطلميوس الثانى والثالث لدورها (٢) .

وهنا يستطيع الكاتب أن يؤكد على أن عصر القوة البطلمى كان عصراً عرف فيه الحكم مقومات الحكم السليمة وراحوا يأخذون بأسبابها إذ نجد أن بعضهم يستفيد علميًا من ذلك الزخم العلمى الذى كان موجوداً على أرض الإسكندرية مثل بطلميوس فيلادلفوس الذى أثبت نبذة منشورة على شبكة المعلومات الدولية أنه قد تعلم على الفيلسوف

---

(١) من أشهر الشخصيات التى زارت مصر طاليس وديمقريطوس وفيثاغورس وأفلاطون وذلك بعد إعدام أستاذه سقراط حيث عرف هناك عن الساعة المائية والتى قدمها بعد ذلك لبلاد اليونان. راجع : هبة مجدى خليل، مرجع سابق ، ص١٣٦ .
وعموماً يبدو أن تأثر أفلاطون بمصر كان شديد لدرجة أن أحد الباحثين رأى أن مصر فى كتابات أفلاطون كانت بمثابة النموذج الواجب احتذاؤه خاصة فى مجالات الموسيقى والتعليم والرياضيات والفن. راجع : مجدى كيلانى، الفلسفة اليونانية من منظور معاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، ص ص٢٤٨ – ٢٥٤ .

(٢) عن مجهودات البطالمة الأوائل فى جمع الكتب اللازمة لمكتبة الإسكندرية وتحديداً دور كل من فيلادلفوس ويوارجيتيس ، وعن العلوم التى ازدهرت فى المكتبة جراء سياساتهم والتى دأبت على تشجيع العلماء فى الموسيون . راجع :
Knowledge of the World in - Jacob Christian & De Poligmac Francois, Alexandria, Third Century B. C. The 70 a single city., trans. By Colin Clement, Cairo, 2000, p. 51 - 53 .

اليوناني ستراتون اللامبساكي ٣٤٠ – ٢٦٨ق.م الذي وفد إلى الإسكندرية لينهل مما بها من علوم وفكر (١) وبفضل التشجيع العلمي في عهد بطلميوس الثالث اشتهر أبوللونيوس البرجي الذي أتى إلى الإسكندرية حيث درس مع تلميذه اقليديس ولقب بأعظم عالم هندسة(٢).

ويرى الكاتب أن البطالمة الأوائل في نهجهم السابق ربما رغبوا في اقتفاء خطى الإسكندر الأكبر، الذي تعلم على أرسطو مؤسس الليكيوم في شتى علوم المعرفة من أخلاق وسياسة وفلسفة وفنون الحكم، كما أتت رعايتهم للشعراء والكتاب في الإسكندرية – إلى جانب ما تمثله هذه الرعاية من وسيلة دعائية سياسية – دليلاً على أثر الإسكندر الحضاري عليهم، فربما أثرت في أنفسهم حادثة إبقاء الإسكندر الأكبر على منزل الشاعر الغنائي بنداروس في طيبة التي دمرها عن بكرة أبيها واسترق أهلها في أثناء ثورة المدن اليونانية ضده بعد وفاة والده في محاولة منهم لاختبار مدى قوة الحكم الجديد (٣) .

---

(١) هو ثالث رئيس للكيوم Lyceum أرسطو بعد وفاة ثيوفراسطوس وأحد تلاميذ المدرسة المشائية وكان اريستارخوس من بين تلاميذه . راجع : www.mlahanas.de بالدخول على Alexandria واختيار اسم Straton of Lampsacus .

(2) www.groups.dsc.st-and.ac.uk Apollonius of Perga by : O'Connor J. & Robertson.

(٣) عن حملة الإسكندر على المدن اليونانية راجع :
أسد رستم ، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، بيروت ، ١٩٦٩، ص ص١٧ – ١٩ . وقارن : الإسكندر الأكبر، ترجمة زكي علي، الألف كتاب، القاهرة، ١٩٦٣ ، صفحات ٢١ وما بعدها. قارن حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة : العصر الهلينيستي (مصر)، مرجع سابق، ص١٢ – ١٣. ويبدو للباحث أن الإسكندر الأكبر لم يكن متأثراً بموهبة بنداروس الفنية فقط ولكنه تأثر به فكرياً وعقائدياً أيضاً وهذا ما قد يدل عليه اتفاق بنداروس ومن بعده الإسكندر على زيارة معبد آمون في سيوة . راجع الحاشية (٢) ص٢ من ذات البحث .

وفى الواقع فإن الكاتب يعتقد أن رعاية ودعم البطالمة الأوائل لمكتبة الإسكندرية القديمة والموسيون الملحق بها إنما يأتى فى إطار رغبة البطالمة توظيفهم الإسكندرية توظيفًا حضاريًا، بكل ما تشمله الكلمة من الترويج السياسى والاقتصادى والثقافى والدينى لحكمهم بين الممالك الهللينستية الأخرى خارج مصر، فالتوظيف الحضارى يعد هو الإطار الأوسع والأكبر تأثيراً الذى يشمل – فى حال تحققه – التوظيف السياسى محل اهتمامنا . وليس هناك من شك أن كلاهما يرتبط بالآخر ارتباطاً وثيقاً ولذا يمكن القول أن نجاح البطالمة فى توظيف الإسكندرية بما فيها من منشآت ثقافية توظيفاً حضارياً كان عاملاً مساعداً لهم على الترويج السياسى لحكمهم الملكى فى مصر وخارجها وهو ما يعد أحد أشكال التوظيف السياسى .

هكذا كانت المكتبة والموسيون ذات رسالة حضارية ضمنت بين طياتها أهدافاً سياسية بشكل غير مباشر.

بالفعل استطاع البطالمة الأوائل استغلال الإسكندرية حضارياً وهذا ما يبرر بوجهة نظر الكاتب سرعة تحولها لتصبح أكبر مدينة إغريقية فى العالم القديم تفوق فى اتساعها أكبر المدن الإغريقية القديمة وغدوها

---

(١) فى الواقع تختلف المصادر القديمة حول خط سير جثمان الرسكندر الأكبر إلى مقره الأخير فى الإسكندرية وميعاده فمنهم من قال أن بطلميوس الأول هو الذى قام بهذا العمل Diod., XVII.28. ومنهم من نسبه إلى بطلميوس الثانى Paus., 1.6.3., Strabo, op. cit., XVII. 1,8 إذ يذكر باوزانياس أن سوتير دفن جثمان الإسكندر فى منف وأن فيلادلفوس نقل الجثمان للإسكندرية قارن : مصطفى العبادى : مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، تأليف نخبة من الأساتذة، الإسكندرية ، ص٢٨ أيضًا : فادية محمد أبو بكر ، مصر فى زمن البطالمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦ ، ص١٠٦ – ١٠٧ .

فى طليعة عواصم الحضارة الإغريقية التى ظلت محتفظة بالصدارة على مدار القرنين الثانى والثالث ق.م إلى الحد الذى أصبحت معه حضارة هذين القرنين تعرف باسم « الإسكندرية » .

هذا ورغم قصور الحفريات عن إمدادنا بواقع ما كانت عليه المدينة إلا أنه يمكن من خلال ما كتبه شعراء القرن الثالث أن يدرك القارئ حقيقة ما كانت عليه الحياة فى الإسكندرية وكيف أصبحت الإسكندرية رحمًا حضارياً جديداً استطاع بفضل ما توافر له من دعم بطلمى سرقة الأضواء من أثينة فى بلاد اليونان وبرجامة فى أسيا الصغرى، وحسب الكاتب فى هذا الصدد أن يستشهد بما أورده هيروندااس على لسان امرأة عجوز تتحدث إلى شابة رحل عنها زوجها إلى الإسكندرية قائلة:

« ... لقد انقضت عشرة شهور منذ سافر ماندريس Mandris إلى مصر لكنه لم يرسل إليك كلمة واحدة. ولا شك فى أنه قد نساك وانتهل من نبع سرور آخر ! مصر ! (يقصد الإسكندرية) ، هناك حيث يوجد معبد الإلهة أرسينوى وكل شئ يمكن وجوده فى أى مكان آخر : ثراء وملاعب ومجد وراحة وعظمة ومباهج وفلاسفة وذهب وشبان وملك كريم ودار للعلم وخمر وكل الأشياء الطيبة التى يمكن أن تتوق إليها النفس، ونساء يفقن فى عددهن ويضارعن فى جمالهن الإلهات اللائى احتكمن إلى باريس » (١) .

من خلال السطور السابقة نستطيع أن نرى كيف كانت الإسكندرية

---

(١) فادية محمد أبو بكر، نفس المرجع السابق، ص٩٨ وعن المزيد بشأن هيروندااس أو هيرودلس القوصى صاحب الميميات Mimes الشهيرة يمكن الرجوع للموقع التالى www.mlahanas.de تحت اسم Herodas .

مدينة تمتلك كل الإمكانيات التى حولتها لتصبح مدينة سياحية تجمع بين أنماط متنوعة من السياحة، فكما عاشت المدينة تفاصيل الحياة الثقافية التى فرضتها عليها المكتبة والموسيون من استقبال للعلماء والفنانين والفلاسفة، وطلاب العلم والدرس من شتى بقاع العالم القديم، شهدت أيضاً تفاصيل حياة ترفيهية ماجنة إذ كان بها الثراء والملاعب والمباهج وكل الأشياء التى يمكن أن تتوق إليها النفس كما أن بها نساء كثيرات على قدر عال من الجمال، ونتج عن كلا النوعين آخرين من السياحة وهما : السياحة الثقافية والسياحة الترفيهية .

هكذا كانت الإسكندرية التى اتخذها البطالمة عاصمة حكمهم مصر ويبدو أن كل ما كان موجوداً فى الإسكندرية كان مقصوداً بهدف الحصول على عاصمة تدل كل تفاصيلها وإمكانياتها على مدى قوة الدولة البطلمية .

ويود الكاتب أن يشير إلى أنه فى حين كانت كل الأماكن السياحية السابق التعرض لها – ماعدا الإسكندرية – ذات شهرة وصيت من قبل ظهور البطالمة، وربما أثار هذا انتباه البطالمة مما حفزهم على توظيف تلك الأماكن توظيفاً سياسيًا بشكل يخدم سياستهم المستقبلية يعتبر الباحث الإسكندرية –الأمر الذى تسبب فى ذيوع شهرتها لأول مرة فى تاريخ مصر القديم – مواكبًا تمامًا لتوظيف هذا الدور على الصعيد السياسى. وبعبارة أخرى ، لم تكن للإسكندرية أية شهرة أو دور – سوى أنها صنيعة الرسكندر الأكبر – قبل اتخاذها عاصمة لمصر فى عصر البطالمة بدلاً من منف، ويبدو أن الإسكندرية ظلت تتمتع بطابع خاص حتى فى عصر الرومان إذ حرص الرومان من بعد البطالمة على الإبقاء عليها لتصبح أيضاً عاصمة مصر الرومانية .

هكذا تجول الكاتب فى بعض أرجاء مصر البطلمية، محاولاً الوقوف على بعض ما تميزت به تلك الأرجاء من شهرة سياحية سواء كانت سياحة دينية أم ترفيهية أم ثقافية وكيف وظف البطالمة بعض هذه الأرجاء توظيفاً ،حضارياً ، وبعضها الآخر توظيفًا ، سياسيًا ، وذلك كى يؤكد الكاتب على أن مصر لم تعدم يوماً عبر تاريخها دوراً تلعبه حتى لو كانت محتلة .

الحصانة الملكيـة
أحد أشكال العلاقة بين الفرد والدولة فى مصر البطلمية

الفصل الخامس

الحصانة الملكية

أحد أشكال العلاقة بين الفرد والدولة فى مصر البطلمية

تمهيد :

فى ظل ظروف قاسية مات الإسكندر الأكبر وترك قواده الذين تقاسموا تركته فيما بينهم وآلت مصر إلى الوالى بطلميوس الذى سرعان ما أعلن نفسه ملكاً على مصر لتشهد أرض الكنانة حقبة تاريخية جديدة سيطر فيها الملوك الجدد عليها .

ولا يخفى على باحث مدى حرص الملوك البطالمة على إحكام سيطرتهم على مستقرهم الجديد ذلك الحرص الذى تشى به تصرفاتهم التى سطرها المعاصرون لهم من المؤرخين وهو ما تناولته أبحاث المهتمين الحديثين القيمة بالدراسة والتحليل .

وعلى الرغم مما قدمته الأبحاث السابقة – وهو كثير – من كشف عن الحقائق التاريخية التى تعود إلى هذه الفترة – التى تعد مجالاً خصباً جاذباً للكثيرين – إلا أن الباحث يأمل أن يسهم فى كشف جانب من جوانب طبيعة العلاقة السياسية بين الحاكم ممثلاً فى الملك البطلمى من جهة وبين المحكومين من جهة أخرى وذلك من خلال طرح موضوع الحصانة القانونية التى كان الملك البطلمى يوفرها للمكلفين بمهام من قبله، وذلك طبقاً لما أتت به إحدى البرديات المنشورة ضمن أعمال Τα δικαιοματα . بواسطة The Graeca Halensis وتعود إلى منتصف القرن الثالث ق.م.

وإذا كان البطالمة قد ساروا على نهج الإسكندر الأكبر خاصة فى مراحل إرساء الحكم الأولى، إلا أنهم لم يستطيعوا تبنى سياسته على المدى البعيد. ولعل مرجع ذلك هو اختلاف ظروف حكمهم ، الأمر الذى بات معه ضروريًا أن يتبنوا منهجًا جديداً خاصًا بهم يتلاءم ومصالحهم وأهدافهم العليا، حتى أنه لنستطيع القول أنهم تخلصوا من تأثير الإسكندر الأكبر عليهم إلى حد كبير. وهو الأمر نفسه الذى حدث مع الإسكندر الذى رغم أنه تلقى تعليماً أرسطياً ضمن أراءه عن التمييز العنصرى إلا أنه تخلص من تلك النظرة الأرسطية العنصرية وهو ما ظهر فى زواجه من روكسانه Rhoxana وستاجيرا Stageira (*) .

تعتمد الورقة بالأساس على ما ورد بإحدى الوثائق البردية المنشورة وسيقدم الباحث لها ترجمة غربية ومن خلال التعليق على مضمون البردية سوف يعرض الباحث قضية البحث، وجدير بالذكر أن البردية محل الترجمة مبتورة وتبدأ من السطر رقم ١٢٤ وتنتهى بالسطر ١٦٥ وفيما يلى الترجمة :

« ... – لا يتقدم أحد برفع دعاوى قضائية ضد أولئك المبعوثين من قبل الملك، ولا يتقدم أحد منهم بدعوات قضائية ضد بعضهم ولا ضد كافليهم ، ولا يصرح لجامع الضرائب أو مساعدوه بالقبض عليهم .

– وبالمثل لا يتم تحريك دعاوى قضائية ضد ذوى الغائبين أو كافليهم بخصوص أمور نزاعية حدثت ومن تركوهم مازالوا قيد الديار، إلا إذا

(*) تنحدر كلاً من روكسانه وستاجيرا من أصول فارسية ورأى البعض أن زواج الإسكندر بفارسيات يعد عملاً رمزيًا يشير لفكرته عن وجوب اقتران أسيا وأوروبا . راجع : فادية محمد أبو بكر ، مصر زمن البطالمة ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص٣٧.

كانت حوادث التضرر بين من ينتمون إلى الفئة السالفة ولم يتبين امتلاكهم سند قانونى يثبت التسوية بشأن الأمور النزاعية التى وقعت فى الوقت المذكور سلفًا ففى هذه الحال يجب اللجوء إلى ساحة القضاء.

– لو حدث وادعى أحد انتمائه إلى ذوى الغائبين ، فعلى القضاة أن يفصلوا فى الأمر، وإذا تم التعرف إليهم وإثبات حقيقة انتمائهم، وفى حال التحقق من مضمون شكواهم وأنها حدثت وقت وجود الغائبون بالديار وأنهم لا يملكون سند قانونى يثبت سلامة موقفهم القانونى ففى هذه الحالة يتم تأجيل النظر فى القضايا لحين عودة الغائبون . على أن يقوم المدعون بدفع المصروفات والتى تقدر بقيمة العشر أو الواحد من الخمس عشرة .

– يتم الفصل فى كل القضايا التى اتهم فيها ذوى الغائبين من قبل آخرين بأنهم قد أذوهم بعد رحيل الغائبين وكذلك تلك القضايا التى يتم فيها هؤلاء أشخاص آخرين بأنهم آذوهم كل أمام المحكمة المختصة به .

– لو أن من قام بتحريك الدعوى القضائية أرسل إلى الخدمة بتكليف من الملك قبل إجراء المحاكمة فعليه أن يختار بين سحب مصروفات الدعوى والمقدرة إما بالعشر أو الواحد من الخمس عشر وبين تأجيل النظر فى الدعوى حتى عودته ، على ألا يتم النظر فى موضوع الدعوى إلا بعد إعادة دفع المصروفات .

– إذا رفع المقيمون بالإسكندرية دعوات قضائية وأرسلوا بعدها بتكليف من الملك للخدمة وذلك قبل المثول أمام القضاء فيتم تأجيل دعواتهم بنفس الطريقة لحين عودتهم مرة أخرى .

- الأفراد المقيدين بالخدمة العسكرية الذين سمح لهم بالتمتع بمواطنة الإسكندرية فى حال تضررهم بشأن الرواتب ومخصصات القمح وبشأن الحوافز المالية أو دعم مخصصاتهم من القمح إذا كان لهم خصومًا أثناء الخدمة من الحاصلين على المواطنة فعليهم أن يتقدموا بدعواتهم القضائية أمام محاكم الأجانب على أن يتم الفصل فيها طبقاً لما ورد بالمرسوم ... » [1] .

بداية من خلال القراءة السابقة لمضمون الوثيقة يلاحظ أنها تعبر عن شكل من التنظيمات القانونية التى وضعها الملوك البطالمة فى مصر فى القرن الثالث ق.م، وذلك بهدف تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع على اختلاف الجنسيات التى سكنته في تلك الفترة من جهة ، وبهدف تحديد العلاقة بينهم كملوك حكام وبين المواطنين كمحكومين فى إطار معلن وواضح .

وليس المقصود هنا بلفظة « المواطنين » كل المواطنين من أفراد المجتمع على اختلاف أدوارهم فيه ، بل المقصود هنا فئة معينة من المواطنين ألا وهى فئة « المبعوثين الملكيين » ، ويبدو كما أوحت الوثيقة أن بطالمة القرن الثالث فى تصورهم لهذا النمط من التنظيمات القانونية كانوا حريصين على توفير ما يضمن استقرار أوضاع مبعوثيهم وبالتالى استقرار العلاقة نسبياً بينهم بصفتهم ممثلين للدولة وبين هؤلاء المبعوثين بوصفهم فئة هامة من المواطنين فى المجتمع .

(1) Hunt A.S. & Edgar C. C., Select Papyri Official Documents with An English Translation, Harvard university Press, L. C. L., Vol. II, 1995, No. 201.11.124-165.

ركزت الوثيقة على طبيعة الوضع القانونى لقضايا حالات بعينها من المبعوثين الملكيين وغيرهم من المقيمين بالإسكندرية وكذلك المواطنين السكندريين المقيدين بالجندية أمكن رصدها على النحو التالى:

١- الوضع القانونى للمبعوثين من قبل الملك فى مهام .

٢- الوضع القانونى لذوى المبعوثين أثناء وجود هؤلاء المبعوثين قيد الديار .

٣- الوضع القانونى لذوى المبعوثين أثناء غياب هؤلاء المبعوثين عن الديار .

٤- الوضع القانونى لأولئك الذين يدعون أنهم من ذوى المبعوثين أثناء وجود هؤلاء المبعوثين قيد الديار .

٥- الوضع القانونى لدعاوى المبعوثين القضائية التى أقاموها قبل تكليفهم .

٦- الوضع القانونى لقضايا المقيمين بالإسكندرية التى أقاموها قبل تكليفهم .

٧- الوضع القانونى للمقيدين بالخدمة العسكرية من حملة المواطنة السكندرية .

وفى هذا الصدد نجد الوثيقة تتحدث فى بدايتها عن قرار لفت نظر الباحث ألا وهو تمتع المكلفين من قبل الملك عموماً بأداء مهام معينة بنوع من الامتياز ربما كان امتيازاً مؤقتاً ينتهى بإنتهاء مدة تكليفهم، وتمثل هذا الإمتياز المؤقت فى عدم السماح بتحريك دعاوى قضائية

ضدهم ، وعدم السماح لهم شخصياً بتحريك دعاوى قضائية ضد بعضهم البعض أو ضد كافليهم أثناء تأدية المهام المنوطة بهم، وعدم السماح لجامعى الضرائب ومساعدوهم بالقبض عليهم .

ولا يتضح من صيغة القرار المذكور لا جنسية هؤلاء المبعوثين ولا طبيعة المهام المبعوثين لأجلها، ولما كان من الثابت تاريخياً اعتماد الملوك البطالمة على العناصر الأجنبية التى سكنت مصر دون المصريين سواء من المقدونيين أم من الاغريق فى شتى جوانب الإدارة المحلية والجيش والتجارة وغيرها من الجوانب الحيوية بالنسبة للحكم، فيصبح منطقياً أن يعتقد الباحث أن المقصود بهؤلاء المبعوثين هم المواطنين الأجانب الذين كانوا محل التكليف بمهام ملكية وبالتالى يصبحون هم المتمتعون بالأساس بما أسماه الباحث هنا « بالحصانة المؤقتة » .

أولاً : الأثر الإجتماعى لحصانة المبعوثين الملكيين :

إن الحديث عن حصانة المبعوثين الملكيين يثير فى الواقع عدد من التساؤلات الأول: هو من هم المبعوثين الملكيين وكيف كان يتم اختيارهم ؟ ، الثانى هو ما هى أهمية هؤلاء المبعوثين لدى الإدارة الملكية الحاكمة لدرجة أنها شملتهم بمثل هذا الامتياز الذى يعد خطيراً ؟ ، أما التساؤل الثالث والأخير فهو أثر هذا الامتياز على الإدارة الملكية من جهة وعلى بقية المواطنين من رعايا الملك من جهة أخرى ؟ .

بالنسبة للمبعوثين الملكيين يبدوا أن طبيعة الظروف السياسية التى واجهت البطالمة فى مصر قد فرضت عليهم تكليف الأجانب الذين حرص البطالمة منذ بطلميوس الأول على استقدامهم إلى مصر حيث

كان لأزمة الثقة بين البطالمة والمصريين أثراً مشجعًا لهم على السير قدماً فى هذه السياسة .

وقد أدى زيادة اعتماد الملوك البطالمة على موظفيهم من الأجانب فى شتى جوانب الحياة السياسية والإدارية والعسكرية إلى تمييزهم بالضرورة عن المصريين، هذا التمييز الذى كان منهجًا ثابتًا انتهجه البطالمة قبل رفح ٢١٧ق.م، ولا يبدو أنه تغير كثيراً بعدها رغم تغير نظرة البطالمة لرعاياهم من المصريين، بفضل ما أظهروا فيها من بسالة ومقدرة قتالية لخدمة مصالح العرش الملكى البطلمى ضد أعدائهم من السيليوقين .

ظل إذن الاعتماد على الأجانب فى مختلف مجالات الإدارة المحلية وأوكل لهم البطالمة العديد من الوظائف والمهام وحتى فى ظل هذه السياسة الرسمية التى اتبعها الملوك البطالمة لم تكن هناك المساواة الطبيعية بين كل الأجانب، حيث زاد اعتماد البطالمة على بنى جلدتهم من المقدونيين وكذلك الإغريق – الذين ينتمون إليهم حضاريًا – بخلاف سياستهم مثلاً تجاه اليهود كفئة من الأجانب فى مصر، وعلى سبيل المثال لا الحصر فبالإضافة لامتياز اختيارهم لشغل وظائف هامة، تركت لهم دون غيرهم حرية الإقامة فى مدن ذات طابع إغريقى كانت موجودة بمصر أصلاً قبل وصول الإسكندر وخلفائه من البطالمة إليها، مثل نقراطيس وبرايتونيوم، ولدى وصول الإسكندر قرر إنشاء الإسكندرية لتصبح مدينة إغريقية ، وسار بطلميوس الأول بحرص على نهجه فى هذا الصدد ين قرر إقامة مدينة بطلمية وبالمثل فقد كان الملك بطلميوس الثانى حريصًا على استرضاء الإغريق وهو ما يظهر من

حادثة زواجه من شقيقته أرسينوى الثانية حيث عرفا معاً باسم الإلـهين الأخوين αδελφοι ، ولأن زواج الأخوة كان أمراً مكروهاً لدى الإغريق، فنجد أن بطلميوس الثانى كان حريصًا على تبريره إقدامه على هذه الخطوة بأنه باعتباره ملكاً حاكمًا لمصر فنه يسير على نهج الفراعنة الذين درجوا على الزواج من شقيقاتهم (١) .

وإذا أمعنا التفكير فى بنود القرار السابق ذكره بشأن عدم السماح بمقاضاة أى من المبعوثين الملكيين يتضح أن هذا القرار لا يعبر فقط عن امتياز يتمتع به المبعوثين، وإنما يعبر أيضاً عن دهاء الملك البطلمى وسعة حيلته فى التعامل مع الأجانب عموماً فى مصر، وذلك من حيث أن هذا القرار يحمل بين طياته رغبة الملك فى أن يصبح أولئك المبعوثين الذين سيقع عليهم الاختيار متفرغين تماماً للمهام الموكلة إليهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يعد أيضاً اجراءاً احترازيًا من الملك يحول به دون استعمال أولئك المبعوثين ما لديهم من حصانة وعلاقات مع صناع القرار فى فض منازعاتهم ربما على نحو يحقق صالحهم بالأساس دون النظر لمجرى العدالة.

كذلك لقد منع القرار أن يتقدم أولئك المبعوثين بدعاوى قضائية ضد بعضهم بعضاً وذلك أثناء وجودهم بالمهام محل التكليف ، كما منع جامع الضرائب ومساعدوه من القبض على أى منهم فى حال وجود ضرورة لذلك، ويفهم من ذلك أن الملك البطلمى أطلق لهؤلاء المبعوثين عنان الحرية بما يمكنهم من سهولة التنقل فى أقاليم مصر المختلفة دون

---

(١) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، ٢٠٠٤م، ص٤٨ .

خشية من أن يكيد لهم مبعوثون آخرون فى الأقاليم المختلفة أو من جامعى الضرائب ومساعدوهم ويبدو الأمر وكأن الملك البطلمى قد أمن أولئك المبعوثين على أنفسهم بهدف تحقيق أفضل النتائج فى مهام كل منهم .

ولن يخوض الباحث فى سياسة التمييز ذاتها فهى سياسة معروفة عن البطالمة فى مصر، ولكنه يود أن يقف قليلاً عند أثر هذا النوع من التمييز القانونى فى نفوس بقية سكان مصر من غير الاغريق ، ويبدو أن هذا التمييز – إلى جانب عوامل أخرى – ربما كان أحد عوامل اضطراب العلاقة بين الفرد والدولة، خاصة فى الفترة التى شهدت ضعف الحكم البطلمى فى مصر، وهى الفترة التى أصبح فيها الملوك البطالمة غير قادرين على السيطرة على بعض مقدرات أمور دولتهم، مما جعلهم أحيانًا يصدرون بعضاً من التوجيهات إلى بعض موظفى الإدارة المحلية، يستدل منها ظاهرياً على مدى حرصهم على رفع المعاناة عن كاهل مواطنيهم [1] وعلى الرغم من سمو الهدف شكلاً، إلا أنه لا يخلو فى مضمونه من حرص الملوك البطالمة على تحقيق غايات تصب فى النهاية فى صالح استمرار إحكامهم قبضتهم على مصر .

---

(1) Hunt A. S. & Edgar C. C., op. cit., No. 204.

وهى إحدى برديات تبتونيس والتى يرجح ناشرها تاريخها بأواخر القرن الثالث قبل الميلاد وهى عبارة عن جزء من بعض الأوامر الصادرة من وزير المالية البطلمى ، الديوكيتيس ، إلى كل مسئول مالى ، أويكونوموس ، فى الإدارة المحلية ، ويقف قارئها على مدى حرص الديوكيتيس بوصفه موظفًا ملكياً على تحقيق رغبة الملك فى تيسير شئون الرعية وتوفير المناخ المناسب لتشجيع عمال القطاع الزراعى ومنع أى إجراءات تعسفية قد تصدر ضدهم من قبل حكام القرية، ومحاولة تخفيف معاناة الرعية من لهيب الإيجارات وهكذا وصولاً لتدخل الملك عبر وزير ماليته لضبط أسعار السلع فى الأسواق .

وتجدر الإشارة هنا إلى ماهية العلاقة بين الفرد والدولة فى مصر البطلمية، وكيف أنها كانت علاقة تتصف بالتذبذب إذ كانت مرهونة بعدة أمور أولها : قوة الحاكم أو ضعفه ثانيها : مدى نضوج الرأى العام وجرأته على إتخاذ مواقف بعينها سواء أكانت فى وصف الحاكم أ ضده وذلك حسب قوة الحاكم أو ضعفه. وذلك رغم الحصانة الملكية التى أحاط بها الملك البطلمى نفسه وموظفيه حيث ضرب على شخصه هالة مقدسة بهدف تمكينه من إحكام قبضته على رعاياه وهو ما يتضح جلياً من تلك المناظر المختلفة المصورة على المعابد المصرية والتى تشى بتأثر البطالمة فى فكرهم السياسى وتوظيفهم للدين فى خدمة السياسة بالملوك الفراعنة [1] .

وربما كانت الحصانة الملكية التى تمتع بها الملك البطلمى والتى منح بعض موظفيه حق التمتع بأحد أشكالها محاولة منه للاحتفاظ بالشرعية الأمر الذى يضمن له استمرار حكمه لمصر والمصريين ، ويبدو أن هذه المحاولة جاءت نتيجة شعور ما بافتقاده شرعية الحكم ، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو لماذا ضعفت الحصانة الملكية أو بالأحرى لماذا عجزت عن تحقيق الهدف منها بالنسبة للملوك البطالمة على مدار تاريخهم فى مصر، فى حين أنها كانت عقاراً شافياً لمعظم الأمراض التى منيت بها الملكية الفرعونية ؟!

---

(1) Gunther Holbl, A History of the Ptolemaic Empire, Routledge, London, 2001, pp. 76 - 98 .

حيث يناقش فكرة الملكية وتوظيف الدين لخدمة السياسة موضحاً مدى تأثر الملوك البطالمة بالإسكندر الأكبر فى هذا الصدد مشيراً إلى فكر الإسكندر الأكبر ومحاولاته تأليه نفسه، ويستدل المؤلف بالأساس على تأكيد فكرته إلى المعابد المصرية وما حملته من مشاهد تؤكد ممارسة الملوك البطالمة للشعائر الدينية التى تشى بأصولهم المؤلهة .

وفيما يخص قصور النظام الملكى البطلمى فى مصر رغم أنه نظام اقتبسه البطالمة من الفراعنة لما له من فاعلية وهيمنة بفضل ما شمله من قدسية تضمن افتراضاً استمراريته فيبدو أن المدخل الدينى الذى عمد إليه البطالمة فى التعامل مع المصريين فقد تأثيره فى ظل العنصرية التى عمدوا إليها كسياسة شبه ثابتة فى تعامله مع المصريين ، تلك السياسة التى لا تعود فقط إلى عدم الثقة فى أهل البلد الأصليين من حيث أنهم قد يستغلون أى فرصة قد تبدو سانحة للتخلص من الحكم البطلمى، ولكنها تعود أيضاً إلى فلسفة قديمة زرعها المعلم الأول فى عقول الاغريق وسار عليها البطالمة بوصفهم متأثرين بالفكر والحضارة الإغريقية وهى السياسة التى زعم « ريان بالوت » فى خضم بحثه فى الفكر السياسى اليونانى عموماً والهللينستى على وجه الخصوص أن الإسكندر الأكبر قد تجاوزها لأخرى أفضل وهى فلسفة «وحدة الجنس البشرى »[1] .

---

(1) Balot Ryan K., The Greek Political Thought, Blackwell Publishing, 2006, 1st published, p. 267 .

حيث يرى بالوت أن هذه الفلسفة التى خلص بها الإسكندر الأكبر تعد أحد أشكال التطور فى الفكر السياسى اليونانى الموروث الذى وضع أساسه أرسطو حيث أكد على أن الاغريق هم الأقدر على إدارة شئون الحكم والسياسة وأن غيرهم من البرابرة οι Βαρβαροi جديرين فقط بالقيام ببقية الأعمال الأدنى .

راجع : Aristotle, Politics, books vii-iix; L.C.L. .

وراجع التعليقات القيمة التى وردت بشأن هذه القضية عند :

- Taylor C. C. W., "Politics", Barnes J., ed., The Cambridge Companion to Aristotle, Cambridge, Cambridge University Press, 1995, pp. 239 - 41 .
- Balot, Aristotle's Critique of Phaleas . Justice, Equality, and Pleonexia" Hermes 129. 1, 2001, pp. 32 - 44 .

ويرى البعض أن فلسفة « وحدة الجنس البشرى » التى تبناها الإسكندر الأكبر واعتمد عليها فى بداية حملته لنشر الحضارة الهللينية[(١)] أنها كانت بوجهة نظر خلفائه من البطالمة مصر شديدة المثالية لأن يتم تطبيقها أثناء إدارتهم الملكية لمصر [(٢)] ويتفق الباحث إلى حد كبير مع هذا الرأى لاسيما وأن البطالمة لم يكن لديهم ما لدى الإسكندر من حضور ومهارة وتوفيق، كما اختلفت الظروف التى عاشوا فيها وسط المصريين عن تلك التى عاصرها الإسكندر معهم .

هكذا يتضح للقارئ إجمالاً أن العنصرية الصارخة التى عومل بها المصريين من قبل حكامهم من البطالمة أوقعت الملكية البطلمية أوقعت الملكية البطلمية فى تناقض خطير أفقدها مالها من شرعية ومصداقية باتت معها مهددة بالزوال المحتم، فمن جهة يتشبه الملوك البطالمة بالملوك الفراعنة شكلاً [(٣)] ، ومن جهة أخرى يميزوا بنى جلدتهم وحضارتهم من المبعوثين الإغريق أو المقدونيين، وربما تسببوا بذلك فى دفع رعاياهم من المصريين نحو نوع من المقارنة الفكرية ربما كانت سببًا فى إشعال جذوة النضال المصرى ضد هؤلاء الملوك الجدد

---

(1) Bosworth A. B. and Baynham E. J., Alexander the Great in Fact and Fiction Oxford, Oxford University Press, 1st published in paperback, 2002, p. 107.

حيث يذكر مايكل فلاور فى مقاله الذى نشره فى إطار العمل السابق مباشرة بعنوان «الإسكندر والروح الجمعية الهللينية » أن كاليسثنيس Callisthenes من أولينثوس Olynthus قد اعتبر أن الإسكندر بحملته الهللينية يمكن أن يعد أخيل آخر .

(٢) رأى تفضل به أ. د/ محمد السيد عبد الغنى أستاذ التاريخ والحضارة اليونانية والرومانية بآداب الإسكندرية أثناء مناقشة دارت بين سيادته والباحث وهو بصدد الإنتهاء من صيغة البحث النهائية .

(3) Rostovtzeff. M., Social and Economic History of the Hellenistic World, London, 1952, pp. 267 - 8 .

الأجانب المحتلين، الأمر الذى دفع ببطلميوس الخامس مثلاً لكسب ود الكهنة المصريين، وهو ما عكسه ذلك الإمتنان الذى عبروا عنه فى نص القرار الصادر عنهم بعد اجتماعهم فى منف ١٩٦ ق.م، والذى عثر عليه منقوشًا على حجر من البازلت الأسود فى مدينة رشيد وتمكن شامبليون أحد علماء الحملة الفرنسية على مصر من فك رموز الكتابة الهيروغليفية الموجودة عليه (١) .

عموماً فمن خلال ما ورد بالوثيقة يمكن أيضاً إدراك ما كان لمثل هؤلاء المبعوثين الملكيين من أهمية فى المجتمع ، إذ يبدو أنهم كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة لدرجة أنه يبدو أن ظهر هناك من يدعون انتسابهم لهؤلاء المبعوثين ربما كى يتمكنوا من التمتع ببعض الامتيازات التى أوقفتها الدولة عليهم ومنها الحصانة المؤقتة ، ويبدو أيضاً أن ظاهرة الادعاء تلك كانت متكررة وملحوظة لدرجة احتاج معها الأمر اللجوء للقضاء لإثبات حقيقة الادعاء من عدمه .

ويمكن بالمثل من خلال الوثيقة الوقوف على وضع المبعوثين من المقيمين فى مدينة الإسكندرية حيث ورد بالوثيقة ما يقضى بضرورة تأجيل دعواهم القضائية لحين عودتهم من المهمة التى كلفهم بها الملك وذلك كى يتمكنوا من التفرغ التام اللازم لإنجاز مهامهم ومن ثم يستطيعون بعدها متابعة دعواهم القضائية وما يتطلبه ذلك من حضور للجلسات وتقديم أوراق الدفاع المطلوبة .

---

(١) سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة من عهد بطلميوس الخامس إلى نهاية عهد بطلميوس السابع ، الجزء ١٦ ، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١ ، ص ص٤٥ – ٧٣، حيث أورد ترجمة النص فى أشكاله الثلاث، النص المصرى القديم والنص الديموطيقى والنص الإغريقى .

ثانياً : الأثر السياسى لحصانة المبعوثين الملكيين :

يقصد الباحث بالأثر السياسى لحصانة المبعوثين الملكية توضيح ما ترتب على تلك الحصانة من نتائج إيجابية أو سلبية تأثرت بها السياسة البطلمية فى مصر فى محاولة لتقييم أداء من تمتعوا بهذا الإمتياز من قبل الملوك البطالمة .

بداية يمكن القول بأن الامتيازات التى أوقفها الملك البطلمى على مبعوثيه ومنها الحصانة المؤقتة ربما كانت شكلاً من أشكال سياسة الاستقطاب تجاه الإدارة، تلك السياسية التى سار عليها الملوك البطالمة مع كل من ظنت به أنه مفيد وداعم لسلطة الملك وبقائه على العرش أو حتى مع من كان يخشى جانبهم على العرش .

وإذا كانت الحصانة الملكية قد منحت الملك البطلمى ذاته الفرصة للاستئثار بالسلطة المطلقة فى مصر دون منازع وللقيام بأكثر الأعمال تطرفاً مثل التمييز العنصرى على الصعيدين الاجتماعى والسياسى فهى بالمثل منحت الفرصة الأكبر لموظفى الملك – بمن فيهم مبعوثيه – للإنحراف وهنا يحتج الباحث إلى الرأى القائل بأن الوسائل المختلفة التى اتخذتها الحكومة لتضمن أداء موظفيها وواجباتهم بأمانة [1] ، مثل

---

(١) إبراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الثالث، الطبعة السادسة، منقحة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨م، ص١٥٣ وعن العوامل الثلاث راجع:

- Bouche-Leclercq, Histoire des Lagides, 4 vols., Paris, 1903-1907, vol. III., p. 394.

عن حالات الفساد الإدارى لبعض موظفى الإدارة الملكية أحيل القارئ لبعض الأمثلة التى وردت لدى الدكتور إبراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة، مرجع سابق، ص ص١٥٤–١٥٦ . حيث قارنهم بحكام الولايات فى عهد الجمهورية الرومانية . وعن استخدام الهدايا كوسيلة معترف بها للتقرب للملك فيلادلفوس . راجع : إبراهيم نصحى، نفس المرجع السابق، ص ص٣٨٠ – ٣٨١ .

حلف اليمين وتعيين مختلف المراقبين لم تؤد الغاية المنشودة ، ويرد صاحب هذا الرأى تلك الحقيقة إلى عوامل ثلاثة ، وهى :

أولاً : السلطة المطلقة التى كان الموظفون يتمتعون بها على شعب أذله الحاكم الأجنبى .

ثانياً : المسئولية الملقاة على عاتقهم عن دخل الملك ومصالحه .

ثالثاً : الهدايا التى كانوا يقدمونها للمسئولين عند تعينهم وتجديد مدة خدمتهم ، حيث كانوا يستردون ما أنفقوه باستغلال نفوذهم بشتى الطرق.

هذا يود الباحث أن يعلق على الرأى السابق حيث يرى أن حلف اليمين وتعيين المراقبين على أداء الموظفين لم يكن سوى واجهة محاولة زائفة من النظام لإشعار موظفيه من الأجانب بمدى حاجته إليهم ، خالفت بطبيعة الحال أسلوب الحكم الملكى البطلمى الذى كانت المركزية أساسًا له. هذا من جهة الدولة، أما من جهة الموظفين فيبدوا أنهم كانوا تحت نوعين من الضغط أديا بهم للانحراف وسوء استغلال السلطة .

أما **النوع الأول**: ويتمثل فى رغبة البعض منهم فى إبداء تفانيه فى خدمة الملك وحرصه على مصالحه بشكل مبالغ فيه، مما أضر بصالح الملك نفسه على المدى البعيد، ويتمثل **النوع الثانى**: من الضغط فى سياسة الملك البطلمى التى انتهجها فى تعيينه لموظفيه التى كانت تقضى على راغبى شغل الوظائف الملكية بدافع الهدايا للمسئولين التى كانوا يخشون عدم استرداد قيمتها بعد وصولهم للوظيفة المنشودة، وربما دفعهم ذلك الشعور أيضًا لسوء استغلال صلاحياتهم التى منحت لهم بالمقابل .

وإذا كانت الوثيقة قد تحدثت عن وضع نوع من المبعوثين الملكيين ولم تحدد طبيعة المهام المبعوثين فيها، فنجدها بالمثل تتحدث عن نوع آخر من الموظفين ووضعهم القانوني والمقصود بهم حملة المواطنة السكندرية المقيدين بجداول الخدمة العسكرية، وفي هذا الصدد نجد الوثيقة تمنح أولئك المقيدين بالخدمة العسكرية من حملة المواطنة السكندرية فقط حق ممارسة إجراءات التقاضي في حال تضررهم بشأن الرواتب ومخصصاتهم من القمح في حال رغبتهم دعم حوافزهم المالية أو دعم حصصهم من القمح وذلك بهدف المتابعة الدائمة لأحوالهم للحيلولة دون حدوث تمرد أو انقلاب على الإدارة الملكية البطلمية .

وفي نفس السياق نجد أن الملك البطلمي نفسه كان حريصاً على تأكيد ذلك النوع من الحصانة والإفادة منها مثله في ذلك مثل موظفيه، ونعرف ذلك من خلال قصيدة المدح التي نظمها ثيوكيتوس السيراكوزي في شخص بطلميوس الثاني فيلادلفوس، حيث حرص فيها على إظهار محاسن مليكه ومنها إرضائه للآلهة، الأمر الذي انعكس على الرخاء والسلام والقوة التي تمتع بها عصره [1] ، فهو يعترف بحقيقة هامة وهي أن زيوس بن كرونوس يولي عنايته للملوك المؤلهين.

وعلى الرغم من أن الباحث يسلم بحقيقة ثيوكريتوس وكونه شاعراً

(1) Theocritus, XVII, 73 - 130. cf. Austin M. M., The Hellenistic World From Alexander to the Roman Conquest, A selection of ancient sources in translation, 2nd augmented ed., Cambridge University Press, 2006, p. 449 .

من شعراء البلاط الملكى [1] لدرجة أنه يمكن أن يصنف هذه القصيدة على أنها من نوع الشعر السياسى، إلا أنه لا يمكن مع ذلك أن ينكر أنه ضمن قصيدته تلك أبياتًا تمثل بعض الحقائق التى قبلها المجتمع وتجاوب معها كجمهور، ومنها أن الملك بطلميوس الثانى بوصفه أحد الملوك البطالمة كان حريصًا على تأكيد حصانته الإلهية الشخصية ، وهى هنا حقيقة مثلت أمام المجتمع وعبر عنها ثيوكريتوس كواحد من فنانيه .

وفى هذا الصدد يبدو أن الملوك البطالمة ومنهم بطلميوس الثانى على سبيل المثال لم يكتفوا فقط بدعم حصانتهم الملكية عن طريق إرضاء الإغريق الموجودين بمصر ومعهم آلهتهم ، كما عبر لنا ثيوكريتوس فى قصيدته سالفة الذكر. ولكن أيضاً عمدوا إلى حماية تلك الحصانة عن طريق استقطاب اليهود والمقيمين فى مصر قبيل دخول الإسكندر الأكبر إليها [2] ، وربما جاء ذلك فى إطار حرص الملوك

---

(١) عن علاقة الملوك البطالمة بشعراء البلاط وكيف وظفوهم للدعاية السياسية لحكمهم فى عصور القوة راجع :

- Griffiths F. T., Theocritus at Court, Leyden, 1979, pp. 71-82 .
- Fraser P.M., Ptolemaic Alexandria, vol. i, Oxford, 1972, p. 194f., 232, 666f.

(٢) عن أشكال الاسترضاء البطلمى لليهود فى مصر راجع خطاب اريستياس إلى فيلوكراتيس والمنشور بطبعة :

- Hadas M., New York, 1951, 1.9-11; V. 35-40 .

حيث يعدد فيه الملك فيلادلفوس الامتيازات الممنوحة من أبيه سوتير ومنه شخصياً لليهود، ومنها تحرير أكثر من مائة ألف من أسرى الحرب ، ومنها أنه ضمهم للجيش البطلمى برواتب عالية ومنها إنشاءه للقلعة التى منحها لهم كى يبقوا المصريين دائماً فى خوف منهم ، والآن يطلب منهم توفير كوادر علمية لترجمة التوارة من العبرية إلى اليونانية كى تصبح بجوار بقية الكتب الملكية ويطلب من حبرهم الأعظم إليعازر فى نهاية الخطاب سرعة الرد كى يتم تنفيذ كل طلباته بهدف سرعة إنجاز المهمة ، قارن:

- Austin M. M., op. cit., p. 459.

البطالمة على عدم إثارة مشاعر سكان مصر من الأجانب وبخاصة اليهود الذين مارسوا فى الإسكندرية نشاطًا اقتصاديًا وحرصوا كذلك على دخول معترك الحياة السياسية فى بعض الأحيان ففى عام ١٤٥ق.م تقدم الزعيم اليهودى أونياس الرابع على رأس قوته لمساعدة كليوباترة الثانية فى صراعها مع شقيقها يوارجتيس الثانى الذى نكل بهم بعد انتصاره، وفى عام ٥٥ق.م ساعد اليهود جابينيوس والى سوريا الرومانى الذى قام بغزو مصر لإعادة بطلميوس الزمار إلى العرش (١).

مما سبق يستطيع القارئ أن يدرك أن الحصانة الملكية التى أحاط بها الملوك البطالمة أنفسهم ومنحوها لموظفيهم كان لها أكثر من مصدر استقت منه قوتها، وأن كل من الملوك وموظفيهم قد استخدموا ما آل إليهم من حصانة بشكل مبالغ فيه لتحقيق أقصى شكل من الاستفادة يصل بهم لدعم سيطرتهم الكاملة على المجتمع المصرى بكل فئاته .

وفى تقييم الباحث لأثر حصانة الملك ومبعوثيه السياسية على الصعيد السياسى فى مصر البطلمية يجد أن تلك الحصانة وإن كانت قد وفرت لحاملها من الملوك أولاً نوعاً من الاستقرار المبدئى فى قيادتهم لرعاياهم من المصريين الذين اعتادوا مثل هذا النمط من الحكم السياسى إلا أنها اضطرتهم فى الوقت ذاته لتبرير موقفهم ذلك أمام بقية رعاياهم من الاغريق وهى الفئة التى أولوها رعاية واهتماماً بالغين، فبدت الحصانة الملكية كأنها نقطة ضعف فى نظامهم السياسى يحاول الملوك البطالمة التحايل عليها أمام فئة من رعاياهم وربما أثار ذلك حفيظة المصريين أنفسهم فى بعض الأحيان بشأن مدى شرعية تلك

---

(١) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، مرجع سابق ، ص١١٠ .

الحصانة لولا تدخل الكهنة المصريين بدعم من الملوك البطالمة كلما احتاج الأمر .

وها هو فرانسواز دونان يصف العبادة الملكية على أنها وسيلة استخدامها البطالمة لدعم حصانتهم لدى رعاياهم من الإغريق فى مصر حيث تحدث عنها بوصفها وسيلة فعالة بالنسبة للرعايا الإغريق فى مصر، إذ رأى فيها وسيلة ربط – ولو ظاهرياً على الأقل – بين الإغريق الذين استوطنوا مصر من بلاد الإغريق القارية والجزر وبلاد الإغريق الأسوية وبوجه نظر دونان فقد كانت وسيلة ضمن بها الملوك البطالمة تقديس السلطة التى لم تكن فى بداية الأمر إلا سلطة أحد القادة الأكثر حظاً من أقرانه (١) .

وقد نفى دونان عن الملوك البطالمة استعمال العبادة الملكية بهدف التأثير على المصريين بالتحديد ومرجع ذلك برأيه أن الديانة المصرية التقليدية ضمت ضمن نظامها تأليه الملك على أى حال بدليل وجود مكان داخل المعابد المصرية ذاتها خصص لتماثيل الملوك ويعبدون فيه على الطريقة المصرية كاجراء منهجى يطبق منذ عصر قرار منف عام ١٩٦ ق.م.

هكذا ومما سبق يتضح أن الوثيقة محل الدراسة قد تحدثت عن الوضع القانونى لنوعين من الموظفين وهما المبعوثين الملكيين والمقيدين بالجندية من المقيمين بالإسكندرية من حملة المواطنة

---

(١) فرانسواز دونان وكريستيان زفى كوش ، الآلهة والناس فى مصر من ٣٠٠٠ قبل الميلاد إلى ٣٩٥ ميلادياً ، ترجمة فريد بورى ، مراجعة د. زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص٢٦٦ .

السكندرية وأوضح الباحث من خلال دراسته السابقة للوثيقة أن كلا النوعين قد تمتع بحصانة ما ارتبطت بطبيعة الدور الذى يقوم به كل منهم فما كان محظوراً على أحدهم كان مسموحاً للآخر وربما كان ذلك مقصوداً من قبل النظام الحاكم كى يتمكن من الإفادة القصوى من كل أدواته وفق المتغيرات السياسية التى كانت تعن له .

الظروف التى مهدت دخول الرومان مصر

(أ) التاريخ السياسي

الفصل السادس

الظروف التى مهدت دخول الرومان مصر

- رأينا فى الفصول السابقة ظروف حكم الدولة البطلمية فى مصر وعرضنا لأهم تلك الظروف اسهاماً فى ضعف الدولة البطلمية ومنها مسألة النزاع على العرش ومسألة نضوج الوعى السياسى المصرى ممثلاً فى ثورات المصريين المستمرة على حكامهم من الفراعنة الجدد وكلاهما أدى إلى الظرف الثالث والذى جاء بمثابة الضربة القاضية التى أنهت الحكم البطلمى فى مصر ونقصد به زيادة التدخل الزومانى فى الشئون المصرية البطلمية بعد أن زادت حاجة الملوك البطالمة الضعاف للإستعانة بروما بوصفها القوة الفتية الصاعدة فى حوض البحر الأبيض المتوسط.

- ولقد جاء التدخل الرومانى فى الشئون المصرية بشكل تدريجى ووفق متطلبات كل فترة وبناء على طلب الملوك البطالمة المباشر مساعدة الرومان ففى عهد الملوك البطالمة الثلاثة الأوائل أخذت العلاقة المصرية الرومانية بعض أشكال الدبلوماسية التى وفرتها مواثيق الصداقة التى كان تبرمها البعثات المتوالية بين الجانبين وتطورت بعد ذلك هذه العلاقة من مجرد الشكل الدبلوماسى النابع أساساً من منطلق التكافؤ فى القوى - إلى شكل آخر من أشكال الوصاية أو الحماية المباشرة احياناً. كما حدث فى موقف مبعوث السيناتوس(Cr. Popillius Laenas) Senahus من الملك السليوقى Antiochus 1V عندما نجح

فى غـزو الإسكندريـة بعد أن حـاصرها فـى عـهـد بـطليـمـوس Philometor [1].

- هذا ولم تكن هـذه كل أشكال العلاقات المصرية الرومانية فـى نـهاية عصر البطالمة بل ظهرت أشكال أخرى للعلاقة بيين مصر وروما فى عصر البطالمة إذ شجعت الفرص التجاريـة المتاحة فى الإسكندرية فى ذلك العصـر اعدادا كبيراً من التجار الرومان وأصحاب السفن على الاستقرار فى المدينة وأصبحت الزيارات التى يقوم بها المسؤولون الرومان إلى مصر متكررة وهناك البردية التى سبقت الإشارة اليها فى الفصل الرابع التى تدل على احدى هذه الزيارات. والتى ترجع إلى عام ١١٢ ق.م[2].

- بحلول عـام ٣٠ ق. م. أصبحت مصـر فى قبضة الفاتح الرومـانـى جايوس يوليوس قيصر أوكتافيانوس الذى لقب فيما بعد بـ أوغسطس Augustus والذى سجل فى منشوره السياسى المسمى بـ « أعمال المؤله أغسطس » Res Gestae Divi Augusti فى هذه المناسبة أنه « ضم مصر إلى سلطان الشعب الرومانى » [3] .

Aegyptum imperio populi Romani adieci .

---

(1) Polybius, Historiae, X1X, 77.

وراجع مقال «باجنال» R.S. Bagnall الذى يتحدث فيه عن بردية نشرت حديثاً تؤكد على أن انتيوخوس كان يرتب دائماً لهذه الغزوة وخطورة هذه الغزوة على المصالح الرومانية فى مصر.

- E.S. Bagnall, Classal World, No. 76, 1982 - 3, P. 14.

(2) P. Tebt., 33 = W. chr., 3 = Select Popyri, 416.

(٣) الاقتباس مأخوذ عن أغسطس من الفقرة السابعة والعشرين فى وثيقته التى يشار إليها بـ Res Gestae Divi Augusti ويوجد نص الوثيقة على باب نصب أغسطس التذكارى المقام فى روما وموجود بشكل كامل فى نسخة عثر عليها بأنقرة بتركيا وجدير بالذكر أن أنقرة كانت عاصمة إحدى الولايات الرومانية.

– وعلى الصعيد الرومانى ففى عام ٢٧ ق.م تغيرت شخصية الحاكم فى روما، حيث تلقب لأول مرة بلقب أغسطس ليصبح أول من نعرف من الأباطرة الرومان إلى جانب ألقاب أخرى إذ حرص هو وخلفائه على إتخاذ عدة ألقاب مثل لقب « الرئيس » Princeps ، وقد حكم أغسطس لمدة تقرب من الواحد والأربعين عامًا إتخذ أثنائها العديد من الإصلاحات الاجتماعية والإدارية والتى تقترب من كونها إعادة تنظيم للمجتمع [١] .

أولاً : مصر فى عصر الامبراطور أغسطس :

ظهر طابع الحكم الرومانى فى مصر فى عهد أغسطس فى نظام وأسلوب الإدارة على المستوى المحلى والمركزى ، فكانت مهمة كصر الأساسية فى الإمبراطورية الرومانية هى تزويد روما بحوالى ثلث كمية القمح السنوية اللازمة لإطعام مدينة روما عاصمة الامبراطورية آنذاك .

كان أغسطس حريص على ألا يتوقف هذا المصدر الهام للغذاء ولذا فقد حرس مصر كما لو كانت بيتاً خاصًا به ولذلك فعلى عكس الولايات الأخرى التى كان يحكمها الرومان ممن وصلوا إلى مرتبة البروقنصل Proconsul وضعت مصر تحت إدارة حاكم ذى منزلة أكثر تواضعًا ويحمل لقب برايفكتوس Praefectus أى قائم بالأعمال . وكان يعين من قبل الامبراطور وقد جعل أغسطس طبقة الفرسان هى المصدر الأول والوحيد لشاغلى هذه الوظيفة فى مصر وذلك لعدة أسباب منها :

١– طبقة الفرسان هى الطبقة التى ينتمى إليها .

---

(١) عن المزيد فى الغالب أغسطس واصلاحاته راجع أحمد غانم حافظ ، الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار ، مرجع سابق ، ص ص ٤٥ – ٥٤ .

٢- طبقة الفرسان كانت تمثل له عصًا قوياً وصمام أمان عسكرياً واقتصادياً .

٣- طبقة الفرسان كانت من أهم المؤيدين له منذ بداية حياته السياسية .

- لقد أمر أغسطس بألا يدخل الولاية (مصر) أحد من طبقة السيناتو أو حتى البارزين من طبقة الفرسان دون الحصول على اذن مسبق منه شخصيًا وربما أراد أغسطس بذلك أن يجنب واليه حرج رفض مقابلة الشخصيات الرومانية الهامة التى قد تفد إليه من روما ممن يعلونه منزلة، كما أنه أراد أن يبعد بمصر عن أن تصبح مسرحًا لأحداث المعارضة السياسية الرومانية التى يعضدها الجيش كما حدث فى أيام أنطونيوس [١] .

- كانت مصر ولاية رومانية ذات أهمية ووضع خاص وقد عبر المجتمع الرومانى عن سعادته الجمة إزاء نجاح أغسطس فى تحويلها لتصبح ولاية رومانية كما عبر أغسطس نفسه عن سعادته بإنجازه هذه الخطوة وتمثلت سعادة المجتمع الرومانى بهذا الحدث فى مقولة أحد شعراء الرومان الذى قال:

« لقد أسكن قيصر عاصفة الحرب ، وأسكت قعقعة الدروع ، وجاء سعيداً فرحاً إلى أرض النيل حاملاً القانون والنظام والخير مثله فى ذلك مثل زيوس إله الحرية » [٢] .

---

(١) نفتالى لويس ، الحياة فى مصر تحت الحكم الرومانى ، ترجمة وتقديم د. السيد جاد ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧، الطبعة الثانية، ص ص٢٢ - ٢٣ .

(2) Select Papyri, III, 113.

والمقصود بقيصر فى هذه الأبيات الشعرية هو جايوس يوليوس قيصر أوكتافيوس الملقب بأغسطس، وكان من ضمن ألقابه أيضاً «قيصر» .

هذا وقد اعتبر السيناتوس اليوم الأول من الشهر السادس وفقاً للتقويم الرومانى فى عام ٣٠ ق.م عيداً وطنياً وتم سك عملة بهذه المناسبة كتب عليها عبارة «مصر المحتلة» Aegypto capta [١].

أما أغسطس نفسه فقد سبق وأن أوردنا جملة خطها بيده ليعلن بها عن سعادته بهذا الحدث وهى التى وردت بأثر أنقرة والتى قال فيها «لقد أضفت مصر إلى سلطان الشعب الرومانى».

والواقع فإن هناك دلائل أخرى تثبت أن مصر كانت ذات وضع خاص فى نظر أوغسطس منها أن أوغسطس وعلى خلاف ما كان سائداً قديماً منع جنوده من سلب مدينة الإسكندرية (عاصمة مصر) احتراماً لذكرى مؤسسها الإسكندر الأكبر[٢]. وطلب أن يرى جثمان الإسكندر وأحضروه له حيث أغدق عليه مظاهر التكريم[٣].

لكن أغسطس لم يعدم الوسيلة لإرهاب السكندريين الذى يعلم عنهم أنهم شعب يميل للشغب وممارسة السياسة والتدخل فى شئون الحكم ولذا قام بوضع فرقة رومانية فى نيكوبوليس «مدينة النصر Nicopolis» بالقرب من الإسكندرية تحسباً لأى شغب أو تمرد من جانب السكندريين الذين

---

(1) Aegypto (Noun 2nd decl., Fem., Sing., Abl.) Egypt, Capta : Perfect Passive Participle of V. Capere. Mixed Conjug., Fem., Sing., Abl. Express Ablative Absolute : has been captured.

(2) Dio - Cassius, Historia Romana, L. I., 16, 3 - 5.

(3) Bowman A. K., Op. cit., p. 37.

حيث يروى أن أغسطس وضع على رأس الإسكندر تاج من الذهب وأنه حيدها هشم جانباً من أنف الإسكندر عن دون قصد، وأنه رفض زيارة مقابر الملوك البطالمة معتبراً إياهم أمواتاً وليسوا ملوكاً كالإسكندر وهو رد يعكس مدى كراهيته للبيت الحاكم البطلمى. قارن أبو اليسر فرح، مرجع سابق، ص ١٦١ .

كثيراً ما قاموا بطرد ملوكهم من البطالمة وثاروا لأتفه الأسباب كما يروى عنهم الخطيب الشهير ديو خريسوستم أو «فم الذهب»[1].

كما احتفظ أغسطس Augustus بتقسيم البلاد الذى كان موجوداً من قبل والذى كانت مصر فيه مقسمة إلى حوالى ثلاثين إقليم إدارى ويحكم كل إقليم أو نوموس nomos منها حاكم هو استراتيجوس Strategos وقد أدخل أغسطس هنا بعض التعديلات والتى تتمثل فى جعل الحكام ذوى سلطة مدنية فقط بعد أن كان لهم فى عهد البطالمة سلطة مدنية وأخرى عسكرية.

وجعل القادة العسكريون يختارون من بين قادة الجيش الرومانى والقوات الموزعة على الأماكن الهامة فى مصر فمثلاً كانت هناك فرقة عسكرية فى الإسكندرية وأخرى عند بابليون الواقعة شمال منف على الجانب الآخر من النهر Babylon كما أرسلت بعض المجموعات الصغيرة للقيام بعمليات الحراسة فى مناطق الحدود والمحاجر والمناجم ومفارق الطرق الهامة وشون القمح.

هذا ويحدثنا سترابون عن ثلاث فرق رومانية فى مصر وأن واحدة منها استقرت فى الإسكندرية وأن الفرقتان الأخريتـان موزعتان فى باقى القطر. كما تحدث عن تسع سرايا رومانية موزعين على النحو التالى:

(1) Dio Chrysostomos, Or. XXXII, 69.



وذلك بخلاف ثلاث وحدات من الفرسان equites موزعة فى مناطق الخطر فى مصر[1]، ويحدثنا تاكيتوس عن عظم مكانة أفراد طبقة الفرسان وكيف أنهم شغلوا مكان الملوك وربما كان المقصود بالملوك هنا الملوك البطالمة[2].

لقد فرض أغسطس على مصر جزية ضخمة وعين عليها أول الولاة الرومان على مصر وهو كورنيلليوس جاللوس Cornelius Gallus . وقد حرم أغسطس المصريين من:

١ - عضوية مجلس السيناتو فى روما . وهو أمر طبيعى حيث كانت عضوية هذا المجلس منذ نشأة الجمهورية قاصرة على الرومان دون غيرهم .

٢ - حرم سكان الإسكندرية حملة المواطنة السكندرية من المجلس التشريعى Boule والذى طالما تمتعوا به فى ظل حكم البطالمة[3].

---

(1) Strabo, Geographica, 17. 1. 12.

(2) Tacitus, Annales, I, 11.

(3) Dio - Cassius, 51, 17.

حيث عرض لوضع مصر فى عهد أغسطس وهنا يجب أن نشير إلى أن سكان الإسكندرية وبعض المدن الأخرى حصلت مرة ثانية على مجالسها التشريعية تلك التى سلبها أغسطس وذلك فى عهد الإمبراطور سبتميوس سفيروس ، بل وبدأ السكندريين يسجلون لعضوية مجلس الشيوخ فى روما فى عهد ابنه الإمبراطور كاراكلا بمقتضى الدستور الأنطونينى ٢١٢ م، راجع أحمد غانم، مرجع سابق، ص ٧٩ .

وعلى الصعيد السياسى فقدت مصر كلها استقلالها السياسى بعد أن حولها أغسطس ولاية رومانية بعد أن ارتبطت بمصر روما وذلك بخلاف وضع مصر تحت حكم البطالمة إذ كانت مصر دولة وليست ولاية بمعنى أن كان لها سياستها الخاصة والنابعة من الداخل فلم تكن تفرض عليها سياسة من الخارج. وقد تميزت الحياة السياسية فى مصر الرومانية وتحديداً فى عهد الإمبراطور أغسطس بكثرة الفتن والاضطرابات والتى تباينت أسبابها ومظاهرها ومنها ما حدث عقب مغادرة أغسطس مصر بعد أن فرض عليها ضريبة الرأس Laographia فاشتعلت ثورة المصريين عام ٢٩ ق .م. وقد تمكن الوالى الرومانى من إخمادها فى سرعة وعنف[1].

من المعلومات السابقة نعرف أن الإمبراطور أغسطس أخذ مواقف مختلفة سواء من المصريين عامة أو من سكان الإسكندرية بشكل خاص وكلها مواقف تهدف إلى التمييز والتفرقة وفى نفس الوقت نجد أغسطس يأخذ موقفاً متساهلاً من فئة أخرى كانت تسكن مصر وهى اليهود وتمثل هذا الموقف المتساهل بالأساس فى :

١ – اعتراف Augustus بجميع حقوق اليهود وحريتهم الدينية فى مصر.

---

(1)— Victor Chapot, L'Egypte Romanie, Histoire de la Nation Egyptienne, Tome III, pp. 245 - 246.

— Wallace S., Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian, 1938, pp. 116 ff.

قارن كلاً من مصطفى العبادى ، الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦ ، ص ١٢١ .

حسين أحمد الشيخ ، العصر الهللينستى، مرجع سابق، ص ٩٢ .

٢ – موافقته على استمرار نظمهم السياسية الخاصة بهم فأبقى لهم على مجلس شيوخهم Gerousia وجاليتهم الخاصة Politeuma[1].

كانت هذه السياسة سبباً فى اشتعال الفتنة بين الإغريق الموجودين فى مصر عموماً وساكنى الإسكندرية على وجه الخصوص وبين اليهود. هذه الفتنة هى التى شكلت جزءاً هاماً من تاريخ مصر تحت حكم الرومان.

وما أن شعر أغسطس بحكمته العسكرية بحالة السخط التى كان عليها إغريق الإسكندرية – حملة المواطنة السكندرية – إلا وحاول استرضاء الإغريق كما استرضى من قبلهم اليهود وذلك عن طريق جعل المواطنة السكندرية شرطاً أساسياً للحصول على المواطنة الرومانية الأهم آنذاك.

وكذلك حاول أغسطس استرضاء إغريق الإسكندرية بإعفائهم من بعض الضرائب ومنها ضريبة الرأس التى لم يعف منها حتى اليهود. كما منح السكندريين حق الالتحاق بالخدمة العسكرية فى الجيش الرومانى.

ولم يمارس أغسطس السيطرة فقط على الشعب المصرى بكافة طبقاته والجاليات الأجنبية التى كانت تحيا وسطه. بل أيضاً مارس هذه السيطرة بحكم موقعه كإمبراطور عام للإمبراطورية وكل ولاياتها على موظفيه من الولاة الذين كان يعينهم ليصبحوا بمثابة ممثلين له وحريصين غلى صالح الإمبراطورية. وهنا نجد الامبراطور أغسطس يغضب من واليه كورنيلليوس جاللوس الذى غره نجاحه فى القضاء على ثورة المصريين فى ٢٩ ق.م. وغره نجاحه فى فرض السيطرة الرومانية

(1) Philo, ad Gaium, 10.

على حدود مصر الجنوبية فسجل أعماله على نقش فى جزيرة فيلة Philae وأمر بأن تقام له تماثيل لتكريمه. وطلب أوغسطس منه المثول بين يديه بعد أن عزله وقبل ذهابه إلى روما ليمثل بين يدى الإمبراطور أقدم على الانتحار(١).

ثانى الولاة على مصر فى عهد الإمبراطور أغسطس هو الوالى إيليوس جالليوس (٢٦ - ٢٤ ق.م.) Aelius Gallius وكانت أهم أحداث عصره هى الحملة التى شنها على بلاد العرب بهدف تأمين طرق التجارة الشرقية التى كان يسيطر عليها العرب(٢)، هذا ويؤكد سترابون أن إخضاع مداخل البحر الأحمر والاستيلاء على ثروة بلاد العرب من أهم أهداف هذه الحملة(٣)، ورغم فشل الحملة عسكرياً إلا أنها حققت نجاحاً سياسياً وتجارياً.

والملاحظ فى عصر هذا الوالى أن غياب القوات الرومانية عن مصر فى حملة بلاد العرب أغرى الأثيوبيين بأن ينقضوا إتفاقهم الذى أبرموه مع كورنيلليوس جاللوس فأغاروا على جنوب مصر بقيادة ملكتهم كنداكى Kandake ونهبوا فيله والفنتين وأسوان(٤).

أما ثالث الولاة فى عصر أوغسطس وهو جايوس بترونيوس (٢٤ -

---

(1) Dio - Cassius, 53, 23. 5.

(٢) راجع العرض الشيق لتفاصيل الحملة عند لطفى عبد الوهاب يحيى، تاريخ العرب فى العصور القديمة ، مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٩ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٩.

(3) Strabo, XVI, 4, 22.

(4) Reinmuth, O. W., The Prefect of Egypt from Alexander to Diocletian, 2nd ed., Klio, 1979, p. 120 ff.

٢١ ق.م) Gaius Petronius . وهو الذى طارد الأثيوبيين وأجبر الملكة كنداكى على توقيع معاهدة صلح. ولكن تكرر هجوم الإثيوبيين على حاميات الحدود وهاجمهم الوالى مرة ثانية وهزمهم. وبعدها أقام الرومان كل التحصينات اللازمة وأبرم أوغسطس معهم صلحاً وأعفاهم من دفع الجزية.

ويعد بترونيوس هو آخر الولاة الرومان فى مصر ممن قاموا بحملات عسكرية. الذى كان من بين أهم أعماله نقل ملكية المعابد فى مصر إلى ملكية الدولة بهدف إضعاف طبقة الكهنة المصريين[١].

ثانياً : مصر في عهد الأسرة اليوليوكلاودية:

أ - الإمبراطور تيبريوس Tiberius :

– عرف عن الإمبراطور تيبريوس الشدة والحزم وقد انعكست ملامح شخصيته الحازمة على علاقته بواليه على مصر إذ أراد هذا الوالى أن يخطب ود الإمبراطور بإرسال أكبر قدر من الجزية المفروضة على مصر وهنا غضب تيبريوس منه وأرسل له قائلاً :

«لقد أُرسلت لكى تجز الغنم لا لكى تسلخها»[٢].

– دخلت مصر فى عهده فترة من الاستقرار الاقتصادى ويرجع بعض الباحثين هذه الظاهرة إلى مجهودات أغسطس المضنية فى هذا الصدد[٣]. ومن أهم دلائل هذا الاستقرار والانتعاش الاقتصادى هو إصدار

(1) Cambridge Ancient History, Op. cit., X, 290.

(2) Dio Cassius, 57, 10. 5.

(٢) مصطفى العبادى، الإمبراطورية الرومانية، مرجع سابق، ص ١٢٤.

عملة جديدة كانت من الفضة ومن فئة الأربع دراخمات وهناك من يرى أن هذه العملة كانت لها نفس قيمة الدينار الرومانى(١).

- من أهم أحداث عصره زيارة أبن أخيه Germanicus جرمانيكوس للإسكندرية بعد أن أنهى مهمته التى كلف بها من قبل عمه الإمبراطور فى بلاد اليونان ويحدثنا تاكيتوس عن أسباب زيارة جرمانيكوس للإسكندرية ومنها رغبته فى تدارك أمر الأزمة الاقتصادية التى كانت تمر بها مصر آنذاك بسبب إنخفاض فيضان النيل فى ذلك العام. ويذكر تاكيتوس أيضاً أنه قام بهذه الزيارة دون إذن الإمبراطور عام ١٩ م(٢).

هذا ولم يكن إغفال جرمانيكوس طلب الإذن من الإمبراطور قبل دخوله مصر هو الخطأ الوحيد الذى دفع فيه بل ارتكب فى الواقع وحسب رواية تاكيتوس عدة مخالفات أخرى منها:

١ - سار بين الناس فى مصر مرتدياً الزى الإغريقى إذ انتعل صندلاً إغريقياً.

٢ - أمر بفتح صوامع الغلال وتوزيعه على الناس.

كل هذه التصرفات كان من شأنها أن قربت جرمانيكوس إلى قلوب أهل مصر فهو لم يتخل فقط عن المظهر الرومانى العسكرى القاسى لكن أيضاً أثبت لهم أنه قائد رومانى يختلف عن الأباطرة السابقين أى أغسطس وعمه القابع على العرش فى تلك الفترة.

---

(1) West L. C. and Johnson A. C., Currency in Roman and By-Zantine Egypt, 1944.

حيث تعرض هذا العمل لدراسة سياسية كل من أغسطس وخلفه تيبريوس فيما يتعلق بالنواحى المالية وتنظيمها فى مصر بوصفها جزء من أملاك الإمبراطورية.

(2) Tacitus, Ann. II, 59 - 61.

فما كان من المصريين إلا أن بادلوه من مظاهر الاحترام والتكريم ما يليق بالأباطرة فقط لدرجة أنه أصدر عدة منشورات ينهى فيها المصريين عن ذلك التصرف.

عموماً فقد قام جرمانيكوس برحلة نيلية فى مصر بدأت من كانوب وانتهت فى مدينة طيبة ويقال أنه زار تمثالاً ممنون وقد أغضبت زيارة جرمانيكوس لمصر الإمبراطور الرومانى تيبريوس ويتحدث أكثر من مصدر عن هذه الزيارة[1]، وعن غضب الإمبراطور عليها وكيف أنه وجه إليه نقداً عنيفاً ويقال أنه دبر لقتله فى مدينة أنطاكية.

٣ - الإمبراطور كاليجولا :

– هو ابن جرمانيكوس وقد تولى عرش الإمبراطورية عام ٣٧ م وبعدها بعام واحد حدثت فى مصر فتنة عام ٣٨ م بين اليهود والسكندريين . تلك الفتنة التى يرجع السبب الرئيسى فيها إلى الرومان وتصرفاتهم التى أوغرت صدور كل من السكندريين واليهود.

– ظهرت بوادر هذا النزاع منذ عهد الإمبراطور تيبريوس حين أخطر والى مصر فى عهده ويدعى Flaccus أن يقوم بحملة لجمع الأسلحة من الأهالى وأعلن عزمه على توقيع عقوبات حازمة على كل من يضبط لديه سلاحاً[2].

---

(1) Tacitus, Ann., II, 59, Josephus, Contra Apionem, II, 63.
وعن المزيد من المعلومات بشأن ممنون راجع أمين سلامة، معجم الإعلام فى الأساطير اليونانية والرومانية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

(2) Philo, in Flaccum, 86.

– أما عن كيفية حدوث الصراع بين اليهود والسكندريين فنجد أن السكندريون قد استغلوا مناسبة تعيين الأمير اليهودى أجريبا Agrippa ملكاً على ولاية أيتوريا رغم ما عرف عنه من سوء سلوكه[1]، وعدم إتزانه. بما لا يجعله أهلاً للمنصب وتهجموا على اليهود فى شخصه حيث سخروا من هذا الملك بأن ألبسوا معتوه زياً ملكياً ووضعوا حوله حرساً وأخذوا يطلقون عليه لفظ «الملك».

– وقد غاب عن السكندريين قبل أن يتمادوا فى هذا التصرف مدى الصلة والصداقة التى كانت تربط بين كل من أجريبا والإمبراطور كاليجولا.

ولم يجدوا ما يبررون به سوء فعلتهم أمام الإمبراطور إلا أنهم قاموا بذلك تعبيراً عن استيائهم من موقف اليهود والرافض لوضع تماثيل للإمبراطور فى المعابد اليهودية[2]. ولذلك قاموا بأنفسهم بوضع التماثيل داخل المعابد اليهودية.

– هذا التصرف وضع الوالى فلاكوس فى حرج لأنه سبق وإن قام بحملة جمع فيها الأسلحة من السكندريين وخشى أن يأخذ موقفاً معادياً منهم الآن. لا سيما وأن مبررهم أمام الإمبراطور كان نبيلاً وقد يفسر تدخله على أنه عدم ولاء أو نوع من التقصير. هنا قرر أن يعاقب اليهود وأن يسحب منهم جميع الإمتيازات وهاجم السكندريين بالإشتراك مع قوات الوالى زعماء اليهود والحى اليهودى وقاموا بنهب حوانيتهم وأشعلوا

---

(١) محمد السيد عبد الغنى، لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٨٥.

(٢) عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٨٧.

النار فى معابدهم ويسجل فيلون اليهودى السكندرى أن شوارع الإسكندرية شهدت مذابح عنيفة ضد اليـهود[1].

أمام هذه المحنة سعى اليهود إلى أجريبا كى يتوسط لدى صديقه الإمبراطور كاليجولا واقتنع الإمبراطور بأن الوالى أساء التصرف فألقى القبض عليه وتم اقتياده فى مصر إلى روما حيث حوكم وصدر الحكم عليه بالنفى ومصادرة أملاكه ثم أعدم بعد ذلك[2].

بعدها أرسل كل من اليهود والسكندريين وفوداً للإمبراطور بهدف تفسير وتبرير ما حدث وقد وصف لنا فيلون الذى ترأس الوفد اليهودى أحداث هذه السفارات فى كتابه «سفارة إلى جايوس Legatio ad Gaium» وفيه يذكر أن هذه السفارات لم تسفر عن نتيجة إذ شغل عنها الإمبراطور كاليجولا[3].

٤ - الإمبراطور كلوديوس Claudius :

تولى كلوديوس عرش الإمبراطورية فى ٤١ م تقريباً وأراد أن يهدئ مشاعر اليهود إذ سيطر الفزع عليهم جراء أحداث فتنة ٣٨ م فأكد إمتيازاتهم التى كانوا يتمتعون بها قبل فتنة ٣٨ م والتى حرمها منهم الوالى المخلوع فلاكوس.

بعد أن هدأت الأمور قام اليهود والسكندريين بإرسال وفدين لتهنئة الإمبراطور الجديد ولعرض الخلاف عليه وحاول الإمبراطور أن يضع

(1) Philo, in Flaccum, 62 - 72.
(2) Philo, in Flaccum, 147.
(٣) مصطفى العبادى، مرجع سابق، ص ١٢٧.

حداً لهذه الخلافات فأرسل إلى واليه على الإسكندرية رسالة تلاها الوالى على الملأ وقد عثر على نص الرسالة مكتوباً على بردية وجدت فى إحدى قرى الفيوم. P. Lond. 1912 [1].

في القسم الأول:

قبل تكريم السكندريين ووافق على إقامة تمثال من الذهب يجسده تعبيراً عن السلام الذى حققه كل من أغسطس وكلوديوس Pax Augusta Claudiana.

ورفض فى نفس الوقت طلبهم بإقامة معابد من أجل عبادته فيها ولم يستجيب لطلب السكندريين بعودة مجلس الشورى المسلوب. وناشد السكندريين بالكف عن التربص باليهود.

في القسم الثاني:

يتخلى الإمبراطور عن لهجة الدبلوماسية والمجاملة وأنذر فى لهجة حادة الطرفين «السكندريين واليهود» وطلب من السكندريين حسن معاملة اليهود ونبه اليهود إلى حقيقة وضعهم فى الإسكندرية وأنهم ليسوا مواطنين فيها وعليهم إلا ينسوا أنهم يقيمون فى مدينة ليست مدينتهم فى الأصل وبالتالى فليس من حقهم استجلاب يهوداً جدد سواء من مصر أو من سوريا.

كان لهذه الرسالة مردوداً سلبياً خصوصاً على السكندريين حيث أن

---

(١) أبو اليسر فرح، مرجع سابق، ص ١٧٩ حيث يقسم الرسالة إلى قسمين الأول يتعلق بمطالب السكندريين والثانى يتعلق باليهود فى حين اعتبر مصطفى العبادى، مرجع سابق، ص ١٢٨ أنها عبارة عن ثلاثة أقسام أضاف لها قسماً وهو القسم الذى يرد فيه كلوديوس على ما رفعه إليه السكندريون من آيات الولاء والتمجيد.

الإمبراطور فى حين نجده يقر لليهود بعضاً من حقوقهم القديمة لم يستجب مثلاً لطلب السكندريين بشأن استرجاع مجلس الشورى. وهنا نجد السكندريون يعبرون عن مشاعر الكراهية لكلا من الرومان واليهود فى نوع من الأدب الشعبى يعرف باسم «أعمال الشهداء الوثنيين – أعمال السكندريين» Acta Alexandrinorum وهى التى صورت زعماء الإسكندرية يحاكمون ويستشهدون دفاعاً عن مدينتهم وهو ما وضعهم أمام القارئ فى مصاف الأبطال الذين يتحدون الأباطرة الرومان[1].

٥ - الإمبراطور نيرون (٥٤ - ٦٨م):

يختلف نيرون عن سلفه كلوديوس إختلافاً شديداً إذ كان الأول لايحسن التدبير مأخوذاً برعونة الشباب. أشهر أحداث مصر فى عصره هى تجدد الفتنة بين الإغريق واليهود فى الإسكندرية. ويروى لنا جوزيفوس اليهودى أنه فى عام ٦٦م قامت ثورة اليهود فى مدن فلسطين حيث طالب اليهود هناك بحقوق المساواة السياسية. وصادر أموال طائلة من هيكل أورشليم عوضاً عن ضرائب متأخرة على اليهود. وألقت هذه الثورة بظلالها على مصر.

وقامت الفتنة فى مصر بعد أن اعتدى بعض السكندريون على اليهود الذين اندسوا فى بعثة السكندريين للإمبراطور وهو ما أثار غضب اليهود[2].

كان تيبريوس يوليوس الإسكندر Tiberius Iulius Alexander هو والى

---

(١) راجع العرض الطيب عن نشأة هذا النوع من الأدب عند : عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ١١٠ – ١٢٩.

(2) Josephus, Bell. Iude., 2 487 - 98.

مصر الذى عينه نيرون عام ٦٦م وكان يهودياً ارتد عن اليهودية وحصل على المواطنة الرومانية وحاول هذا الوالى أن ينصح زعماء الجالية اليهودية إلا أنهم رفضوا النصح فاضطر لأن يتعامل معهم بالقوة وأنزل قوات الجيش الرومانى فى نيكوبوليس (مصطفى كامل) ويقال أن خمسين ألفاً من اليهود لقوا حتفهم فى هذه الأحداث[1].

بعدها اغتيل الإمبراطور نيرون فى عام ٦٨ م وسمى العام التالى لمقتل نيرون باسم عام الأباطرة الأربعة وهو عام ٦٨ م / ٦٩ م وقد سمى هذا العام بهذا الاسم نظراً لتوالى أربعة أباطرة على عرش الإمبراطورة فيه وهم :

١ - Galba ٢ - Otto

٣ - Vettelus ٤ - Vespasianus

ثالثاً : مصر في عهد الأسرة الفيلافية:

١ - الإمبراطور فسباسيانوس (٧٠ - ٧٩م):

- على الرغم من صدور قرار السيناتوس فى روما بتعيين فسباسيانوس إمبراطوراً على عرش الإمبراطورية إلا أن فسباسيانوس اعتبر أن تاريخ بدء حكمه منذ أول يوليو عام ٦٩ م اليوم الذى اعترف به والى مصر وأعلن ولاءه له.

- لقد استقبل فسباسيانوس فى مصر استقبالاً حافلاً خاصة فى مدينة

---

(1) Idem., 2. 492 - 4.

عن عصر نيرون عموماً وسياسته فى الإمبراطورية الرومانية راجع : أحمد غانم، الإمبراطورية الرومانية منذ النشأة إلى الإنهيار، ص ٦٠.

الإسكندرية إذ يعد هو الإمبراطور الثانى الذى يقوم بزيارة المدينة منذ زيارة أوغسطس لها. ويقال أن نهر النيل قد ارتفع أثناء زيارته لمصر بمقدار أربعة أذرع فى اليوم الواحد، وقد فسرت هذه الظاهرة بأن الآلهة المصرية ترحب بالإمبراطور الجديد[1].

– لم تكتمل فرحة المصريين بقدوم الإمبراطور فسبسيانوس إذ سرعان ما فرض عليهم ضرائب جديدة مثل ضريبة السمك المملح، فأطلقوا عليه لقب «تاجر السمك المملح» وهو الأمر الذى أثار غضب الإمبراطور لاسيما وأنهم أطلقوا عليه ألقاب ساخرة أخرى مثل «أبو ستة أوبل» [2]، فما كان منه إلا أن عاقب السكندريين بأن فرض عليهم ضريبة الرأس وهى الضريبة التى كان أوغسطس قد أعفاهم منها تقديراً لمكانتهم فى مصر، فكانت هذه الحادثة بمثابة الصاعقة على رؤوس السكندريين، غير أنه عاد وصفح عنهم بعد توسط ابنه Titus الذى كان يشغل منصب قائد الحرس البرايتورى[3].

أرسل فسباسيانوس ابنه Titus من مصر لحصار بيت المقدس وقد نجح فى مهمته وتمكن من تدمير الهيكل فى أورشليم فى الثانى من سبتمبر عام ٧٠م.

بعدها ذهب Titus للإسكندرية حيث أظهر مشاعر الود والاحترام تجاه سكان املدينة وعموم مصر والأكثر من ذلك أنه حرص على حضور بعض أعيادهم الدينية[4].

---

(١) أبو اليسر فرح، النيل فى المصادر الإغريقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٦٢.

(٢) عن القصة كاملة راجع :

Milne, Egypt under Roman Rule, p. 28 ff.

(٣) أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار، مرجع سابق، ص ٦٣.

(4) Tacitus, Ann., IV, 81, VI, 13.

وعموماً فقد شهدت مصر تعاطفاً فى عصر الأسرة الفيلافية. ومن دلائل ذلك التعاطف الذى أبداه أباطرة الأسرة الفيلافية ذلك الاحترام الذى أبداه تيتوس Titus بعد توليه عرش الإمبراطورية خصوصاً تجاه الربة إيزيس ذلك الاحترام الذى ورثه عن أبيه(١).

إن الاهتمام بالآلهة المصرية كان ظاهرة ميزت تاريخ الأسرة الفيلافية فى مصر وها هو دوميتيانوس يعيد بناء معبد الربة إيزيس فى ساحة الإله مارس بروما كما نجده يقيم معبداً للإله سيرابيس عام ٩٤م.

بموت الإمبراطور دوميتيانوس تنتهى الأسرة الفيلافية وينتهى معها نظام وراثة العرش إذ لم يترك دوميتيانوس وريثاً للعرش فاضطر الرومان لاختيار نظام جديد لتولى العرش يقوم على الاختيار.

رابعاً: عصر الأباطرة الصالحين (٩٦م - ١٨٠م):

توالى على عرش الإمبراطورية الرومانية عدد من الأباطرة الذين لقبوا فى التاريخ باسم الأباطرة الصالحين وذلك لإصلاحات بعضهم واعتدال بعضهم الآخر(٢)، وكان منهم الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧م).

---

(١) حيث تذكر بعض المراجع أن فسباسيانوس سك عملة عليها صورة الربة إيزيس: راجع: عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ١٥٣، وتؤكد مراجع أخرى على أن ميل ثيتوس نحو الآلهة المصرية جعله يحرص أيضاً على حضور احتفال تقديم القرابين لعجل أبيس. راجع: محمد السيد عبد الغنى، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٢) يطلق على هذه الفترة اسم فترة العصر الذهبى للإمبراطورية الرومانية تبدأ بتولى Nirva عرش الإمبراطورية وتنتهى بموت Marcus Aurelius عام ١٨٠م. راجع:

Voget Joseph, The Decline of Rome, Eng. ed., London, Weidenfedand Nicolson, 1967, p. 25 ff.

١ - مصر في عهد الإمبراطور تراجان :

شهدت مصر فى عهد الإمبراطور تراجان حدثين هامين وهم :

١ – حدوث المجاعة بسبب إنخفاض منسوب نهر النيل.

٢ – تجدد حلقات الصراع بين اليهود والسكندريين.

– وفيما يخص الحدث الأول فقد حاول تراجان أن يسيطر على الوضع قدر إمكانه فما كان منه إلا أن أرسل إلى مصر أسطولاً محملاً بالغلال من ذلك المحفوظ فى روما وبذلك قلل تراجان من حدة المجاعة فى مصر وفق رواية بليني الأصغر[1].

وما أن عاد الاستقرار للبلاد مرة أخرى إلا ويهدد الصراع بين اليهود والسكندريين بقاء هذا الاستقرار وقد بدأ هذا الصراع تقريباً منذ عام ١١٠م واستمر حتى عام ١١٣م وقد بدأ فى الإسكندرية وانتهى فيها عام ١١٣م.

– تجددت ثورة اليهود ضد السكندريين فى عام ١١٤م منتهزين فرصة إنشغال تراجان فى الحرب ضد البارثيين فى الشرق، وقد انتشرت الثورة هذه المرة خارج الإسكندرية لتعم جميع أرجاء مصر وبرقة لدرجة أن سيطر اليهود على البلاد لبعض الوقت بعد أن عجزت الجيوش الرومانية الموجودة فى مصر عن التصدى لهم بفضل قلة عدد الجنود إذ ذهب معظم الجنود الرومان بصحبة الإمبراطور فى حملته على الشرق . وإزاء هذا الموقف اضطرت السلطات الرومانية إلى تجنيد الأهالى وتسليحهم لمقاومة اليهود، وقد تمكن الرومان من اخماد هذه الفتنة فى

---

(1) Pliny Junior, Panegricus, 31 - 32.

عام ١١٧م ولكنها كانت ذات أثاراً مدمرة على البلاد وما بها من مرافق وخدمات [١] .

ويشير البعض إلى إدخال بعض التعديلات فى الحامية العسكرية الرومانية الموجودة بمصر فى عهد تراجان كما ينسب إليه إقامة حصن جديد عند رأس الدلتا وهو المعروف بحصن بابليون [٢] .

٢- مصر في عهد الإمبراطور هارديان ١١٧ - ١٣٨م :

- يعد هارديان هو الإمبراطور الثالث الذى قام بزيارة مصر شخصياً بعد زيارة كل من أغسطس فسباسيانوس لها . وكانت زيارته ذات بعدين أحدهما سياحى بهدف زيارة أثار مصر وبخاصة تمثالا ممنون وهى زيارة تعد أساسية لأى زائر رومانى فى مصر .
- شهدت زيارة هارديان لمصر حادثة وفاة الغلام أنتينوس Antinous الذى كان مرافقاً للإمبراطور وأمر الإمبراطور ببناء مدينة فى نفس موقع وفاة الغلام وقدر لها أن تكون المدينة الإغريقية الرابعة فى مصر وحملت اسم الغلام فعرفت باسم مدينة انتينوبوليس Antinopolis وهى حالياً تعرف باسم الشيخ عبادة بمحافظة المنيا [٣] .
- تمتعت هذه المدينة بكل مميزات المدن الاغريقية فكان لها مجلس تشريعى Boule وترك لموطنيها الاغريق حق الزواج من مصريات وهو حق لم تكن تتمتع به المدن الاغريقية الأخرى الموجودة فى مصر [٤]

(1) Rostortzeff, Op. cit., p. 348 and See also C. A. H., XI., p. 353.

(٢) مصطفى العبادى ، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية، مرجع سابق، ص ١٣٩ .

(3) Bowman, op. cit., p. 44 .

(4) Bell H. I., Antinopolis A Hadrian Foundation, J.R.S., XXX, 1941, p. 130 ff .

وقد قصد الامبراطور هادريان أن تكون هذه المدينة اغريقية الطابع نظراً لحبه الشديد للحضارة الاغريقية وهناك دلائل أخرى تثبت هذا الحب والولع الشديدين بالحضارة الاغريقية منها اعلانه الحماية لكل من المكتبة والموسيون –صنيعة البطالمة فى مصر – واجرائه لبعض المقابلات مع العلماء هناك ومحاولته استقدام بعض من العلماء الاغريق بهدف زيادة عدد العلماء بالإسكندرية . وهو ما دفع بعض الباحثين إلى تسميته بالمحب للحضارة الهللينية Philohellenic [(١)] .

– تلى هارديان على عرش الامبراطورية الإمبراطور أنطونينوس بيوس Pius أى التقى ١٣٨ – ١٦١م ورغم طول فترة حكمه إلا أن المراجع أجمعت على خلو عهده من الأحداث فى مصر على الصعيد السياسى اللهم إلا الحديث عن ثورة تجهل المراجع أسباب قيامها فى الإسكندرية وراح الوالى ضحيتها عام ١٥٣م [(٢)] . ورغم ذلك واستناداً إلى ما سبق الحديث عنه من اشتعال الموقف بين السكندريين واليهود فيرجع الكاتب أن تكون هذه الثورة حلقة من حلقات هذا الصراع الذى كان مستمراً دون دليل واحد على انقطاعه ولعل قدوم امبراطور مثل هادريان وانشائه للمدينة الاغريقية الرابعة فى مصر ربما كان سبباً فى إثارة غيرة اليهود مما شكل دافعاً لإثارتهم الفتنة مرة أخرى فى الإسكندرية العاصمة .

---

(١) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص١٨٩ . وراجع أيضًا أثر هذه السياسة على تكوين فن مصرى يونانى عند مصطفى العبادى ، مرجع سابق ، ص١٤١ .

(٢) مصطفى العبادى ، مرجع سابق ، ص١٤١ ، وأبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص١٨٩ . حيث يذكر الأول أن بيوس حضر إلى الإسكندرية وأقام بها منشآت مثل ميدان السباق (الهيبودروم) وباب الشمس فى الشرق وباب القمر فى الغرب .

٣- مصر في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس ١٦١ - ١٨٠م :

– شهد عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس ثورة عنيفة قام بها المصريون فى عام ١٧٢م بزعامة الكاهن ايزيدور وتعرف هذه الثورة باسم ثورة الرعاة وقد قام المصريون بهذه الثورة بعد أن اطمئنوا إلى إرسال الحامية الرومانية للحرب فى منطقة الدانوب . وقد كان مركز الثورة فى شمال الدلتا .

– كانت ثورة الرعاة من القوة والعُنف لدرجة أن القوات الرومانية الباقية فى مصر عجزت عن صدها فقامت روما بارسال قوات رومانية من تلك الموجودة فى سوريا بقيادة Avidius Cassius الذى تجنب مواجهة الثوار وأتبع مع بعضهم أساليباً دبلوماسية وطارد البعض الآخر .

– كما شهدت مصر فتنة أخرى فى عهد ماركوس أوريليوس وهى محاولة القائد Avidius Cassius الانشقاق على حكم ماركوس أوريليوس بالتعاون مع زوجته الامبراطورة فوستينا ولكن فشلت هذه الخطة رغم أن بايعه الجنود فى ١٧٥م ورغم أن ناصرته الإسكندرية ورغم أن بايعته مصر وبعض ولايات الامبراطورية الشرقية مثل سوريا .

– بعد فشل محاولة أڤيديوس كاسيوس قام ماركوس أوريليوس بزيارة مصر وبعض الولايات الشرقية . وبدلاً من أن ينكل بالمصريين أظهر لهم من العطف والرحمة ما يؤكد على نزعته الرواقية [1] . باصداره عفواً شاملاً عن كل المتورطين فى تأييد التمرد .

---

(١) عثمان أمين ، الفلسفة الرواقية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١ ، ص ص٢٥٦ – ٢٦٩ . حيث رأى فى ماركوس أوريليوس مريداً مخلصاً للرواقية التى مارس أفكارها دون تعصب . وراجع كذلك :

- Historia Augusta, Marcus Aurelius Antoninus, 25 - 26 .

وعن تسامح ماركوس أوريليوس مع أڤيديوس كاسيوس راجع :

- Historia Augusta, Avidius Cassius, VII.

٤- مصر في عهد كومودوس Commodus ١٨٠ - ١٩٢م :

- بتولى كومودوس حكم الإمبراطورية ينتهى عصر الأباطرة الصالحين وينتهى معهم التسامح والعطف وتبدأ فترة صعبة ميزها العنف وها هو كومودوس ابن ماركوس أوريليوس يبدأ خلافته فى مصر بمطاردة ومحاسبة أنصار تمرد أڤيديوس كاسيوس .

- وعمومًا فقد مرت مصر بحالة من الاضطراب العام التى نتج عنها أن تأثرت ثروة مصر الزراعية وهى ثروة ذات أهمية شديدة بالنسبة للرومان ولذا نجد الرومان يتجهون إلى الاعتماد على مصدر آخر لتأمين وصول الغلال المطلوبة إلى روما بدلاً من تلك التى أصبحت غير مأمونة وغير موثوق بوصولها كما جرت العادة منذ عهد أغسطس.

فقام الامبراطور كومودوس ببناء أسطول جديد لجلب الغلال من شمال أفريقيا إلى روما وهو ما عرف باسم الأسطول الأفريقى Classis Africana [١]. وهى خطوة هامة ولم يقدم عليها الرومان إلا فى نهاية القرن الثانى الميلادى وأن دلت على شيئ فإنما تدل على عدم قدرة الأباطرة الرومان إحكام سيطرتهم على مصر [٢] .

وبعد وفاة كومودوس يأتى ببرتناكس Pertinax إلى عرش الامبراطورية ولا يمكث على العرش طويلاً ، حيث لقى مصرعه بفضل

- على أن هناك بعض المراجع التى رأت أن رواقية ماركوس أوريليوس لم تكن لتمنعه من أداء واجبه تجاه الامبراطورية الرومانية ، راجع بشكل عام :

- Birley, Marcus Aurelius, Eure and Spottiswood, London, 1966.

وعن المزيد من تاريخ ماركوس أوريليوس بشكل عام راجع أحمد غانم ، الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار ، مرجع سابق ، ص٧٨ - ٧٩ .

(1) Rostovtzeff, op. cit., pp. 395, 708.

(2) Historia Augusta, Commodus, 17 - 7.

مؤامرة دبرها الجيش فى ١٩٣ وبعدها تنازع الحكم عدد من الشخصيات وانتهى الأمر فى النهاية لصالح سبتميوس سيڤيروس .

خامساً : القرن الثالث ومحنة الإمبراطورية :

وقبل أن نستعرض أحداث مصر فى القرن الثالث الميلادى علينا أن نتعرف سريعاً على ملامح وسمات هذه الفترة ويمكن إجمال سمات القرن الثالث الميلادى على الجانب الرومانى فى الآتى :

نزاع الأدعياء حول عرش الإمبراطورية وهو نزاع كان يحسمه قادة الجيش وهو ما سوف يعظم دور القادة العسكريين فى تشكيل تاريخ الإمبراطورية فى تلك الفترة .

كراهية المصريين للرومان تلك الكراهية التى عبرت عنها مساندتهم لأى منشق عن العرش ليس حباً فى المنشق بقدر ما هو كراهية للرومان .

أباطرة القرن الثالث الميلادى :

١- الإمبراطور سبتميوس سيڤيروس Septimius Severus ١٩٣م - ٢١١م :

زار مصر وقام بجولة الرومان المعتادة حول معالم مصر الأثرية إذ كان على علم تام بما آلت إليه الأحوال فى مصر من تدهور على مختلف الأصعدة .

* فعلى الصعيد الاقتصادى : ضعفت ثروة مصر الزراعية نتيجة تعسف الرومان فى فرض الضرائب وشدتهم فى جبايتها واتباع المصريون لأسلوب الفرار من الأراضى الزراعية مما أدى لاهمالها وبالتالى تدهورها .

* وعلى الصعيد الإدارى : أصبح الامبراطور يعانى من قلة وجود أصحاب الأراضى الزراعية والمؤهلين للعمل فى مناصب الإدارة المحلية فى مختلف أقاليم مصر [١] .

ولكن محاولة سيفيروس للإصلاح هى المحاولة الأولى التى شهدتها مصر فى الإصلاح الإدارى منذ أن أرسى أغسطس دعائم نظام الإمبراطورية وولاياتها الإدارى . إذ كان كل الأباطرة الذين خلفوا أغسطس يعتبرون أن ما قام به بمثابة إنجاز يصعب التعرض إليه بالحذف أو التغيير .

وفى وجهة نظر الكاتب فإن التغيرات التى أدخلها الإمبراطور سيفيروس لم يقصد منها التقليل من شأن إنجازات غسطس فى هذا المجال بقدر ما كان المقصود منها الاستجابة لتحدى ظروف جديدة مرت بها الامبراطورية فى مختلف ولاياتها .

وكان منح الإسكندرية مجلساً تشريعيًا هو الإصلاح الإدارى الهام الذى رأى فيه الامبراطور سيفيروس حلاً لمشاكل الإدارة ولم تكن الإسكندرية هى الوحيدة فى حصولها على المجلس التشريعى Boule بل منحت بقية مدن مصر هذا الحق بهدف توحيد النظم الإدارية فى سائر

---

(١) مصطفى العبادى ، مرجع سابق ، ص١٤٨ .

أملاك الامبراطورية الرومانية [1] ويهدف جعل تلك المجالس التشريعية هى المسئولة عن إدارة شئونها وشئون مدنها الإدارية عن طريق ملء فراغ الوظائف الإدارية فى هذه المدن (الأقاليم) .

وهكذا عاد للسكندريين مجلسهم التشريعى الذى سلبه منهم الإمبراطور أغسطس فور دخوله مصر. ولكنه عاد بعد أن أصبحت الإدارة الرومانية قاصرة وعاجزة عن تولى مهماتها فى إدارة شئون الولايات الهامة مثل مصر.

إذن كانت عودة المجالس التشريعية هى الخطوة الإصلاحية الأولى التى اتخذتها الإدارة الإمبراطورية الرومانية فى مصر. ويبدو أنها لم تكن الأخيرة بفضل بقاء الظروف الضاغطة على الإدارة الرومانية فى القرن الثالث الميلادى .

٢- الإمبراطور كاراكلا Caracalla ٢١١م - ٢١٧م :

خلف الإمبراطور كاراكلا أباه سيفيروس على عرش الإمبراطورية. وقد واجه مشكلة انهيار الامبراطورية الاقتصادى والزحف المسيحى الذى بدأ فى الظهور فى شتى أرجاء الإمبراطورية والذى بدأ يتعامل مع رعايا الامبراطورية الرومانية على أنهم جميعاً أخوة ومتساوون فى الوقت الذى

---

(1) Dio - Cassius, 75, 13 see iso :
- Historia Augusta, Severus, 17.

حيث اتفق المصدران على أن الإسكندرية وحدها هى المدينة التى تمتعت بهذا الحق مرة ثانية دون بقية مدن مصر. بينما يختلف رأى بعض الكتاب الذين استندوا إلى دراسة الوثائق البردية حيث رأوا أن سيفيروس منح كل مدن مصر هذه الميزة كما كانت تتمتع بها كل الولايات الأخرى التابعة للإمبراطورية بهدف توحيد النظم الإدارية فى أملاك الإمبراطورية . راجع مصطفى العبادى ، مرجع سابق ، ١٤٩ .

- Rostovtzeff, op. cit., p. 410 .
- C. A. H., XI. pp. 650 - 7 .

كانت تميز فيه الإمبراطورية بين رعاياها فى كثير من الأمور على رأسها منح المواطنة الرومانية التى كان يترتب عليها امتيازات أكبر وأهم.

وقد حاول الإمبراطور كاراكلا أن يسير فى طريق الإصلاح الإدارى الذى بدأه والده فكانت الخطوة الإصلاحية الثانية والمتمثلة فى إصدار ما عرف باسم «الدستور الانطونينى» Constitutio Antoniniana وهو القرار الذى منح الامبراطور كاراكلا بموجبه حقوق المواطنة الرومانية لكافة رعايا الامبراطورية فيماعدا فئة واحدة هى المستسلمين. وقد صدر هذا الدستور عام ٢١٢م .

فى ٢١٥م زار كاركلا مصر وهناك سخر منه السكندريين إذ يبدو أنهم لم يبتهجوا لصدور هذا القانون الذى يسوى من جهة بينهم كفئة متميزة وبين بقية سكان مصر من رعايا الامبراطورية الرومانية ومن جهة أخرى وفى رأى الكاتب إن فرض المواطنة الرومانية بهذا الشكل لم يكن يخلوا من فائدة للامبراطورية وعلى رأسها وأهمها الفائدة الاقتصادية إذ كان المواطنون الرومان يؤدون ضريبة ما أراد الامبراطور كاراكلاان يزيد من جمع هذه الضريبة على نطاق أوسع بما يدعم الخزانة الإمبراطورية .

عموماً فقد كان الناس فى مصر يكرهون الامبراطور كاراكلا لاسيما السكندريين إذ كانوا على علم بحادثة قتله لشقيقه وأطلقوا عليه ألسنتهم بالسخرية فتارة يلقبونه بقاتل أخيه وتارة أخرى يلقبونه شبيه الإسكندر الأكبر[1] فقرر الإنتقام منهم بجمعهم فى استاد مدينة الإسكندرية وقتل

(1) Dio Cassius, 77, 22 - 23 .
- Historia Augusta, Caracalla, 6 .

عدد كبير منهم وأمر جنوده بنصب المدينة وأمر باخراج المصريين المقيمين فى الإسكندرية تهربًا من دفع الضرائب [1] . واستثنى من هذا القرار فقط بعض المصريين من أصحاب الأعمال الأساسية فى المدينة .

عمومًا وبعد رحيل كاراكلا عن عرش الإمبراطورية شهدت الإمبراطورية الرومانية حتى قدوم دقلديانوس فى ٢٨٤م أصعب فترات تاريخها على الإطلاق وتأثرت مصر بطبيعة الحال بهذه الظروف وكثرت محاولات الاستقلال بمصر بعيداً عن سلطة الامبراطورية .

ومن أشهرها محاولة زينوبيا وولدها وهب اللات ملوك تدمر Palmyra لفرض سيطرتهم على مصر فى ٢٦٩م واعتراف الامبراطور أوريليانوس بوهب اللات امبراطوراً شريكاً له فى الحكم فى البداية . ولكن سرعان ما استرد الرومان مصر فى عام ٢٧١م على يد أوريليانوس .

---

(1) P. Giss. 40 II, 11. 16 - 29 .

وهى البردية التى حملت لنا بنود قرار كاركلا فى هذا الصدد وعن تحليل ما ورد بنص البردية راجع أبو اليسر فرح، الدولة والفرد فى مصر فى عصر الرومان ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٢٠ ، ١٩٣ .

مصر تحت حكم الرومان
(ب) التاريخ الاجتماعى والإقتصادى

الفصل السابع
مصر تحت حكم الرومان
(ب) التاريخ الاجتماعى والإقتصادى

أولا : تاريخ مصر الاجتماعى :

- قُدر لمصر منذ الأزل أن تقطنها جاليات أجنبية كثيرة ونجد فى أحداث التاريخ ما يؤكد صدق هذه المقولة وبطبيعة الحال كانت هذه الجاليات الأجنبية تمارس كافة أوجه النشاط اليومى جنباً إلى جنب مع المصريين من سكان البلد الأصليين .
- وكما عهدت مصر وجود الأجانب بها فقد عهدت أيضاً فترات طويلة من السلام الاجتماعى الذى ساد العلاقات المختلفة بين سكانها إذ كان لكل منهم دوره وقيمته فى إثراء الحياة الاجتماعية والحضارة المصرية على وجه العموم .
- ومن خلال معرفتنا المتواضعة بتاريخ مصر نستطيع أن نرجع سر وجود هذه الجاليات الأجنبية المتعددة فى مصر إلى أكثر من ظرف فهناك جاليات أجنبية جاءت واستقرت فى مصر بدوافع إقتصادية بحتة إما للعمل فيها من خلال القطاع التجارى أو الصناعى وهناك جاليات أخرى جاءت إلى مصر طلبًا للعون والحماية واللجوء وهناك جاليات ثالثة استقدمت بكثرة فى فترة ما من فترات تاريخ مصر بهدف توظيفها وفق متطلبات الحاكم الموجود فى مصر وطبيعة حكمه فيها فمنهم من استقدم لتلبية متطلبات سياسية ومنهم من استقدم لتلبية متطلبات عسكرية .

- وعلى أى الأحوال فإن وجود الأجانب فى مصر أمر يستحيل تجاهله أو إنكاره إذ تعد العلاقة بين هؤلاء الأجانب وبين المصريين من أهل البلد الأصليين جزءاً أصيلاً من تاريخ المصريين السياسى والاجتماعى والاقتصادى والدينى خاصة فى فترات الاحتلال الطويلة التى مرت على مصر والتى أصبح فيها الأمر والنهى بيد حكام أجانب عملوا على طول الخط على دعم مواطنيهم أولاً ونظرائهم من الأجانب ثانياً ليأتى المصريون دائماً فى آخر قائمة اهتماماتهم .

- هكذا كان للأجانب فى مصر دوراً وأهمية على المستوى الشعبى العادى أما على مستوى القادة والحكام فقد نجح كثير منهم فى أغلب الأحيان فى أن يترك بصمة وعلامة ظلت موجودة فى تاريخ مصر حتى يومنا هذا فها هو الإسكندر المقدونى يضيف إلى خريطة مصر السياسية مدينة جديدة نعيش بين جنباتها اليوم وها هو بطلميوس بن لاجوس يدلى بدلوه فى نفس المجال ويهدى صعيد مصر مدينة جديدة، وهناك بطلميوس الثانى صاحب الصرح الثقافى والعلمى الأشهر مكتبة الإسكندرية والتى أعيد احياءها فى العصور الحديثة .

- وها هو الإمبراطور أغسطس يحول مصر إلى حظيرة الولايات التابعة لسلطان الإمبراطورية ويقضى على ما كان للكهنة المصريين من نفوذ وسطوة ومن بعده بفترة طويلة نجد تراجان يهدى صعيد مصر مدينة جديدة رومانية الصنع يونانية الطابع وهى مدينة أنتينوبوليس ، وهكذا ومن الأمثلة السريعة السابقة ندرك أن دراسة تاريخ مصر الإجتماعى -والتى تعتمد بالأساس على دراسة العلاقات بين سكانها - تعد أمراً هاماً لفهم أحداث التاريخ فى هذه الفترة .

سكان مصر فى العصر الرومانى :

يذكر المؤرخ اليهودى جوزيفوس Josephus فى كتابه ، عن الحرب اليهودية ، أن سكان مصر فى عهد الإمبراطور نيرون Nero يقدر عددهم بحوالى سبعة ملايين ونصف نسمة وذلك باستثناء سكان الإسكندرية ويقدر ديودور الصقلى عدد سكان الإسكندرية بحوالى ثلاثمائة ألف نسمة [1] ومن خلال ما سبق نعرف أن عدد سكان مصر لم يتجاوز بأى حال ثمانية ملايين نسمة .

كان غالبية السكان من المصريين بالإضافة إلى أقليات من جنسيات مختلفة منها :

١- الاغريق .

٢- اليهود .

٣- الفينقيين .

٤- الليبيين .

ومع تحول مصر لولاية رومانية دخل عنصر جديد على بنية المجتمع المصرى وهو الرومان .

لقد كان الوجود الرومانى فى مصر فى تلك الأونة أمراً يعد ضرورة استراتيجية بالنسبة لصالح الرومان فى مصر تلك الولاية الهامة التى ارتبط بقائها تحت مظلة الامبراطورية ببقاء الامبراطور ذاته على عرش الامبراطورية فى العاصمة روما ومن هذا المنطلق كان

---

(1) Josephus, Bell. Jud., II. 16. 4, Diod. Sicul. XVII. 52. 6 .

الرومان نظراً لدورهم الهام فى مصر يشكلون اجتماعياً الطبقة الأولى فى مصر .

١- الرومان Romai :

هم المتمتعون بالمواطنة الرومانية من المقيمين فى مصر وقد شكلوا طبقة جديدة تكونت أساسًا من جنود milites الحامية الرومانية التى وضعت بمصر.

وعلى الرغم من أن جيوش الإمبراطورية الرومانية كانت تضم عديد من الأجناس من غير الرومان إلا أنهم جميعًا وعلى اختلاف جنسياتهم كانوا يتمتعون بالمواطنة الرومانية بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية [1] . ومما سبق نعرف أنه وجد بمصر نوعان من الرومان وهما :

أ- الرومان الأصليون : حاملى المواطنة الرومانية بفضل مولدهم .

ب- الرومان الجدد : وهم الحاصلين على المواطنة الرومانية عن أداء مميز فى الخدمة العسكرية وكانوا دائماً من الأجانب .

وفى الواقع فقد بلغ عدد جنود الحامية الرومانية فى مصر فى بداية عصر الإمبراطور أغسطس حوالى ٢٢ ألف جندى وفارس ورغم أن هذا العدد تم تخفيضه فى عهد الإمبراطور تيبريوس إلى ١٦ ألف جندى وخفض مرة ثانية فى القرن الثانى الميلادى إلى ١١ ألف جندى إلا أنها كلها أعداد تدل على ضخامة الوجود الرومانى فى مصر [2] .

---

(١) حسين الشيخ ، مرجع سابق ، ص٩٠ .

(٢) راجع أبو اليسر فرح، تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، مرجع سابق ، ص٢١٩ .
ومصطفى عبد الحميد العبادى، الامبراطورية الرومانية ، مرجع سابق ، ص١٥٩ .

- تفاعل الجنود الرومان مع الحياة فى مصر إجتماعيًا وإقتصادياً وهو تفاعل كان ضروريًا إذا ما عرفنا أن فترة تجنيد الرومانى فى الجيش كانت عادة تمتد إلى ٢٥ عام وهى فترة تجعل من الصعب على صاحبها أن يتقوقع داخل مهمته دونما اختلاط بعناصر البيئة المحيطة به . فنجد الجنود يقيمون علاقات غير شرعية مع نساء البلدان المرابطين فيها وينجبون أطفالاً غير شرعين . وذلك أثناء خدمتهم بصفوف الجيش مخالفين بذلك قواعد الدستور الرومانى المنظمة لشئون أفراد الجيش فى هذا الصدد .

- وفى إطار حرص الإمبراطورية الرومانية على بقاء جنودها فى مصر كانت تغض الطرف عن مثل هذه الممارسات [١] .

- لقد تنوعت أشكال تفاعل الجنود الرومان مع المجتمع المصرى فنجدهم شاركوا فى النشاط المالى كملاك للأراضى إذ منح الإمبراطور أغسطس جنوده العديد من الإقطاعات العسكرية coloniae تشجيعاً لهم على البقاء فى مصر ويبدو أن انخراط الجنود الرومان فى مصر فى مجالات بعيدة عن الجندية والعمل العسكرى أضر بشكل ما بمصالح الإمبراطورية فى مصر على قدر ما أفادها إذ ركن هؤلاء الجنود منذ عهد أغسطس إلى الراحة والبعد عن العمل العسكرى المستمر بفضل السلام الذى حل فى عهده على الامبراطورية وعلى ولاياتها [٢] .

---

(1) Chessman G. L., The Auxilia of the Roman Army, 1914, pp. 119 .
حيث يذكر أن السلطات الرومانية كانت تعترف بهذا الزواج Epigamia بعد تسريحها لهؤلاء الجنود وكانت بعض الزوجات المصريات يتمتعن مع أزواجهن من الجنود بالمواطنة الرومانية .

(2) Tacitus, Annales, XIII, 35.

- وكما كان هناك وجوداً عسكرياً للرومان فقد عرفت مصر الرومان كموظفين عملوا فى مناصب الإدارة العليا من أولئك الذين جاءوا من روما. كذلك عرفت مصر الرومان كتجار عملوا فى قطاع التبادل التجارى خاصة فى الإسكندرية .

- لقد كان الرومان على اختلاف أدوارهم فى مصر يشكلون الطبقة العليا فى مجتمع مصر الرومانية وبالتالى فلم يكن غريباً أن يختار منهم كبار موظفى الإدارة العليا فى مصر أو أن يتمتعوا بإمتيازات خاصة كأن يعفوا من الضرائب أو دفعها مخفضة . ولم يكن غريبًا أيضًا أن يعفوا من القيام بالأعمال الإجبارية (١) . أو أن يقيموا حزبًا يضمهم ويناقش مطالبهم فى مصر عرف اصطلاحًا بـ Conventus Civium Romanorum .

- ظل الرومان المقيمين فى مصر متمتعين بهذه الميزات بفضل ما حملوه من مواطنة رومانية وذلك فى القرن الأول والثانى الميلادى حتى إذا ما جاء القرن الثالث – وهو القرن الذى شهد إضطرابًا فى ظروف وأحوال الإمبراطورية الرومانية وانعكست أثار هذا الاضطراب على أحوال الولايات بطبيعة الحال – لنجد المواطنة الرومانية تعد غير ذات أهمية بعد أن قرر الامبراطور كاراكلا منحها لجميع سكان الامبراطورية الرومانية من الأحرار بمقتضى الدستور الأنطونينى وبالتالى فقد حمله المواطنة الرومانية أى خصوصية أو إمتياز إذا أصبح الجميع من رعايا الامبراطورية مواطنين أمام الحكومة الرومانية .

---

(1) P. Oxy. III. 73.

ولم يكن الرومان وحدهم هم المضارين من هذا القرار إذا أضير مثلهم السكندريين من اغريق الإسكندرية الذين سعى الإمبراطور أغسطس إلى خطب ودهم بجعل مواطنتهم شرط للحصول على المواطنة الرومانية الأعلى والأهم [1] . فهم بذلك القرار فقدوا أيضاً ميزة كبيرة بعد أن أصبح بمقدور كل الناس أن يحملوا المواطنة الرومانية دون قيد أو شرط .

٢- الإغـريـق :

شكل إغريق الإسكندرية مع الرومان فى وجهة نظر الإدارة الرومانية طبقة واحدة . إذ حرص الرومان منذ عهد أغسطس كما أسلفنا الذكر على استرضاء هذه الفئة الهامة التى تحولت إجتماعياً إلى طبقة ثانية بعد دخول الرومان إلى مصر . ومن أشكال هذا الاسترضاء :

١ – أن جُعلت مواطنة الإسكندرية شرطًا للوصول إلى المواطنة الرومانية.

٢ – أُعفى إغريق الإسكندرية (سكان الإسكندرية من الإغريق) دون بقية سكان مدن مصر من أداء ضريبة الرأس Laographia .

٣ – كان من حق السكندريين أيضًا الإنخراط فى صفوف الجيش الرومانى .

كل هذه الامتيازات جعلت الاغريق من سكان الإسكندرية يقتربون أكثر من الرومان بهدف السعى وراء الحفاظ على الوضع المميز وعموماً

(1) Plinius, Epistulae, X. 6 - 7 .

فقد قضى الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤م على امتيازات كل من السكندريين (إغريق الإسكندرية) والرومان [١] وذلك بهدف إصلاح أوضاع الإمبراطورية التى بدت على وشك الإنهيار .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استرضاء الرومان للاغريق فى مصر يبدو أنه كان أمراً مفروضاً عليهم إذ كانت بمصر لدى دخول أغسطس إليها حوالى ثلاثة مدن اغريقية الطابع كبيرة وهم نقراطيس فى الدلتا والإسكندرية وبطلمية الموجودة فى صعيد مصر .

وأضيف إليهم فى عهد هادريان فى عام ١٣٠م تقريباً مدينة رابعة وهى مدينة أنتينوبوليس فى مصر الوسطى . وقد حوت هذه المدن جميعها أعداد كبيرة من الاغريق. وإذا كان الإمبراطور أغسطس قد حرم الإسكندرية من مجلس الشورى Boule ضماناً لحسن إدارته للإمبراطورية فقد سار خلفائه حتى عهد سيڤيروس على نفس النهج فى الإبقاء على ميزات هذه المدن الإغريقية مع حرمانها من مجلس الشورى فيماعدا نقراطيس وبطلمية وانتينوبوليس [٢] .

تلك الممارسات أساءت إلى السكندريين وحتى بعد أن منح السكندريين مجلس البولى مرة ثانية فى عهد سيڤيروس كان هذا المنح وطريقته مسيئاً للسكندريين أيضاً إذ لم يكن منحاً قاصراً عليهم فقط بل منح شمل جميع عواصم المحافظات (المديريات) فى مصر فتساوت مدينتهم العظيمة مع سائر محافظات مصر .

---

(١) حسين الشيخ ، العصر الهلينستى ، مرجع سابق ، ص١٠١ .
(٢) أبو اليسر فرح ، مرجع سابق، ص٢٢٢ .

٣- اليهـود :

دخل الرومان مصر وكان اليهود موجودين بها ويحدثنا فيلون أن عدد يهود الإسكندرية فى القرن الأول كان يبلغ قرابة المليون نسمة [١] وقد رأى البعض أنه رقم لا يخلو من مبالغة على أساس أن إجمالى سكان المدينة أصلاً لم يصل إلى نصف هذا العدد .

على أى الأحوال زاد عدد اليهود فى مصر فأصبحوا يشغلون زوج من الأحياء الخمس التى احتوت عليهم مدينة الإسكندرية .

وقد فاز اليهود بمعاملة كريمة فى عهد الرومان ولاسيما على عهد مؤسس الإمبراطورية الرومانية الإمبراطور أغسطس وذلك رغم رفضهم مبدأ عبادة الإمبراطور الذى وضعه ضماناً لولاء الرعايا للدولة .

ومرجع تلك المعاملة هو رغبة الرومان فى خطب ود اليهود كجالية أجنبية موجودة فى مصر حيث قام الرومان باطلاق الحريات الدينية فى بداية القرن الأول [٢] وأبقوا على معابد اليهود ومؤسساتهم السياسية ممثلة فى مجلس الجيروسيا Gerousia . والرابطة اليهودية Politeuma وبذلك فرق الرومان فى تعاملهم بين اليهود والاغريق من سكان الإسكندرية الذين حرموا بداية من عهد أغسطس من مجلس البولى . وتلك التفرقة كانت أهم أسباب قيام الفتنة الاجتماعية بين اليهود والسكندريين إضافة إلى عدم قناعة اليهود بجودة وضعهم ومحاولتهم

---

(1) Philo, In Flaccum, 6. 43.

(2) Strabo, Geographica, 17 - I.

الزحف على امتيازات السكندريين ومنها أن حاولوا ادعاء أنهم مواطنين سكندريين وذلك في خطب زعمائهم من أمثال جوزيفوس [١] .

وعموماً فقد عانت الإمبراطورية من ويلات هذا الصراع الذى دار في مصر وتحديداً في الإسكندرية بين اليهود والسكندريين .

لم تظل تلك النظرة الرومانية المحابية لليهود وإنما تغيرت بعد الفتن التى قاموا بها فى أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثانى الميلادى إذ حرموا الكثير منهم من الامتيازات ورغم ذلك فقد ظل يهود مصر على ولائهم للرومان حتى بعد تدمير الرومان لهيكل أورشليم .

وإلى جوار الرومان والاغريق واليهود فقد وجدت بعض فئات أخرى من بلاد أسيوية وافريقية ولكن كلها فئات لم تستطيع أن تبقى على شخصيتها وهويتها الوطنية (القومية) وسرعان ما تأغرقت [٢] .

٤- المصريون :

أهل البلد الأصليين وتطلق هذه الصفة بالتحديد على قاطنى الريف سواء أكانوا من أصول مصرية أو اغريقية . ومن خلال العرض التاريخى السابق كله سوف يلحظ أنها لم تلمس أى تغييرات إذ ظلت هى الفئة المقهورة والمستغلة إذا ما قورنت بوضع أى فئة أخرى سكنت مصر سواء فى العصر البطلمى أو حتى الرومانى محل اهتمامنا .

ويؤكد المؤرخ ليڤيوس أن فى عصر الرومان تحول المقدونيين إلى

---

(1) Josephus, Contra Apionem, I., 189 . II., 37 .

(٢) مصطفى العبادى ، مرجع سابق ، ص١٧٥ .

مـرتبة المصـريين فـى إشارة واضحة إلى تدهور وضع المقدونيين الذين طـال تكريمهم منذ عهد الإسكندر وخلفائه من الملوك البطالمة [1] .

لم تمر هذه المحـاولة دون أثر فقد زادت العلاقة قربًا بين كل من المقدونيين والمصريين الذى سبق وأن فرق بينهم البطالمة لاسيما فى المناطق الريفية وقد ترجم الزواج بين الطرفين اقتراب هذه العلاقة. وقد حمل أبناء هذا الزواج الأسماء الاغريقية والمصرية معاً [2] .

فطن الرومان إلى مثل ذلك التوحد المجتمعى وربما رأوا فيه خطراً داهمًا على مصالحهم فى مصر إذ ساروا دائمًا على مبدأ « فرق تسد divide et impere » ومن هنا بدأوا يتخـذون من الإجـراءات ما يكفل التفريق والتمييز بين الفئتين وقد ظلت هذه التفرقة التى كانت بطبيعة الحال فى غير صالح المصريين – قائمة إلى أن جاء مرسوم الإمبراطور كـاراكلا فـى ٢١٢م ليسـاوى بين الجمـيع كمـواطنين أمـام الحكومـة الرومـانيـة ورغم ذلك إلا أن المصـريين لم يعفوا بمـوجب هذا القرار الإصلاحى شكلاً من دفع ضريبة الرأس مثلاً بل زادت عليهم أعباء جديدة مثل ضريبة الميراث [3] .

ويذكر حسين الشيخ فى مؤلفه « العصر الهللينستى – مصر » فى هذا الصدد أن المصريين قد عاشوا حياتهم كما ألفها منذ بداية عصر الأسرات فعبـدوا نفس الآلهة وتكلموا نفس اللغة وتعرضوا لنفس المتاعب

---

(1) Livius, Hist. 38 - 37 .

(٢) أبو اليسر فرح، مرجع سابق ، ص٢٢٥ .

(٣) ايدرس. هـ. بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ترجمة عبد اللطيف أحمد على، بيروت ، ١٩٨٨، ص١٤١ .

الاقتصادية وأن هذه المتاعب أخذت تزداد مع تمكن الرومان فى مصر ويشير إلى أن الضرائب المرهقة أدت إلى فرار المصريين من الأراضى الزراعية هرباً من وطأة تلك الضرائب وهو ما أدى إلى تدهور الاقتصاد المصرى كله مما أدى إلى دعوة الأباطرة الرومان لهؤلاء الفارين للعودة مرة أخرى إليها [1] .

ثانيا : التاريخ الاقتصادى :

يتركز الحديث عن التاريخ الاقتصادى المصرى فى عصر الرومان على عناصر بعينها وهى :

أ- الأراضى الزراعى .

ب- الصناعة .

جـ التجارة .

د- النقود .

هـ- الضرائب .

(١) الأراضى الزراعية :

انقسمت الأراضى الزراعية فى مصر الرومانية ظاهرياً إلى نوعين:

الأول : الأراضى العامة gé demosia .

الثانى : الأراضى الخاصة gé idiotiké .

---

(١) حسين الشيخ، مرجع سابق ، ص١٠١ .

أولاً : الأراضى العامة :

ويضم هذا النوع من الأراضى ستة أصناف من الأراضى الزراعية هى كالتالى :

١- الأراضى الملكية .

٢- الأراضى العامة .

٣- أراضى الضياع الإمبراطورية .

٤- أراضى المعابد .

٥- أراضى المستنقعات .

٦- أراضى الدخل .

- **الأراضى الملكية gé Basilike :**

وهى الأراضى التى حملت نفس الإسم فى مصر البطلمية وتحولت ملكيتها للرومان بعد فتح مصر. ظل هذا النوع يقوم بتأجيره المزارعون الملكيون لقاء أجر عينى كان عبارة عن نسبة من المحصول السنوى وكان مدير الحساب الخاص الأديوس لوجوس Idios Logos هو المشرف على مثل هذا النوع من الأراضى .

- **الأراضى العامة gé Demosia :**

ترى بعض المصادر أن هذه التسمية ربما تكون أطلقت على الأراضى الرملية أو المجاورة للصحارى وهى أراضى كانت إيجاراتها منخفضة نتيجة ضعف إنتاجيتها الزراعية . وكان المزارعون يفرون من هذا النوع ويعزفون عن تأجيره .

• أراضى الضياع الإمبراطورية gé Ousia :

عرفت مصر هذا النوع من الأراضى الزراعية الشاسعة فى عهد البطالمة ولكن كان أصحابها يقيمون فيها وخير دليل على صدق هذه المعلومة ضيعة أبوللونيوس التى وهبها إياه فيلادلفوس .

أما فى عصر الرومان فقد كان أغلب أصحاب تلك الاقطاعيات الموجودة فى مصر من المقيمين فى روما . وإذا كان الملوك البطالمة جرت بهم العادة على أن يهبوا مثل هذه الأراضى الواسعة إلى شخصيات بعينها فإن الرومان جعلوها متاحة ولكن عن طريق الشراء من المزاد العلنى .

وهناك من أعضاء الأسر الإمبراطورية من قام بشراء إقطاعيات من تلك النوع مثل Livia زوجة أغسطس التى امتلكت ضيعة فى إحدى قرى الفيوم والأميرة أنطونيا ابنة القائد ماركوس أنطونيوس من أوكتافيا . وهناك الفيلسوف سينيكا Seneca الذى امتلك ضيعة فى إقليم أوكسيرنخوس (البهنسا) .

وقد أقبل بعض كثير من أثرياء الإسكندرية على شراء تلك الإقطاعيات استثماراً لأموالهم [1] .

كان يتم استغلال هذه الأراضى قبل أصحابها عن طريق تأجيرها إلى مزارعين عرفوا باسم مزارعوا الضياع ousiakoi georgoi وقد فرضت على هذه الأراضى نوعان من الضرائب منها العينية ومنها النقدية .

(1) Rostovtzeff., op. cit., p. 287 .

• أراضى المعابد gé hieratike :

هى الأراضى التى صادرها الإمبراطور أغسطس من كهنة مصر والتى آلت إليهم فى فترات ضعف الملوك البطالمة الذين حاولوا توظيفهم لخدمة أهدافهم السياسية. وقد كان الأديوس لوجوس هو المشرف عليها نظراً لأن هذا الموظف تولى منصب رئيس الكهنة فى مصر. وقد ترك الأباطرة الرومان مساحات ضئيلة من الأراضى الزراعية فى حوزة الكهنة المصريين بهدف الإنفاق من ريعها على متطلبات المعابد . وتحت اشراف الأديوس لوجوس .

• أراضى المستنقعات gé Limintike :

وهى أراضى الدلتا وكانت ذات إنتاجية منخفضة مما خفض الضرائب عليها بطبيعة الحال .

• أراضى الدخل gé Prosodos :

هى الأراضى التى كانت الدولة تصادرها لعدم قدرة أصحابها على الوفاء بالتزاماتهم .

ثانيا : الأراضى الخاصة :

- ظهر هذا النوع من الأراضى إتساقًا مع سياسة الرومان فى تنمية الاقتصاد المصرى عن طريق تنمية وتشجيع الملكية الخاصة. وقد ترك للنساء أيضاً الحق فى امتلاك مثل هذا النوع من الأراضى .
- وقد منح الرومان وأولهم أغسطس الجنود بأسعار رمزية بهدف إنقاذ الاقتصاد الزراعى المصرى من الانهيار بعد أن واجه ظاهرة الفرار من الأراضى الزراعية .

- وقد ذهب البعض إلى أن الملكية الشخصية كانت هى الضمان الأول لتولى الوظائف وبالتالى زادت أهمية الملكية الشخصية .

٢- الصناعة :

- شجعت الإدارة الرومانية فى مصر سياسة الاقتصاد الحر فى الصناعة وقد أصبحت الإسكندرية أكبر مركز للصناعة والتجارة فى الإمبراطورية الرومانية جمعاء .

- وقد عرفت بمصر الرومانية صناعات الزجاج والبردى والنسيج ومن الثابت أن مصر وصلت لدرجة عالية من الجودة فى صناعة الزجاج وقد ساعدتهم تربة البلاد الخصبة بما حوته من مواد خاصة أسهمت فى ظهور أنواع مختلفة من الزجاج متعدد الألوان [١] .

- وقد ظلت صناعة البردى حكراً على مصر وقد كانت صناعة حرة فى مصر الرومانية فلم تمارس الإدارة الرومانية أى سيطرة على هذه الصناعة .

- أما صناعة النسيج فقد كانت شائعة فى مصر فى العصر الرومانى ووجدت صناعات محلية منزلية ووجدت مصانع كبرى [٢] .

- ومن الصناعات التجارية التى شاعت فى العصر الرومانى التوابل والعطور وقد وجدت صناعات قديمة مثل الأخشاب والمطاحن والزيوت والمعادن وكان معظمها ضرورى للاستهلاك المحلى [٣] .

---

(1) Strabo, 16, 2. 25 .

(٢) يذكر بليتيوس فى كتابه التاريخ الطبيعى أن الإسكندرية عرفت التيل المزين بالرسوم ويسمى Polimatta راجع :

Plinius, Historia Naturalis, XIX. 7.

(٣) مصطفى العبادى ، مرجع سابق ، ص٢١٤ .

٣- التجـارة :

– كان لمركز مصر المتميز جغرافيًا أكبر الأثر فى ازدهار التجارة فأصبحت الإسكندرية بشهادة سترابون أكبر مركز تجارى فى العالم أجمع [1] ، وازدهرت فى الإسكندرية حركة التصدير والاستيراد وقد خدم تجارة الإسكندرية فى ذلك الوقت شبكة الطرق الرومانية التى ربطت كل ولايات الامبراطورية ببعضها وبروما أيضًا وبالتالى فأصبحت جميعها أسواقًا تروج فيها سلع ومنتجات الولايات المختلفة .

– استوردت مصر الفضة والخشب والعاج والمنسوجات القطنية وصدرت القمح بشكل رئيسى مع ملاحظة أنه كان يشكل جزء كبير من الضريبة السنوية التى كانت تدفعها مصر سنوياً إلى روما .

– وعموماً فقد كانت لسياسة الامبراطور أغسطس نحو حرية الاقتصاد أكبر الأثر فى انعاش الحياة الاقتصادية فى الامبراطورية . وقد زادت استثمارات التجارة الشرقية التى كانت تأخذ طريقان أحدهما برى وهو طريق القوافل إلى الموانى السورية والآخر بحرى عن طريق البحر الأحمر ومنه إلى مصر . وكانت تجلب بضائع يذكر بلينى عنها أنها كانت تباع فى الغرب بمائة مثل ثمنها الأصلى [2] .

---

(1) Strabo, 17- 1-13 .

(2) Plinius, Historia Naturalis, 12 - 84., 6. 101.

وعن سيطرة تجار الإسكندرية على تجارة البحر الأحمر والشرق ، راجع :

Strabo, II, 120 .

٤- النقـود :

ظلت العملات البطلمية هى المستخدمة فى مصر الرومانية لاسيما وأنه وجد بالإسكندرية داراً لسك العملة منذ العصر البطلمى .

كانت العملة مرتبطة بازدهار وانتعاش العمل التجارى والصناعى فى مصر فارتفعت قيمة العملة مع ازدهار التجارة والصناعة لكن مع تشدد الرومان فى جباية الضرائب وفرار المزارعون من الأراضى الزراعية إنخفضت فى القرن الثالث قيمة العملة وترتب على ذلك أن عاد الناس إلى نظام قديم بدائى وهو نظام المقايضة . ويوضح ظهور هذا النظام مرة أخرى مدى التدهور الذى آل إليه الاقتصاد المصرى فى فترات حكم الرومان .

٥- الضرائب :

حافظ الرومان على معظم الضرائب الذى فرضها البطالمة على مصر وأضافوا إليها بعض الضرائب مثل ضريبة الرأس التى فرضت على كل الذكر من المصريين ما بين سن ١٤ – ٦٠ . وهنا يجب أن نتحدث عن كيفية استعمال الضرائب فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان. فبينما حافظ البطالمة على ما كانوا يجمعونه من ضرائب داخل مصر التى اعتبروها مملكة ورثوها عن جدهم الإسكندر الأكبر وكانوا يستغلونها فى فترات القوة فى بعض المشاريع الاقتصادية نجد أن الرومان كانوا حريصين على خروج ما يجمعونه من ضرائب أولاً بأول خارج مصر لصالح الخزانة الامبراطورية الرومانية بروما وهو ما أرهق دافعى الضرائب من أهل البلد الأصليين من جهة وأصاب البلاد بالفقر

إذ لم تستفد مصر من تلك الضرائب بل ظهر أثرها الطيب على العاصمة روما [١] .

ثالثا : نظم الحكم والإدارة :

حل الإمبراطور الرومانى محل الملك البطلمى ومن قبله الملك الفرعون وآلت إليه بطبيعة الحال كل مكتسباته فى مصر [٢] ولكن أهم ما كان يميز الإمبراطور الرومانى عن سابقيه من حكام مصر وتحديداً الأجانب أنه كان يحكم مصر من روما العاصمة الامبراطورية بواسطة موظفيه وسوف نتعرض هنا إلى موظفى الامبراطور الذى كان يعنيهم بهدف العمل على تسيير الأمور فى ولاية هامة كمصر .

١ - الوالى (والى مصر Praefectus Aegypti) :

هو ممثل الامبراطور الأول فى مصر وكان يختاره الامبراطور من بين أفراد طبقة الفرسان ومن صلاحياته :

– منح سلطاناً عسكرياً (بروقنصلياً) يمكنه من قيادة الجيش الرومانى .

– القاضى الأعلى ويفصل فى جميع القضايا .

– حاكم البلاد الإدارى وقائد للحامية العسكرية الرومانية [٣] .

– يقوم بتعيين من يراه مناسباً من الموظفين فى المناصب الإدارية.

---

(١) حسين الشيخ، مرجع سابق ، ص٩٥ .

(2) Strabo, 17. 797. 818., : Tacitus, Hist., I. 11.

(3) Reinmuth O. W., The Praefect of Egypt fro Alexander to Diocletian, 2nd. ed., Klio, 1979, pp. 119 - 126 .

- أهم واجباته تجاه الامبراطور هو متابعة النواحى المالية خصوصاً شئون الضرائب أياً كانت مادية أم عينية .

كانت مصر ولاية هامة وبالتالى كان والى مصر منصباً ذات أهمية وخطورة وذلك نظراً لما تمثله هذه الولاية من أهمية اقتصادية للامبراطورية الرومانية ولذا فقد حرم أعضاء مجلس الشيوخ من دخول مصر إلا بعد إذن شخصى من الامبراطور، ولكن بدأت أهمية المنصب فى التراجع لاسيما بعد أن قلت موارد مصر الاقتصادية، فلم يعد ينظر إليه تلك النظرة المتميزة عن بقية أقرانه من الولاة وتم فك الحظر المفروض على تعيين الولاة فى مصر فقط من طبقة الفرسان واتسع المنصب لرجال السيناتوس ويعد الإمبراطور الرومانى ماكرنيوس أول من أقدم على تلك الخطوة (١) .

أما الجهاز الإدارى الذى كان يتولى الوالى رئاسته فقد تمثل فى توجيه الوالى لرؤساء الأقاليم الإدارية المصرية الثلاثة :

(إقليم طيبة – مصر العليا)

(إقليم المديريات السبعة وارسينوى – مصر الوسطى)

(إقليم الدلتا)

وكان يدعى رئيس الإقليم Epistrategos ويقيم بالعاصمة كان رئيس الإقليم بدوره يرأس ويوجه رؤساء المديريات التى يتكون منها كل إقليم وكان يدعى الواحد منهم Strategos وكان الوالى هو من يعين رؤساء المديريات ومساعديهم من الكتاب الملكيين Basilico - Grammateos .

---

(١) راجع أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، ص١٩٦ .

الإقليم الإدارى Epistrategos

⇓

Stratcgos ⇐	ينقسم إلى : مجموعة مديريات – محافظات – نومات كان لكل مديرية رئيس واحد ماعدا الفيوم إذ وجد بها اثنان [1] وكان لها عواصم هي المترويولات Metropolis

⇓

Komogrammateos ⇐	كل مديرية تنقسم إلى عدة قرى ولكل قرية رئيس يدعى كاتب القرية أو Komogrammateos

من الناحية المالية كان لدى الوالى زوج من كبار الموظفين يدعى أحدهما : Diokites وهو المسئول عن الدخل المنتظم للولاية وغالباً ما يكون من الضرائب .

أما الثانى فكان هو Idios - logos وهو المسئول عن الدخول المالية الاستثنائية غير المنتظمة للولاية .

هذا بخلاف مساعدى رؤساء المديريات من الكتاب الملكيين الذين

---

(١) راجع مصطفى العبادى ، مرجع سابق ، ص١٨٥ .

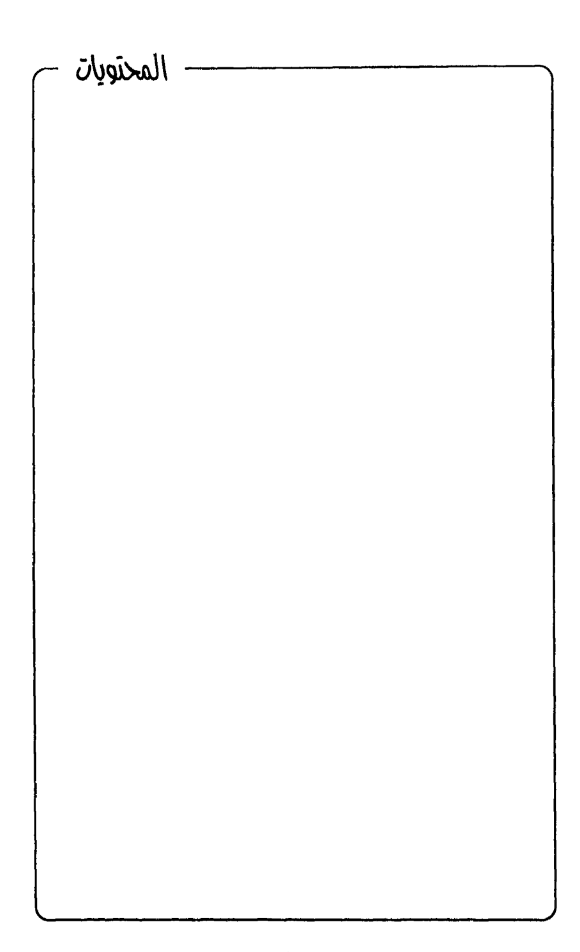
كانوا مسئولين عن تجميع الاحصاءات والتقارير الذى يتم الاعتماد عليها فى تقدير الضرائب عند رفعها للاستراتيجوس .

أما فى مجال القضاء فقد أبقى الرومان على وظيفتين قضائيتين موجودتين منذ أيام البطالمة وهما وظيفة ، قاضى القضاة ، Archidicastes ووظيفة المستشار القضائى Iuridicus ويبدو أن الثانى استولى على مهام الأول فى العصر الرومانى .

وعموماً فقد كان الوالى هو المسئول الأخير عن تحديد الضرائب التى يجب جبايتها فى ضوء ما يرفع إليه من تقارير ويؤكد فيلون على أن الوالى كان ينفق أغلب وقته على مراجعة تقارير الضرائب فى المديريات أما مقدار الضريبة المفروضة على الولاية أن تدفعها إلى روما فهو أمر كان متروك لتقدير الامبراطور شخصياً بناء على التقارير المرفوعة إليه من الوالى .

كان على الوالى أن يقوم بزيارات تفتيشية فى أقاليم مصر وخلالها يعقد جلسات قضائية وتعرف باسم محكمة الوالى Convenius وكانت هذه المحكمة تعقد ثلاث مرات فى العام مرة فى منف ومرة فى الإسكندرية ومرة ثالثة فى بيلوزيوم [١] .

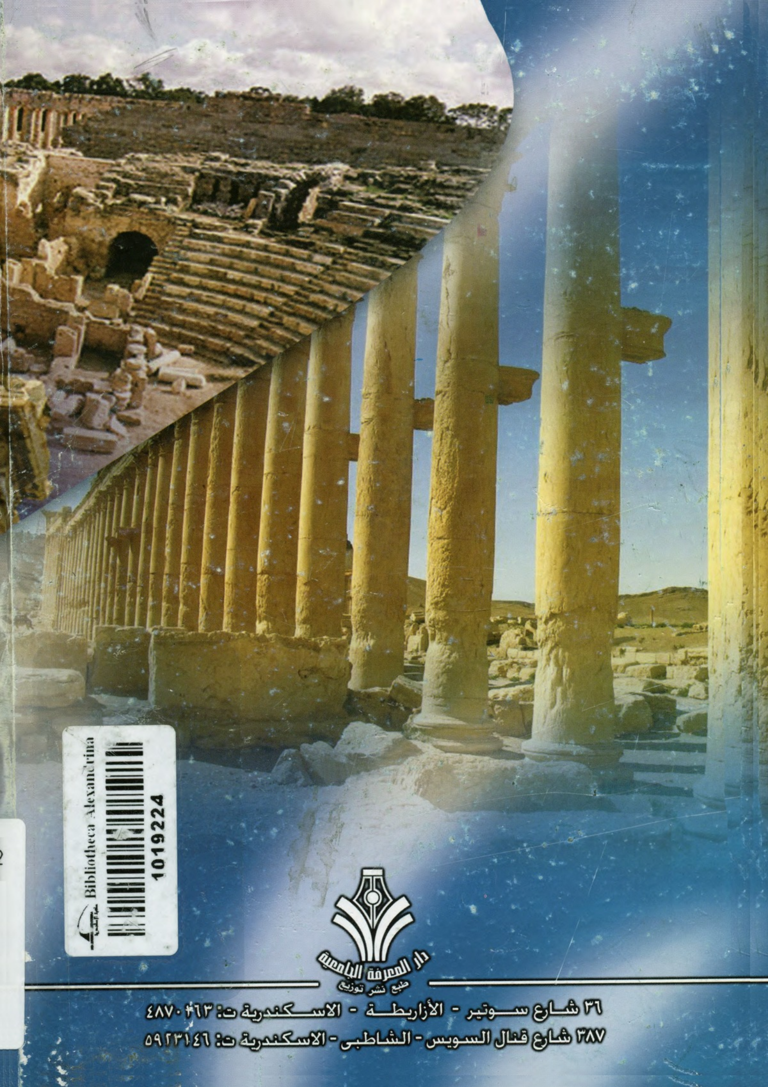
(١) بل ، مرجع سابق ، ص٩٦ .


المحتويات

المحتويات


دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع


دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع


دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع
٣٦ شارع سوتير - الأزاريطة - الاسكندرية ت: ٤٨٧٠١٦٣
٣٨٧ شارع قنال السويس - الشاطبى - الاسكندرية ت: ٥٩٢٣١٤٦